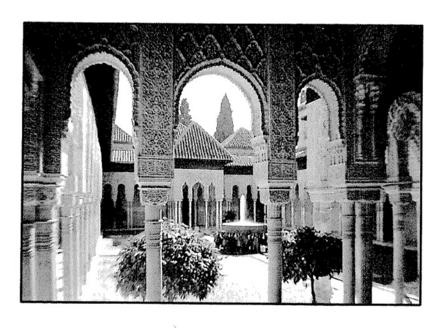


العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر (م) و سقوط غرناطة

الجزء الأول :

دراسة و إعداد وثائق (رسائل و معاهدات) و تحاليل و تعاليق

الأستاذ
عمر سعيدان



منشورات سعيدان
سوسة - الجمهورية التونسية
أفريل 2003

الطّبعة الأولى أفريل 2003
منشورات سعيدان. سوسة
الجمهوريّة التّونسيّة

السّحب 000 3 نسخة

العلاقات الإسبانيّة الأندلسيّة في القرن الرّابع عشر (م) وسقوط غرناطة

الجزء الأوّل :

دراسة وإعداد وثائق (رسائل ومعاهدات) وتحاليل وتعاليق

الأستاذ

عمر سعيدان

منشورات سعيدان

سوسة ـــ الجمهوريّة التونسية.

أفريل 2003

القسم الأوّل

تمهيد

وإعداد وثائق تاريخيّة

العلاقات الإسبانيّة الأندلسيّة
في القرن الرّابع عشر(م) وسقوط غرناطة

تمهيد

توطئة

تبعا للبحوث التي قُمنا بها حول العلاقات الإسبانيّة القطلانيّة المغاربيّة في القرن الرّابع عشر (م) والوثائق الأصليّة العربيّة القطلانيّة التي قدّمناها في هذا البحث وعرّفنا بها ونشرناها تباعا في أجزاء أربعة مستقلّة[1]، رأينا أن نواصل هذا العمل ونقدّم الوثائق العربيّة القطلانيّة المتبقّية بأرشيف أرغون ARAGON ببرشلونة

---

[1] ـ الكتب التي نشرت هي:

1. الراسلة بين جاقمو الثّاني والحفصيّين. نشر مؤسّسة سعيدان بسوسة. 1985.
2. العلاقات القطلانيّة الإسبانيّة مع الحفصيّين في الثّلثين الأوّل والثّاني للقرن الرّابع عشر. نشر مؤسّسة سعيدان بسوسة. 2002.
3. العلاقات القطلانيّة الإسبانيّة مع بني عبد الوادي بتلمسان. نشر مؤسّسة سعيدان بسوسة. 2002.
4. العلاقات القطلانيّة الإسبانيّة مع بني مرين بفاس. نشر مؤسّسة سعيدان بسوسة. جانفي 2003.

Barcelone المتّصلة بهذه العلاقات الإسبانيّة الإسلاميّة وخاصّة بالأندلس ومملكة غرناطة على وجه التّحديد، وأن ننظر في خصوصيّة هذه العلاقات، وأن نقلّب المخطّطات السّياسيّة القطلانيّة بأرغون المتعلّقة بالأندلس وملوك بني الأحمر بغرناطة.

ولقد كانت مملكة غرناطة بعد سقوط طليطلة وقرطبة وإشبيلية على يد ملوك قشتالة الهاجس والغاية لكلّ سياسة إسبانيّة إسلاميّة تُوضع، وكلّ مخطّط يُرسم، سواء مع ملوك غرناطة أو سلاطين الدّولة المرينيّة المجاورة بفاس والحامية للأندلس والرّاعية للمسلمين بها.

وتأكّد لنا من خلال مختلف الوثائق التي قدّمنا وعرّفنا بها أنّه لا يمكن الوصول إلى استيعاب نظرة شاملة كاملة وتقديم عمل متكامل متماسك يخصّ الغرب الإسلاميّ ــ أي الأندلس وشبه الجزيرة المغاربيّة ــ إلاّ بالإلْمام بكلّ علاقات إسبانيا المسيحيّة ببلدان هذه المنطقة الإسلاميّة وتفهّم مخطّطاتها وأبعاد سياساتها وتصرّفاتها والتّعرّف على كلّ الوثائق المتوفّرة، وهي رسائل ومعاهدات وعقود صلح ودفاتر حسابات وسجّلات سفرات وتوصيات بلاطات وتعليقات الدّارسين والباحثين القدامى والْمحدثين.

ولقد بـدا لنـا الأمـر ممكنـا بفضـل الوثـائق الهامّـة والمراسـلات الرّسميّة والإخوانيّة التي احتفظ لنا بها التّاج الأرغونـيّ ببرشـلونة، وبفضل النّصوص القديمة المتوفّرة بالعربيّة والقطلانيّة بمراكز التّوثيق الرّسميّة ببرشلونة ومدريد وبالمة ميورقة وبلنسية وغرناطة بالأندلس.

وقد طلبنا هذه الوثائق وتحوّلنا عديد المرّات إلى برشلونة ومدريد وبلنسـية والمريّـة وبربينيـان عاصمـة قطلانيـا الفرنسـيّة، واسـتطعنا الوقوف على كلّ المراسلات الحاصلة بـين ملـوك أرغـون والأندلـس وسلاطين غرناطة والحفصيّين وتلمسان وبني مرين بفاس. ووُفِّقْنَـا في مسعانا بمساعدة أستاذنا ومعلّمنا الأستاذ العلاّمـة الدّكتـور ايمـانْويلْ دوفرك الذي نقف أمام روحه محيّين ومقدّرين جهوده ومعترفين لـه بـالفضل والجميـل في الوصـول إلى مختلـف السـجلاّت والدّفـاتر القطلانيّـة والتعـاليق الرّسميّـة القديمـة المتّصلـة بهـذه العلاقـات القطلانيّـة الأندلسـيّة والمبـادلات التّجاريّـة والمعـاملات البحريّـة وعمليّات القرصنة وقوائم القطع والنّخاسـة بأسـواق العبيـد بمراسـي قطلانيا والأندلس.

فحصلنا على خمس وسبعين وثيقة، وهي نصوص رسائل ومعاهدات باللّغتين العربيّة والقطلانيّة ودفاتر حسابات وتعاليق بالقطلانيّة تهمّ غرناطة وعلاقاتها بملوك قشـتالة وأرغـون ومـا عاشـته مـن ويـلات

حروب وقطع وإغارة وجهود لعمارة المراكب والأجفان وما قامت بـه من خطط ودسائس لافتداء أسْراها وحماية رعاياها والمحافظـة علـى قلاع الحكم الإسلاميّ الباقية بالأندلس.

إعداد الوثائق

تتمثّل هـذه الوثـائق في خمـس معـاهدات صلـح ورسـائل هامّـة أرسلها الملوك الأُوَل من بني الأحمر إلى ملوك أرغون: جاقمو الثّاني وابنه ألفونسو الرّابع وحفيده بترو الرّابـع. وهـم الملـوك القطلانيّـون الأقوياء، البانون لقوّة مملكة أرغـون الإسـبانيّة النّاشـئة والباسـطون سطوتها ونفوذها على مختلف الأقطار المجاورة والبحار المحيطة.

وهي تمثّل حلقـة هامّـة في سلسلة العلاقـات الـتي قـامتْ بـين غرناطة وأرغون وقشتالة وبلاد العدوة بالمغرب مع بني مرين بفاس.

ولقد احتفظ لنا بهذه الوثائق الأصليّة التّاج الأرغونيّ ببرشلونة، وقامت مؤسّسة التّاج بحفظها وتوثيقها وتعهدّها، فكانت على حالة جيّدة، ما عدا بعض الرّسائل التي امّحتْ منها بعـض العبـارات في النّصّ العربيّ، واختلّتْ منها بعض التّراكيب لتقادم العهـد وانعـدام الصّيانة الكافية لهذا النّصّ العربيّ؛ غـير أنّ النّـصّ القطلانـيّ كـان على حالة حسنة فساعد على تفهّم النّصّ العربيّ وإعادته إلى حالته

الأصليّة. وتمّ القيام بالتّرجمة ومقارنتها بالنّصوص السّليمة والتّعرّف على المفردات الأصليّة العربيّة التي اعتاد الملوك استعمالها في رسائل أخرى؛ وبفضل ذلك أمكن وضْع هذه المفردات في أماكِنها في الفراغات الحاصلة. وقد تمّت الإضافات بعد المقارنات والتّثبّت والرّجوع إلى النّصوص العربيّة السّليمة الأخرى في هذه المراسلة والتّحقّق من سابق استعمال السّلطان لمثل هذه الكلمات والصّيغ والتّراكيب. وبعد استعراض التّعابير والصّيغ التي اعتاد كلّ ملك أو وزير استعمالها سواء في المقدّمة وقسم الدّعاء أو في الجوهر وطريقة التّخلّص إلى الموضوع المقصود والتّعبير عن المطلوب أو في قسم الختم والتّسليم، فكان بالإمكان الوصول إلى العبارة التي امّحت والصّيغ التي تعطّلت وإثبات النّصوص على حقيقتها متوافقة مع التّرجمة القطلانيّة المتوفّرة والمحفوظة مع النّصّ العربيّ بأرشيف أرغون ببرشلونة.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن التّاجر الإسبانيّ كبماني كان تولّى نشر هذه الوثائق في القرن الثّامن عشر في طبعة حجريّة مع مجموعة من الوثائق الأخرى الخاصّة بمراسلة ملوك أرغون مع الدّول المغاربيّة والإسلاميّة من الحفصيّين والمرينيّين وبني زيّان وقالوون بمصر مثلا.

ولقد سمحتْ نصوص كبماني بمقارنة النّصوص بعضها ببعض والتّعرّف على خصائص المفردات المستعملة والصّيغ الخاصّة بكلّ دولة مغاربيّة أو أندلسيّة، فالتّراكيب والعبارات التي كان يستعملها حاجب مّا في بلاط غرناطة تختلف عن المفردات والصّيغ التي كان يلجأ إليها سلطان تونس أو سلطان فاس، لذلك كان لا بدّ من الالتزام بروح النّصوص وخصوصيّاتها ومرجعيّاتها ومصادرها: غرناطة أو فاس أو تونس. وكان نصّ كبماني والوثائق الأصليّة المحفوظة بالصّناديق الخاصّة بأرشيف التّاج الأرغونيّ في قسم المخطوطات العربيّة[1] خير مساعد للمسك بزمام هذه المراسلة وإعداد الوثائق ونشرها. وأمّا الأسماء والتّواريخ الهجريّة خاصّة فلقد تمّت مقارنتها بما ورد في "تاريخ" ابن خلدون بالجزء السّادس، و"الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدّين بن الخطيب وكتاب "الاستقصاء..." للنّاصريّ في الجزء الرّابع وفي تاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن عذاري المرّاكشيّ، وفي دراسات الباحثين الإسبان والفرنسيّين مثل جيمي سولار وبرونشفيك[2] وهنري تيراس[3] المؤرّخ

(1) ـ Cartas arabes.

(2) ـ برونشفيك في دراسته وأطروحته: الحفصيّون والمغرب الأدنى.

(3) ـ تاريخ المغرب للأستاذ العلاّمة هنري تيراس H. Terrasse.

الفرنسيّ المختصّ في تاريخ المغرب في النّصف الأوّل من القرن العشرين.

ولقد ساعدنا للوصول إلى الوثائق الباحث والمختصّ في العلاقات التّونسيّة الإسبانيّة الكاتب العامّ السّابق للحجرة التّجاريّة القطلانيّة المتوسّطيّة ببرشلونة القنصل الشّرفيّ لتونس بها السّيّد أُوريلو رُوزس Aureolo Rosas. كما مكّننا من التّعرّف على بعض السّجلاّت والملفّات القطلانيّة الأستاذ الكبير والباحث القدير إيمانويل دوفرك[1] الذي كان تفضّل مشكورا بقبول الإشراف على أطروحة دكتوراه الدّولة التي بدأنا في إعدادها معه في نفس الموضوع بجامعة باريس العاشرة بنانتير.

وكان قبله ساعدنا على التّعرّف عليه وشجّعنا على الاهتمام بمثل هذه البحوث وقَبِل توجيهنا والإشراف على ديبلوم الدّراسات المعمّقة حول المراسلة مع أرغون أستاذنا وصديقنا وصاحب الفضل علينا في دراستنا بالصّادقيّة بتونس ودار المعلّمين العُليا بها وبحوثنا الجامعيّة الأستاذ المؤرّخ والباحث الكبير الدّكتور محمّد الطّالبي. فله منّا جزيل الشّكل والتّقدير وصادق العرفان.

---

(1) - إيمانويل دُوفرك: العلاقات القطلانيّة المغاربيّة في القرن الثّالث عشر.

المراجع والمصادر الأساسيّة المعتمدة

إلى جانب هذه الوثائق التي قمنا بإعدادها مع الشّرح والتّحليل والتّعليق ـ ومثّلت العمود الفقريّ لهذا البحث وهذا العمل ـ اعتمدنا مراجع أساسيّة هامّة لا بدّ من التّوقّف عندها وهي:

1. أرشيف التّاج الأرغونيّ[1] وسجلاّت التّاج ودفاتر البلاط الخاصّة بالقرنين الثّالث والرّابع عشر تحت أرقام: 55–56–57–58–59 وخاصّة سجلاّت جاقمو الثّاني رقم 24–55.

ـ السّجلاّت الخاصّة بنوّاب الملك [2] تحت رقم 409–410. والدّفاتر الخاصّة بألفونسو الرّابع 481–519. وجميعها باللّغة القطلانيّة القديمة.

2. مجموعة النّصوص الموثّقة في قسم القرطاس الدّيبلوماسي الملكي[3] خاصّة صندوق 132 الذي به الوثائق العربيّة المختلفة.

3. الدّفاتر المتعدّدة التي تخصّ السّفارات والتّمثيليّات الأرغونيّة.

---

(1) ـ A.C.A.: بمكتبة التّاج الأرغونيّ ببرشلونة.

(2) ـ نواب الملك: Infants: بيترو ـ جاقمو ـ جاقمو اللّقيط.

(3) ـ Cartas Reales Diplomaticas.

4. مجموعة السّجلاّت البحريّة[1] مارينـا، الـتي تهـمّ إعمـار السّـفن والأجفان وكراءها.

5. دفاتر المقابيض والمداخيل للتّاج الأرغونيّ في القـرن الرّابـع عشـر وخاصّة:

- دفتر فيليب نوبل رقم 629 و632 لسنوات 1329م/1321م.

- دفاتر ماسـتر[2] راسيونال تحـت رقـم 686 مـن سـنة 1321م إلى 1351م[3].

6. دفاتر العشر الخاصّة بجاقمو الثّاني إلى سنة 1327م.

7. أرشيف بلديّة برشلونة، الدّفتر العامّ لمجلـس المائـة Conseil des cents.

8. مجموعة دفاتر ديفرسُوم Diversum الخاصّة بالقرن الرّابع عشر.

9. أرشيف مملكة ميورقة ببالمة والأرشيف التّاريخيّ فيها.

10. أرشيف المكتبة الوطنيّة بمدريد وخاصّـة البحـوث حـول طريفـة

(1) - Marina تحت رقم 55.

(2) - R. Maestre Racional.

(3) - العشر: Decime الّذي للدّيوانة بطريقة على البضائع. رقم 686.

وعهد الملك القشتاليّ سانشو الرّابع.

11. أرشيف المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس، وخاصّة الأرشيف الخاصّ بملوك ميورقة، ضمن الأرشيف الوطنيّ الفرنسيّ وما به من خرائط متّصلة بالمراسي والمدن القطلانيّة والأندلسيّة.

12. مصادر أساسيّة:

- الوثائق والمعاهدات والملاحظات التي جمعها ماس لاتري Mas Latrie في القرن الماضي.

- الدّراسات والبحوث القديمة التي تمّت الإشارة إليها في قسم المراجع مثل سجلاّت الرّحلات والأسفار والأحاديث والملاحظات الجغرافيّة لابن عذاري المرّاكشي والتّيجاني وابن بطّوطة ورحلة ليون الإفريقيّ Leon l'Africain في القرن السّادس عشر ميلادي.

13. المصادر التّاريخيّة العربيّة القديمة:

- تاريخ العلاّمة عبد الرّحمان بن خلدون.

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدّين بن الخطيب.

14. أخبار القطلانيّ مُنْتنَار Montaner (السّفير المتنقّل) وخاصّة ما كتبه حول ملك أرغون بترو الرّابع.

15. مذكّرات البرشلوني كبماني Capmeny.

16. الدّراسات التّاريخيّة القديمة التي كتبها في القرن السّادس عشر الإسبانيّ زوريتا Zurita.

17. الدّراسات والبحوث الحديثة الهامّة التي تمّت الإشارة إليها وكتبها كلّ من جورج مارسي وهنري تيراس وروبار برونشفيك ودوفرك ايمانويل حول إسبانيا المسيحيّة والأندلس وعلاقاتها بالغرب الإسلاميّ.

18. وأخيرا دراسة فرنان بْرُودال[1] الهامّة حول بلدان البحر الأبيض المتوسّط في عهد فيليب الثّاني.

- وتاريخ العالم الإسلاميّ لبروكلمان الألماني. والفصول الثّمينة بدائرة المعارف الإسلاميّة الفرنسيّة[2] حول غرناطة في الجزء الثّاني والنّاصريّين في الجزء الثّالث.

إنّ هذه المراجع الأساسيّة الهامّة ساعدت على تفهّم هذه العلاقات الإسبانيّة القطلانيّة الإسلاميّة بالأندلس وشبه الجزيرة

---

(1) - فرنان برودال : Fernand Brandel "La méditeranée au temps de philippe II"

(2) - Encyclopédie de l'Islam. tome 2 et tome 3. Leyde: E.E. Brill. Maisonneuve et Larosre. Paris 1977.

المغاربيّة وعلى النّفاذ إلى روح هذه الوثائق الأصليّة العربيّة القطلانيّة ببرشلونة واستيعاب الأحداث التّاريخيّة التي جرت وشكّلت نسيج هذه العلاقات القطلانيّة الأندلسيّة وقوام هذه المخطّطات والتّوجّهات الأرغونيّة الإسبانيّة.

إنّ مختلف الدّراسات والبحوث المعاصرة المعتمدة في هذا العمل والمفصّلة في قسم المراجع لا تقلّ قيمة وفائدة عمّا بيّناه للوصول إلى الإحاطة بهذه العلاقات والسّيطرة على المخطّطات القطلانيّة الإسبانيّة المسيحيّة المرسومة للاستيلاء على غرناطة والتّعجيل بسقوطها.

إنّ توثيق الرّسائل والكتب المتبادلة بين الحكّام والدّول في القديم والحديث عمليّة أساسيّة وهامّة لا مندوحة عنها للباحث والمؤرّخ، ولا يمكن أن ينكر أحد فائدتها ودورها في رصد الحقيقة التّاريخيّة والمسك بالخيط الرّابط بين الأحداث والمواقف السّياسيّة وتشكيل الثّورات والهزّات داخل حدود الدّول وخارجها. ولقد اهتدى التّاج الأرغونيّ ببرشلونة بإسبانيا لهذه الأهمّيّة وبادر بتسجيل مختلف الوثائق وخزْنها والمحافظة عليها. فكانت معينا ثريّا للمؤرّخين والباحثين في السّياسة وعلم الاجتماع والعلاقات الدّوليّة في العصر الوسيط. ولقد قدّم المسؤولون الإسبان في هذه الفترة

حكّاما وباحثين ومؤرّخين ورجال دين خدمة كبيرة للتّاريخ باحتفاظهم بهذه الوثائق وخزنها واهتدائهم لدورها وفضلها في الكشف عن الحقيقة التّاريخيّة ورصد مختلف الأحداث والملابسات والمخطّطات. وهي مساهمة موضوعيّة في رسم خطوط الخارطة التّاريخيّة واستشرافها، وعمليّة هامّة لم يتفطّن إليها المسؤولون والحكّام في الدّول المغاربيّة والممالك الإسلاميّة عموما بالأندلس وبغيرها من المناطق في هذه الحقبة التّاريخيّة الهامّة في العصر الوسيط.

والملاحظ أنّه لم يقع التّفطّن إلى أهمّيّة هذا التّوثيق في بلادنا العربيّة الإسلاميّة إلاّ مؤخّرا في هذا القرن، وهو ما يساعد على كتابة التّاريخ الموضوعيّ الرّابط بين الأحداث والأسباب والمسجّل للتّطوّرات وعواملها واستشراف المستقبل الموضوعيّ وحدوده.

وإنّ الوثائق الأصليّة بالعربيّة والقطلانيّة التي احتفظ بها لنا التّاج الأرغونيّ المتعلّقة بعلاقات الدّولة الأرغونيّة القطلانيّة وإسبانيا المسيحيّة بمملكة غرناطة والأندلس ثمينة وجديرة بكلّ عناية واهتمام، وتُقدّم أجلّ الخدمات للباحثين والمؤرّخين، وهي تساهم في شرح ما جرى من أحداث وتطوّرات في المنطقة في القرن الرّابع عشر (م)، وتساعد على إدراك أسباب سقوط غرناطة في القرن

الخامس عشر (م) وتفهّم ما يجري حاليًا من تدهور وضعف في جسم الدّولة العربيّة الإسلاميّة وتفكّك في البناء العربيّ ووَهن في كيان الدّولة العربيّة الإسلاميّة في أيّ مكان من الخريطة العربيّة الإسلاميّة.

فهل التّاريخ في بلادنا يعيد نفسه بدون التّفطّن لما كان حدث ولما يحدث واستشراف ما سيحدث ؟

وهل تجني البلاد العربيّة الإسلاميّة اليوم مثل الأندلس وغرناطة بالأمس أشواك تجاهلها للتّاريخ ودروسه وإغفالها أسباب وهنها في القديم ونكساتها في التّاريخ القديم والحديث، من عهد سقوط طليطلة وقرطبة إلى سقوط غرناطة واحتلال فلسطين والتّفريط في القدس، والعجز المتواصل عن حماية "الأقصى" الشّريف وصيانة حرمة البلاد العربيّة الإسلاميّة، والعودة إلى المساهمة الفعّالة في بناء الحضارة الإنسانيّة ؟!

إنّ هذه الوثائق الخمس والسّبعين والمراسلات المتبادلة بين ملوك أرغون وغرناطة والتي تشكّل أساس هذه الدّراسة والتّحليل والتّعليق على ما جرى بين الدّولتين القطلانيّة والأندلسيّة في القرن الرّابع عشر ميلادي، تسمح بالكشف عن أسباب وهَن الدّولة الإسلاميّة

بالأندلس وتراجعها وتفضح المخطّطات الأرغونيّة الإسبانيّة وأبعاد سياستها وأغراضها التّوسّعيّة !!

الدّراسة وأهدافها:

إنّ الهدف الذي رسمناه لأنفسنا لا يروم فحسب تتبّع الأحداث وتبنّيها ورصد دوافعها وخفاياها وأبعادها فحسب بل يتجاوزها أيضا إلى محاولة الوقوف على أسباب وهن الدّولة العربيّة الإسلاميّة بالأندلس وشبه الجزيرة المغاربيّة ودواعي انهيار الحكم الإسلاميّ بإسبانيا وضعفه بكامل المنطقة المغاربيّة بعد عصور عزّ وقوّة، وأخيرا المسك بالمعطيات الموضوعيّة لسقوط غرناطة وسبب تقبّل الدّولة الإسلاميّة بالشّرق للأمر الواقع، وعدم اندفاعها لنجدة المسلمين المستغيثين بإسبانيا عام 1492م أي سنة تسليم سلطان غرناطة مفاتيح المدينة لإيزابيلا ملكة قشتالة وزوجها ملك أرغون فردينان السّلطانيْن الموحّديْن لإسبانيا المسيحيّة في دولة واحدة قويّة عنيدة. بعد تنافس تواصل ثلاثة قرون أو أكثر أخّر سقوط البلاد الأندلسيّة بأكملها ! فلقد أعطى هذا التّوحّد الإسبانيّ للملكة الإسلاميّة المتفكّكة بالأندلس الضّربة القاضية والقاصمة بشبه الجزيرة المغاربيّة والجرعة القاتلة لكلّ محاولة استرجاع للأنفاس والنّهوض. فكان سقوط الدّولة المرينيّة سنة سقوط غرناطة على يد أحد وزرائها من

بني وطّاس، أحد بطون زناتة النّاقمين والمتحاملين على بني مرين.

وإلى جانب هذا الغرض طُلبت غاية ثانية تقود إلى حقيقة تاريخيّة ثابتة وصادمة في هذه المنطقة تتمثّل في إخفاق المسيحيّة الإسبانيّة مدّة توقّدها واندفاعها بإسبانيا في القضاء على الحكم الإسلاميّ وإشعاعه بالجزيرة المغاربيّة وعجزها على الانتصاب بها وإعادة بناء حكم رومانيّ غربيّ ذي طابع حضاريّ أوروبّيّ إفريقيّ بها، بل عدم قدرتها على إيقاف المدّ الإسلاميّ وإطفاء شعلته الحضاريّة الشّرقيّة بهذه الرّبوع. ولنا أن نتساءل عن سبب نجاحها بالأندلس وعجزها بإفريقيّة والمغرب.

ونستطيع بفضل هذه الوثائق ومختلف الأحداث الحاصلة بالمنطقة أن نستشفّ الجواب وأن نتوصّل إلى فهم أسباب العجز العربيّ الإسلاميّ اليوم وتواصل ضعف الدّولة العربيّة الإسلاميّة إلى حين حاليًّا، وتوقّف المدّ الحضاريّ الإسلاميّ رغم محاولات النّهوض ! !

العلاقات الإسبانيّة الأندلسيّة وما تطرحه من مشاكل

استطاعت إسبانيا المسيحيّة موحّدة في دولة قويّة واحدة قشتاليّة قطلانيّة هزم المسلمين والقضاء عليهم نهائيًا بعد ثمانية قرون من

الحضور الإسلاميّ بالأندلس، وتمكّنت من استرجاع هذه الأرض الأوروبيّة وقصم ظهر الحضارة الإسلاميّة المشعّة على العالم آنذاك والمضيئة لدواميس أوروبا التي كانت قابعة في ظلام حالك وتعصّب كبير وجهل مطبق.

انطلقت هذه المجابهة بين الحضارتين الغربيّة القديمة القائمة على قانون الغاب والحضارة الإسلاميّة المعتمدة التّوحيد والتّنوير منذ سنة 711هـ ـ السّنة التي اجتاز فيها طارق بن زياد القائد الإفريقيّ البربريّ بجيوشه العربيّة والبربريّة تحت إمارة القائد العربيّ موسى بن نصير جبل طارق ـ واستولى في تلك السّنة وبعدها بيسر مذهل على الأندلس وكل جنوب شبه الجزيرة الإيبيريّة، وتمكّنت إثر ذلك الدّولة الإسلاميّة النّاشئة بإفريقيّة والقيروان من إرساء حكم عربيّ إسلاميّ تجاوب معه السّكّان وعدد من الحكّام الإيبيريّين المتناحرين والمتقاتلين.

وبفرار عبد الرّحمان الدّاخل ـ سليل الخلافة الأمويّة المنهارة بدمشق سنة 733هـ عبر إفريقيّة، واستقراره بالأندلس وتوفّقه إلى تركيز حكم مركزيّ قويّ بقرطبة وخلافة منافسة للعبّاسيّين ــ توحّدت كلمة المسلمين وتوطّدت أركان دولتهم، وتراجعت القوى الأهليّة الإسبانيّة الغوليّة والقطلانيّة إلى حدود جبال البيريني

بسقوط طليطلة القاعدة الإمبراليّة الرّومانيّة وسرقسطة الباسكيّة وبرشلونة القطلانيّة وغيرها من الممالك والولايات والقواعد الهامّة للحكم الرّوميّ الغوليّ الإيبيريّ المتنافسة. فكانت الدّولة الإسلاميّة العربيّة الأندلسيّة قويّة مشعّة للتّقدّم الفكريّ والحضاريّ والتّسامح الدّينيّ والتّعايش البشريّ المتعدّد الأجناس والأطراف وذلك باسم المبدإ الإسلاميّ القائل "لا إكراه في الدّين" الذي سمح لغير المسلمين ـ النّصارى واليهود ـ بالتّواجد والعيش إلى جانب المسلمين في أمن واطمئنان في كنف الإسلام وحمايته وضمان دولته.

المعاهدون

وبفضل هذا التّسامح أو التّعايش الذي تميّز به الحكم الإسلاميّ اختار كثير من نصارى إسبانيا العيش بالمناطق الإسلاميّة والبلاد التي غزاها الإسلام واستقرّ بها العرب أو البربر، وفضّل الكثير منهم نمط الحياة الإسلاميّة العربيّة واستعرب مع البقاء على نصرانيّته. وكان هؤلاء هم النّصارى المستعربون والمعاهدون[1]. هؤلاء المعاهدون هم النّصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة

---

[1] ـ انظر Los mozarabes مقدّمة "الإحاطة في أخيار غرناطة" للمحقّق محمّد عبد الله عنان. نشر مكتبة الخفاجي بالقاهرة سنة 1973.

تحت حكم الدّولة الإسلاميّة. وكانوا يكوّنون أقلّيات كبيرة في القواعد الرّئيسيّة والمدن الهامّة مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة. وكانوا يتمتّعون في ظلّ الحكومة الإسلاميّة باستقلال في العمل والمحلّ، ويطبّقون شرائعهم القوطيّة القديمة، فكان لهم قضاؤهم الخاصّ وكنائسهم يزاولون فيها شعائرهم الدّينيّة بكلّ حرّيّة. وكانوا فوق ذلك يتمتّعون بنفوذ كبير قويّ، ويحتلّ كثير منهم مناصب هامّة في الحكومة الإسلاميّة والجيش. ولقد أنشأت الحكومة الأندلسيّة، اعترافا منها بأهمّيّة الأقلّيات النّصرانيّة، منصب "القومس"[1] للنّصارى ليكون مرجعهم الرّئيسيّ في شؤونهم الرّوحيّة. وكان "القومس" من الشّخصيّات ذات النّفوذ، وكانت له في معظم الأحيان مكانة خاصّة لدى الخليفة أو الأمير المسلم، فكان المستشار في كلّ ما يتعلّق بشؤون النّصارى وأحوالهم. وكانت هذه الحقوق الممنوحة لهم تستمدّ روحها وفلسفتها من "العهدة العُمريّة" التي كان أعلنها الخليفة عمر بن الخطّاب ببيت المقدس، عند افتتاحها في العقد الثّاني للهجرة لفائدة أهل الكتاب من النّصارى واليهود الذين اختاروا البقاء مع المسلمين.

(١) ـ قومس: Comes. فصل "المعاهدون".

ونمت بفضل هذا التّسامح الأقلّيات النّصرانيّة بالأندلس وازدهرت وكوّنت تدريجيّا قوّة مهدّدة وقادرة على مناوأة الحكومة الإسلاميّة وتدبير الدّسائس ضدّها. وكان "المعاهدون" خلال مدّة تراجع الحكم المركزيّ بقرطبة وتفكّك السّلطة مبعثا للدّسائس والفتن وعضد الثّورات المختلفة في المدن والمقاطعات الثّائرة الطّامعة في الحكم والجاه تُذكيها وتساعدها ولا سيّما بطليطلة وما جاورها من المدن القريبة من حدود النّصارى.

ومن الغريب أنّهم ـ حسبما يؤكّده المؤرّخون القدامى[1] مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلاميّة ـ كانوا يأخذون بقسط كبير من التّقاليد والعادات الإسلاميّة، وكانوا يتكلّمون العربيّة ويكتبونها ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم. وقد نبغ كثير منهم في النّظم والنّثر، وكانوا وزراء وكتّابا في بلاطات قرطبة وإشبيلية وغرناطة، لكنّهم كانوا عاجزين عن التّحرّك مدّة الحكم المركزيّ الموحّد للسّلطة الأمويّة القديمة بقرطبة.

والملاحظ أنّه في عهد الخليفة عبد الرّحمان بن الحكم (206هـ –

---

[1] ـ لسان الدّين بن الخطيب: "الإحاطة في أخبار غرناطة".
ـ وابن خلدون: "التّاريخ..." فصل "البربر". ج 6.

238هـ الموافق لِـ 822م – 852م) حاول النّصارى "المعاهدون" أن يدبّروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلاميّة. وعمد بعض القساوسة من المتعصّبين إلى سبّ الإسلام والرّسول صلّى الله عليه وسلّم جهرا في شوارع قرطبة أمام القضاة الذين كانوا يحاكمونهم. ودفعوا إلى هذا التّحدّي بعض الفتيات النّصرانيّات المتعصّبات، فقُضي على عدد منهم بالإعدام، فازداد النّصارى هياجا وتحدّيا. وكادت تحدث فتنة في قرطبة مدمّرة لولا أن تدرّعت الحكومة الإسلاميّة في إخمادها بمنتهى الحزم والشّدّة.

ولبث النّصارى "المعاهدون" على مرّ العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلاميّة، يحاولون دوما إحداث الفتن والشّغب بكلّ الوسائل، ويشجّعون كلّ خلاف وثورة، ويتحالفون مع المملكة النّصرانيّة الشّماليّة بقشتالة وكلّ الدّويلات والممالك النّصرانيّة الإسبانيّة النّاشئة والمهدّدة، ويشجّعون متعصّبيها ويسْتَعْدُونها على الأندلس باستمرار. وقد لعبوا دورا كبيرا في إحداث الثّورات وإضعاف الممالك الإسلاميّة بالأندلس بعد سقوط الخلافة الأمويّة بها واختفاء حكم مركزيّ قويّ وعصبيّة موحّدة وسلطة قويّة تظلّل الجميع.

كانت جهود هؤلاء المعاهدين الذين حمتهم الدّولة الإسلاميّة

بالأندلس من أهمّ العوامل في إضعاف الحكومة الإسلاميّة ومعاضدة إسبانيا النّصرانيّة القطلانيّة والقشتاليّة على القضاء على الحكومة الإسلاميّة بالأندلس. وقد اعتبرهم النّصارى أبطال المسيحيّة وخصّوهم بمصنّفات وبحوث كثيرة[1]. وشكّل هؤلاء عاملا كبيرا ساهم في الفتّ في ساعد الدّولة الإسلاميّة وإضعافها والقضاء عليها تدريجيّا في كلّ دولة من دويلات الأندلس ومملكة غرناطة نهائيّا.

فهذا العامل صاحبَ كلَّ الأسباب الموضوعيّة والأحداث التّاريخيّة التي اجتمعت جميعا للقضاء على الدّولة الإسلاميّة بإسبانيا وساعدت على سقوط قواعدها قاعدة إثر قاعدة بإسبانيا من عهد الخلافة الأمويّة بقرطبة إلى عهد الدّولة المرابطيّة بها، والدّولة الموحّديّة فالدّولة المرينيّة، الحامية كلّها للأندلس المدافعة عنها وقت انعدام الحكم المركزيّ القويّ العتيد بهذه البلاد في مختلف مراحل تاريخها.

(1) ـ انُظر سيموني في كتابه: "تاريخ النّصارى المعاهدين بإسبانيا"

.Simonet : Historia de los mozarabes de Espana. éd. 1897.

ـ وارجع إلى كتاب وضعه المستشرق ايريدو دي لوس كاجيقاس:

.Iridio de los de los Cagigas : los mozarabes. éd. Madrid 1947.

هذه سمة هامّــة طبعت السّلطة الإسلاميّة بالأندلس وواكبتْ مراحل نموّها وضعفها وظروف الإجهاز عليهـا تدريجيّا ونهائيّا في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي.

إنّ هذه العلاقات القطلانيّة الأندلسيّة في القرنين الثّالث والرّابع عشر (م) ترسم لنا هذه المراحل التّدريجيّة التي شكّلها التّاريخ الإسلاميّ الإسبانيّ بالأندلس والمعطيات السّياسيّة والاجتماعيّة بالمنطقة ومختلف الخطط الخفيّة والمعلنة التي أعَدَّها النّصارى ـ قشتاليّون وقطلانيّون ـ للإجهاز على الدّولة الإسلاميّة الأندلسيّة. وتسمح لنا هذه الوثائق الهامّة التي نتولّى تحقيقها ونشرها في هذا القسم الأوّل من هذه الدّراسة بأن نستشفّ هذه الخطط المراوغة والدّسائس الخفيّة والسّياسة المعلنة والصّامتة المتوخّاة لإضعاف الحكم الإسلاميّ المتبقّي بالأندلس وإسقاط غرناطة.

ولئن كانت هذه الوثائق ــ ظاهرا ــ تؤسّس لعلاقات سلميّة تعاونيّة بين أرغون وغرناطة، وأحيانا بين كلّ إسبانيا والأندلس وخلفائها من المسلمين بالمغرب، فهي في الحقيقة مراسلة تعمل على إسكات الحرب وعلى منع الغارات وإيقاف القطع المتبادل وتبعاته الخطيرة. وهي تثبت أنّ الحرب غير المعلنة كانت جارية ومستنزفة لقوى المسلمين وأنّ عواقبها كانت موجعة ومؤلمة للطّرفين، فكان

النّصارى ـ قطلانيّين وقشتاليّين ـ يعملون جـاهدين للتّخفيـف منهـا وجني أكبر الفوائد الممكنة، ولذلك أبرمت عقود الصّلـح ومعـاهدات السّلم بين أرغون وغرناطة وقشتالة وبني الأحمر بـل بـين النّصـارى والمسلمين بالأندلس والمغرب أيضا.

وكـانت لهـذه المعـاهدات وهـذه العلاقـات السّـلميّة والتّجاريّـة جدواها وآثارها الحسنة والإيجابيّة في عهد ملـوك غرناطـة الأقويـاء المدعومين من السّلاطين المرينيّين والحكـم المريـنيّ القـويّ المتماسك والمتلاحم إلى موفّى القرن الرّابع عشر (م). وسريعا ما تحوّلت الأمور إلى السّير في اتّجاههـا المرسـوم الموضوعـيّ والمشـؤوم، بعـد تكـاثر الدّسائس والفتن وتراجع النّفوذ المركزيّ والعصبيّة ـ كما عـبّر عنهـا ابن خلدون ـ وظهـور الأقـزام مـن الحكّـام والصّبيـة مـن السّـلاطين بغرناطة وفاس على السّواء.

فكانت النّهاية المنتظرة والسّقوط حصيلة التّشرذم والتّكالب على السّلطة المرينيّة غربـا وشـرقا والرّضـا بالاسـتمتاع بالفُتـات والمظـاهر والألقاب والغفلة عن جوهر الأمور وعن سياسة النّظر البعيد والمتابعة والبناء للدّولة القويّة المتماسكة بالغرب الإسلاميّ والضّامنة للحضـور الإسـلاميّ والتّواجد الحضـاريّ بإسـبانيا بـالبلاد العربيّـة الإسـلاميّة وجنوب أوروبّا بحوض البحر الأبيض المتوسّط.

فهل وعَى العرب والمسلمون اليوم هذه الحقيقة ؟ وهل أدرك المسؤولون والشّعوب على حدّ السّواء حقيقة الوضع المأساويّ الذي تعيشه البلاد العربيّة الإسلاميّة اليوم، وكانت عاشته الأندلس وبلاد المغرب في القرنين الرّابع عشر والخامس عشر (م)؟

إنّ الجواب على هذا التّساؤل وغيره من المسائل الهامّة يمثّل هدف هذا العمل وغرض هذا البحث التّاريخيّ السّياسيّ في العلاقات الإسبانيّة الإسلاميّة بالأندلس وشبه الجزيرة المغاربيّة.

القسم الثّاني:

الوثائق (رسائل وعقود صلح)

تقديمها - تحليلها - التّعليق عليها

1°) ـ الوثيقة رقم 3 بالأرشيف الأرغوني

ـ التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة عقد صلح وتحالفا بين ملك غرناطة محمّد الثّاني وجاقمو الثّاني ملك أرغون ضدّ مملكة قشتالة بإسبانيا بتاريخ آخر ربيع الثّاني سنة 701هـ الموافق لـ31 ديسمبر سنة 1301م وغرّة جانفي سنة 1302م.

ـ نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ يقفُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ أَنَّا الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالقةَ وَمَا إِلَيْهِمَا وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ نَنْعَمُ لَكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ دُونْ جَاقْمُو[1] مَلِكُ أَرغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَمُرْسِيَةَ وكُنْدُ[2] بَرْجَلُونَةَ بِأَنْ نَكُونَ لَكُمْ صَاحِبًا وَفِيًّا وَيَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صُلْحٌ ثَابِتٌ وَصُحْبَةٌ صَادِقَةٌ يَكُونُ فِيهَا أَصْحَابُكُمْ أَصْحَابَنَا وأَعْدَاؤُكُمْ أَهْلُ قَشْتَالَةَ أَعْدَاءَنَا وَنَرْفَعُ الضَّرَرَ وَالفَسَادَ عَنْ بِلاَدِكُمْ وأَرْضِكُمْ مِنْ بِلاَدِنَا وأَرْضِنَا وَلاَ نَجْعَلُ سَبِيلاً لِذَلِكَ لأَحَدٍ مِنْ نَاسِكُمْ لاَ فِي البَرِّ وَلاَ فِي البَحْرِ. وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَصْدُرَ لأَحَدٍ أَوْ لِمَوْضِعٍ مِنْ نَاسِكُمْ أَوْ بِلاَدِكُمْ ضَرَرٌ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ يَرْجِعُ إِلَى حُكْمِنَا فَنَحْنُ نُنْصِفُ مِنْهُ بالحَقِّ الوَاجِبِ. وَعَلَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ لَنَا كَذَلِكَ صَاحِبًا وَفِيًّا كَمَا ذَكَرْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ وَتَلْتَزِمُوا لَنَا صُحْبَةً صَادِقَةً وَصُلْحًا ثَابِتًا وَتُصَاحِبُوا كُلَّ صَاحِبٍ لَنَا وَتُعَادُوا كُلَّ عَدُوٍّ لَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ أَوْ مِنْ أَهْلِ قَشْتَالَةَ وَتَرْفَعُوا الضَّرَرَ

---

(1) ـ في الأصل: جاقمو.

(2) ـ في الأصل: وكند: وقنط.

وَالفَسَادَ عَنْ بِلاَدِنَا كُلِّهَا وَعَنْ نَاسِنَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ. وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى طَاعَتِنَا بَلَدٌ مِنْ بِلاَدِ العُدْوَةِ أَوْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَكُونُ حُكْمُهُمْ فِي ذَلِكَ كَحُكْمِ سَايِرِ بِلاَدِنَا الأَنْدَلُسِيَّةِ، وَمَتَى صَدَرَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ نَاسِكُمْ أَوْ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِكُمْ ضَرَرٌ لِأَحَدٍ مِنْ نَاسِنَا أَوْ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِنَا الأَنْدَلُسِيَّةِ أَوْ التِي تَكُونُ مِنْ بَرِّ العُدْوَةِ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُنْصِفُوا مِنْهُ فِي الوَقْتِ وَالحِينِ كَمَا ذَكَرْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ. وَكَذَلِكَ نَنْعَمُ لَكُمْ بِأَنْ يَصِلَ إِلَى بِلاَدِنَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ الوُصُولَ بِرَسْمِ التِّجَارَةِ مِنْ بِلاَدِكُمْ بِمَا شَاؤُوا مِنْ أَنْوَاعِ التِّجَارَاتِ وَيُسَرَّحَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ وَيَكُونُوا مُؤَمَّنِينَ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْ يُنْصِفُوا مِنَ الحُقُوقِ الوَاجِبَةِ عَلَى العَادَةِ وَيُنْصِفُوا مِنْ حُقُوقِهِمْ الوَاجِبَةِ لَهُمْ فِي الدَّوَاوِينِ عَلَى العَادَةِ. وَعَلَى أَنْ يَكُونَ أَيْضًا كُلُّ مَنْ يَتَوَجَّهُ مِنْ بِلاَدِنَا إِلَى بِلاَدِكُمْ مِنَ التُّجَّارِ مُؤَمَّنِينَ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَيُسَرَّحَ لَهُمْ فِي بِلاَدِكُمْ مَا شَاؤُوا مِنْ أَنْوَاعِ المَتَاجِرِ وَيُنْصِفُوا مِنَ الحُقُوقِ الوَاجِبَةِ عَلَى العَادَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْدَاثِ زِيَادَةٍ وَيُنْصِفُوا مِنْ حُقُوقِهِمْ الوَاجِبَةِ لَهُمْ كَمَا ذَكَرْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ.

وَكَذَلِكَ نَنْعَمُ لَكُمْ أَنْ نُعِينَكُمْ عَلَى أَهْلِ قَشْتَالَةَ فِي نِفَاقِهِمْ مَعَكُمْ. وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَجِيءَ لَكُمْ إِلَى مُرْسِيَةَ صَاحِبُ قَشْتَالَةَ

الآنَ أَوْ مَقْدُرَتَهُ فَنُعِينُكُمْ بمَا نَقْدِرُ عليْهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَلاَ نَعْمَلُ مَعَهُمْ صُلْحًا وَلاَ مُهَادَنَةً إلاَّ برَأْيكُمْ وَفِي مَنْفَعَتِنَا وَمَنْفَعَتِكُمْ. وَعَلَى أَنْ تَلْتَزِمُوا أَنْتُمْ مَا نَلْتَزِمُهُ نَحْنُ مِنَ النِّفَاق عَلَيْهِمْ وَمِنَ الغَارَاتِ عَلَى أَرْضِهِمْ كُلِّهَا وَلاَ تَعْمَلُوا مَعَهُمْ صُلْحًا وَلاَ مُهَادَنَةً إلاَّ برَأْيِنَا وَفِي مَنْفَعَتِكُمْ وَمَنْفَعَتِنَا حَتَّى تَكُونَ الحَالُ وَاحِدَةً فِي النِّفَاق وَالاتِّفَاق وَعَلَى أَنْ تُعِينُونَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ مَتَى احْتَجْنَا إلَى إعَانَتِكُمْ بمَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْتُمْ فِي كِتَابكُمْ.

وَكَذَلِكَ نَنْعَمُ لَكُمْ [إنْ] احْتَجْتُمْ إلَى إعَانَتِنَا فِي أَرْض مُرْسِيَةَ بفُرْسَان مِنْ عِنْدِنَا أَنْ نُعِينَكُمْ بهِمْ عَلَى أَنْ يُضَمُّوا[1] فِي بلاَدِكُمْ [وَيَأْكُلُوا][2] المَأْكُولَ وَالعَلَفَ مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِنَا إلَى يَوْمِ رُجُوعِهِمْ إلَيْهَا. وَكَذَلِكَ نَنْعَمُ لَكُمْ أَنَّهُ إنْ [بَقِيَ بـ][3] مُرْسِيَةَ أَنْ نَرُدَّهُ فِي الحِين لَكُمْ وَإنْ كَانَ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ بلاَدِ قَشْتَالَةَ فَلاَ اعْتِرَاضَ لَكُمْ فِيهِ. وَكُلُّ مَوْضِعٍ يَرْجِعُ لَكُمْ أَنْتُمْ مِنْ رِيَاسَةِ قَشْتَالَةَ لاَ اعْتِرَاضَ لَنَا نَحْنُ فِيهِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ

---

(1) ـ في الأصل: أن يضمّوا. لعلّ المقصود أن يضمنوا ؟

(2) ـ زيد ما بين المعقّفين ليستقيم المعنى.

(3) ـ زيد ما بين المعقّفين ليستقيم المعنى.

مِنَ الـمَوَاضِعِ التِي هِيَ لَنَا وَهْـيَ طَرِيفَـةُ[1]..... وَقَشْتَالَةُ فَـإِنْ اتَّفَقَ أَنْ تَرْجِعَ هَذِهِ الـمَوَاضِعِ أَوْ وَاحِدٌ مِنْهَا إِلَيْكُـمْ فَعَلَيْكُـمْ أَنْ تَرُدُّوهُ إِلَيْنَا فِي الحِينِ مِنْ غَـيْرِ تَطْوِيـلٍ وَلَا مَطْلَـبٍ. وَإِنْ اتَّفَـقَ أَيْضًا أَنْ تَرْجِـعَ هَـذِهِ الـمَوَاضِعُ أَوْ وَاحِـدٌ مِنْهَـا إِلَـى طَاعَــةِ السُّلْطَانِ دُونْ أَلْفُونْشَ[2] أَوْ أَخِيهِ الإِفَانْتَ دُونَ فَرَانْـدَهْ فَعَلَيْكُـمْ أَنْ تَتَّفِقُوا مَعَنَا فِي تَكْمِيلِ الرُّبُوطِ التِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمَا بِشَهَادَتِكُمْ عَلَيْهِمَا وَضَمَانِكُمْ فِي رَدِّهَا إِلَيْنَا فِي الحِـينِ وَالوَقْـتِ مِـنْ غَـيْرِ تَطْوِيلٍ وَلَا مَطْلَبٍ. وَعَلَى أَنْ تَمْنَعُوا أَهْلَ بِلَادِكُـمْ مِـنَ الدُّخُـولِ بِالتِّجَارَةِ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ أَعْدَائِنَا فِي البَرِّ وَالبَحْـرِ وَإِنْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهَا فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الأَعْـدَاءِ الذِيـنَ يَكُونُونَ مَعَهُمْ.

وَأَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ ثَابِتًا وَتَكُونُوا أَنْتُمْ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ أَمَرْنَـا بِكَتْبِ هَذَا الكِتَابِ. وَجَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَا وَطَابَعَنَـا فِـي آخِـرِ رَبِيعِ الآخَرِ عَامَ أَحَدٍ وَسَبْعِمَايَةٍ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ. اِنْتَهَى.

[1] - طريفة: مدينة أندلسيّة وقعت من أجلها حروب كبيرة بين القشتاليّين والمسلمين بالأندلس والمغرب.

[2] - دون ألفونسو: ملك قشتالة.

التّحليل

يُعلن السّلطان محمّد الثّاني للنّاس عامّة ولملك أرغون أنّـه يعقـد معه صلحا ثابتا قائما على صحبة صادقــة ومهادنـة صحيحـة توفّـر الأمن والطّمأنينة لأهل البلدين وترفع عنهم الضّرر والفساد وتقـف في وجه أعدائهم جميعا من النّصارى أو المسلمين لا سيّما أهـل قشتالة وذلك برّا وبحرا وفي كـلّ أراضـي البلديـن غرناطـة وأرغـون والبـلاد التّابعة لهما أو تصبح تابعة لأحدهما في المسـتقبل سـواء بإسـبانيا أو الأندلس وبلاد العدوة بشبه الجزيرة المغاربيّة.

ويقرّر عقد الصّلح أنّه يسمح لكل قطلانيّ من بلاد جاقمو الثّاني القدوم إلى بلاد الأندلس والاتّجـار فيهـا في جميـع أنـواع التّجـارات بكلّ حرّيّة وفي كنــف الرّاحـة والأمـن فيكونـون آمنـين في أرواحهـم وأموالهم في إطار القوانين المتعامل بها كما اقترح ملك أرغون وكذلك الأمر بالنّسبة للتّجّار الأندلسيّين.

ويتعرّض هذا العقد إلى بند هامّ يعتبر أساسـيّا بالنّسـبة لغرناطـة يتمثّل في التّحـالف مــع أرغـون ضـدّ مملكـة قشـتالة فيتعهّـد محمّـد الثّاني بمساعدة ملك أرغـون في حربـه ضـدّ ملـك قشـتالة خاصّـة في الحرب المنتظرة بين قشتالة وأرغون في مُرسيه لحرص ملـك قشـتالة على ضمّ هذه المقاطعة الأندلسيّة إلى مملكته وفصلها عن أرغون الذي

كان استولى عليها فتعهّد محمّد الثّاني بمدّ جاقمو الثّاني بالفرسان والجنود وعدم التّهادن مع ملك قشتالة أو إبرام صلح معه.

ويعد في هذا العقد جاقمو الثّاني غرناطة بمساعدتها في حال تعرّضها لهجوم ما من قشتالة أو من المسلمين المعادين لها.

وتشير المعاهدة في أحد بنودها إلى تكفّل صاحب أرغون بالإنفاق على فيلق الفرسان والعساكر الذي يقْدم لمساعدته. وكذلك الأمر بالنسّبة لملك غرناطة بما في ذلك منح غرامة تعويضيّة تغرم الدّوابّ التي تهلك في الغزو أو الحرب. ويشتمل العقد في الختام على بند هامّ يقرّر أنّ الأرض التي يحتلّها أحد الطّرفين من قشتالة تعود لأرغون وإن كانت من بلاد الإسلام ترجع لغرناطة فلا يعترض أحد منهما على ذلك فإن تمّ استرجاع طريفة مثلا من قشتالة تصبح لغرناطة من دون تردّد - وما يحتل من بلاد النّصارى القشتاليّين يسلّم إلى أرغون بدون مماطلة أو تسويف ويتعهّد الطّرفان بالعمل على استرجاع المواضع التي كان احتلّها ألفونسو ملك قشتالة أو أخوه الأفنت دون فرانده إلى غرناطة حال وضع اليد عليها.

ويُختم العقد بشرط هامّ اشترطه صاحب غرناطة على جاقمو الثّاني يتمثّل في تحريم التّجارة على القطلانيّين ببلاد إشبيليّة وفي حال قدومهم للاتّجار بها تتحتّم معاملتهم معاملة الأعداء في البرّ والبحر. والملاحظ أنّ قشتالة كانت أعادت احتلال إشبيليّة وكانت

غرناطة تحاول استرجاعها والاستيلاء عليها فهذه المعاهدة تقرّ صلحا وحلفا بين البلدين أرغون وغرناطة.

التّعليق

يتّضح من خلال هذا العقد التّنافس القائم بين القشتاليّين والقطلانيّين بأرغون ومحاولة كلّ منهم الاستفادة من تراجع المسلمين بالأندلس واقتطاع أكثر ما يمكن من أرضها. وكانت غرناطة تعمل جاهدة على استغلال هذا التّنافس لضمان أمنها وبسط نفوذها على ما تبقّى من الأندلس.

ونلاحظ انشغال ملك أرغون إلى جانب النّاحية السّياسيّة والتّرابيّة بالجانب التّجاريّ وحرصه على توفير المناخ المناسب لتجّار بلاده وجني أكثر ما يمكن من الأرباح من هذه المهادنة ومن عقد الصّلح هذا. أمّا غرناطة فهي مهمومة بتوسيع مناطق نفوذها ومحاولتها استرجاع ما استولى عليه القشتاليّون كطريفة وإشبيليّة خاصّة والعمل على خنق الإشبيليّين اقتصاديّا وحملهم على التّحرّك لمساندة غرناطة والانضمام إليها.

وهكذا نرى كلّ طرف: غرناطة من جهة وأرغون من جهة أخرى يلقى مصلحته في هذا العقد ويحاول الاقتراب من غرضه وتحقيق هدفه.

2°) - الوثيقة رقم 6

- التّقديم

هذا كتاب من عثمان بن إدريس بن أبي العَلاء بغرناطة إلى جاقمو الثّاني يؤكّد فيها صداقته لملك أرغون ووصول كتابه عن طريق سفيره اليهوديّ سليمان الإسرائيليّ وذلك سنة 714 هـ في 18 جمادى الأولى الموافق لـ 13 ماي سنة 1314 م.

ـ نصّ الرّسالة

السـمَلِكُ السـمُعَظَّمُ الأَرْفَـعُ الأَعْلَـى الأَظْهَـرُ الأَفْخَـمُ الأَضْخَـمُ الأَجْمَـلُ الأَشْـهَرُ الأَسْمَى الأَسْنَى الأَوْفَـى الأَصْفَى الأَجْمَــلُ سُلْطَانُ أَرَغُونَ وَقُومْطْ بَرْجَلُونَةَ وبَلَنْسيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ دُونْ جَـاقْمُو وَفَّقَ اللَّهُ مَقَاصِدَهُ وَأَيَّدَ نَصْرَهُ بِتَقْوَاهُ. مُحِبُّـهُ وَشَـاكِرُهُ الكَثِـيرُ الثَّنَاء عَلَيْهِ [الـ]ـمُعْتَنِي[1] بِجَانِبِه نَاشِـرُ فَخْـرِهِ وَجِـدِّهِ الأَوْفَـى عُثْمَانُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ أَبُو العُلَى[2] يُسَـلِّمُ عَلَـى مَقَـامِكُمْ الأَعْلَـى سَلاَمَ مَنْ يُرِيدُ لَكُمْ خَيْرًا وَلَيْس بِفَضْلِ اللَّهِ سُـبْحَانَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ وَالعَافِيَةُ وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا.

وصَلَ كِتَابُ الـمُكَرَّمِ الـمَبْرُورِ الأَنْصَحِ بِيرَ بُوبِيلَ عَلَى يَـدَيْ "أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ" الإِسْرَا[ئِـ]ـيلِي[3] خَدِيمِكُمْ وَهُوَ يَذْكُرُ فِيـهِ كَثْرَةَ وِدِّكُمْ إِلَيْنَا وَاعْتِقَادَكُمْ لِجَانِبِنَـا وَشُـكْرَنَا فَضْلَكُـمْ الجَمِيـلَ وَاعْتِقَادَكُمْ فِي حُبِّنَا وَذَكَرَ لَنَا مَا تَقَـدَّمَ مِـنْ الرُّبُوطَـاتِ [الَّتِـي] صَارَتْ عَلَى يَدَيَّ مَعَكُمْ وَجَمِيعَ مَا ذُكِرَ لِي فِي ذَلِكَ أَنَـا مُقَيِّـدٌ

---

(1) ـ زيد ما بين الـمعقفين ليستقيم الـمعنى.

(2) ـ في الأصل: أبو العُلى: أي أبو العلاء: جدّ العائلة وهو وزير غرناطيّ.

(3) ـ زيد ما بين الـمعقفين ليستقيم الـمعنى.

بـهِ وَهَـذِهِ الأُمُـورُ الجَـائِزَةُ[1] لَيْـسَ أَقْـدِرُ[2] [أَنْ] أَكْتُبَهَـا لَكُـمْ بِمَشْرُوحٍ. وَقَدْ لَقَّنْتُ لِسُلَيْمَانَ الـمَذْكُورِ كُلَّ مَا يَقُولُـهُ لَكُـمْ عَـنْ مُحِبِّكُمْ فَصَدِّقُوهُ فِي مَا يُلْقِيهِ لَكُمْ وَهْوَ يُعَرِّفُكُمْ بِاعْتِقَـادِ مَـوْلاَيَ السُّلْطَانِ دَامَ نَصْرُهُ فِي وِدِّكُمْ وَصِدْقِ لِسَانِكُمْ وَوَفِيٍّ فِعْلِكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ يَدُكُمْ وَيَدُهُ وَاحِدًا لِأَنْ يَنْكَمِلَ أَغْرَاضُكُمْ بِمَشِـيئَةِ اللّـهِ تَعَالَى وَذَلِكَ كُلُّهُ لِأَجْلِ صِدْقِ لِسَانِكُمْ وَجَمِيلِ وَفَائِكُمْ وَقَدْ شَـاعَ ذَلِـكَ فِـي جَمِيـعِ الأَقَـاصِي. وَمُجِلِّكُـمْ لَـمْ يُقَصِّـرْ فِـي فَخْرِكُـمْ وَضَمِنْتُ عَنْكُمْ لِلْمَوْلَـ[ـى][3] دَامَ نَصْـرُهُ حَسَـبَ مَـا تَتَعَرَّفُـونَ[4] كُلَّ ذَلِكَ مِـنْ سُـلَيْمَانَ الـمَذْكُورِ وَاللَّـهُ تَعَـالَى يُدِيـمُ سَـعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَسُرُّكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ بِمَنِّهِ وَالسَّلاَمُ الأَتَمُّ الأَعَمُّ عَلَى مَقَامِكُمْ الأَعْلَى كَثِيرًا أَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ بِغَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللَّهُ الثَّامِنَ عَشَرَ لِجُمَادَى الأُولَى عَامَ سَبْعِمَايَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ.

---

(1) ـ في الأصل: الجايزة: الجائزة.

(2) ـ في الأصل: ليس أقدر: لا أقدر.

(3) ـ المولى: مولاه السّلطان.

(4) ـ في الأصل: تتعرّفوا.

ـ التّحليل

وجّه عثمان بن إدريس بن أبي العلاء وزير صاحب سلطان غرناطة ابن الأحمر هذه الرّسالة للملك أرغون جاقمو الثّاني ليؤكّد له صداقته له وخدمته الدّائمة له وضمانه فيه لَدَى سَيِّده ملك غرناطة ويذكر فيها مدى إطرائه له وإبراز خصاله ووفائه وصداقته للمولى السّلطان ابن الأحمر.

وأعلمه بوصول سفيره اليهوديّ وصديقه أبي الرّبيع سليمان الإسرائيلي وإبلاغه رسالة الملك الشفاهيّة وذكر له أنّه سلّمه الرّدّ مصحوبا بشروح ضافية ولقّنه شفاهيّا ما ينبغي أن يعيده للملك جاقمو وبما قام به للتّعريف بما اشتهر به من صدق ووفاء.

وذكر له عَرَضًا تجاوب حضرة السّلطان معه ورغبته في أن يعمّق تحالفه معه فيكونان يدًا واحدة ضدّ الأعداء وخاصّة خصمهما المشترك ملك قشتالة كما بيّنه صراحة في وثائق ورسائل أخرى.

ـ التّعليق

تؤكّد لنا هذه الرّسالة الحلف الذي تمّ بين أرغون وغرناطة وَالصّداقة القائمة بين الملكين وتُشير إلى الرّوابط الخاصّة التي كانت

بين الوزير عثمان بن إدريس وجاقمو الثّاني بل إلى الوسائل التي كان يعمد إليها جاقمو الثّاني للوصول إلى بلاط السّلطان وَالتّأثير على قرارات ابن الأحمر لصالح التّاج الأرغونيّ فكان ملك أرغون يقوم بإغراء بعض الوزراء ويربط علاقات وديّة خاصّة معهم ويقدّم لهم الهدايا عن طريق السّفراء وَالرّسل مثل هذا اليهوديّ سليمان الإسرائيلي.

وأخيرا نتبيّن من خلال هذه الرّسالة الدّور الهامّ الذي كان يقوم به اليهود في إقامة هذه العلاقات بين أرغون وغرناطة: السّياسيّة وَالتّجاريّة وَالبشريّة فعن طريق العلاقات التّجاريّة وَالاجتماعيّة التي برعَ اليهودُ في إقامتها وإرسائها بين القطلانيّين وَالغرناطيّين - كما كانوا فعلوا بإفريقيّة وتلمسان — تمّ التّقارب السّياسيّ واستطاع القطلانيّون التّغلغل في دواوين مملكة غرناطة وبلاطها. فلا ننسى أنّه كان يتمّ عن طريقهم الحصول على الذّهب القادم من إفريقيا السّوداء عبر سجلماسة بمملكة تلمسان ومقايضته بمختلف البضائع القطلانيّة.

3°) - الوثيقة رقم 10

- التّقديم

هذا كتاب من إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر ملك غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون بتاريخ 23 صفر سنة 714 هـ الموافق لـ 29 ماي سنة 1314 م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَعَزُّ المُرَفَّعُ المَبْرُورُ المُعَظَّمُ الوَفِيُّ الأَوَدُّ الأَخْلَصُ دُونْ جَاقْمو مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَشَاطِبَةَ وَمَا إِلَيْهِمَا وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَأَلَمَنْدُ عَنِ البَبَّـ[ـا][1] بِالكَنِيسَةِ العُظْمَى وَصَلَ اللهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَمُوفِي مَا يُوجِبُهُ حُسْنُ عَهْدِهِ مِنْ تَرْفِيعِهِ وَمَبَرَّتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ[2].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ لَكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ ولاَ نَاشِئَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلاَّ الخَيْرُ الأَتَمُّ وَاليُسْرُ الأَعَمُّ وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَمَمْلَكَتُكُمْ مُرَفَّعَةٌ مَبْرُورَةٌ وَمَقَاصِدُكُمْ فِي الوِدِّ وَحُسْنِ العَهْدِ مَشْكُورَةٌ وَمَذَاهِبُكُمْ فِي الوَفَاءِ مَأْثُورَةٌ.

وَإِلَى هَذَا فَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الأَثِيرُ تُقِرُّونَ فِيهِ صِدْقَ تَوَدُّدِكُمْ وَحَمِيدَ مَقْصِدِكُمْ. وَقَدْ قَابَلْنَا مَا قَرَّرْتُمْ مِنْ ذَلِكَ بِالشُّكْرِ وَالإِكْرَامِ المَوْصُولِ وَالبِرِّ. وَذَكَرْتُمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَكُمْ بِجَمِيعِ

---

(1) ـ زيد ما بين المعقّفين ليستقيم رسم الكلمة.

(2) ـ إسماعيل بن فرج بن نصر: السّلطان الذي خلف ملك غرناطة محمّد الثّاني والمعروف بإسماعيل الأوّل. وذلك سنة 714هـ الموافق لسنة 1314م.

بِلاَدِكُمْ مِنْ نَاسِنَا وَأَهْلِ بِلاَدِنَا مَحْمُولٌ عَلَى الأَمْنِ وَالحِفْظِ فِي النَّفْسِ وَالـمَالِ وَجَمِيعِ الأَحْوَالِ. وَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ ذَلِكَ وَفَاءَ عَهْدِكُمْ وَصِدْقَ وِدِّكُمْ فَقَابَلْنَاهُ بِمِثْلِهِ وَبَذَلْنَا بِإِزَائِهِ مِنَ الشُّكْرِ مَا تَحْمَدُونَ حُسْنَ بَذْلِهِ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدِنَا مِنْ تُجَّارِكُمْ مَحْمُولٌ عَلَى سَبِيلِ الحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ وَاللَّحْظِ وَالأَمْنِ فِي النَّفْسِ وَالـمَالِ. وَسَلُوا الوَارِدَ وَالصَّادِرَ[1] فَسَيُخْبِرُكُمْ بِصِدْقِ هَذَا الـمَقَالِ. وَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَنَا إِلاَّ مَا يُرْضِيكُمْ مِنَ الرَّفِيعِ الجَارِي عَلَى السَّبِيلِ الـمُبِينِ وَمَا يُعَامَلُ بِهِ أَمْثَالُكُمْ مِنْ وُجُوبِ السَّلاَطِينِ فَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَتَمِّ اليَقِينِ. وَاللَّهُ يَتَوَلَّى إِسْعَادَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَسُرُّكُمْ مِنَ العَمَلِ لِمَا يُحِبُّهُ فَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا وَأَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الثَّالِثِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرَ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَسَبْعِمَايَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ. انْتَهَى.

(1) ـ الوارد والصّادر: المسافرون من أهل أرغون الذين يردون غرناطة ويغادرونها.

ـ التّحليل

أرسل إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر ملك غرناطة وَالأندلس هذا الكتاب إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون وقمط برشلونة وممثّل البَابَا وَالكنيسة العظمى ليعبّر عن شكره له لما أظهره في رسالته الأخيرة من تودّد ونبيل مشاعر ووفاء لعلائق الأخوّة وَالصّداقة القائمة بين البلدين ولما يوفّره من أمن وطمأنينة للغرناطيّين بمملكته وحفظ للعهد ورعاية للنّازلين ببلاده من أهل غرناطة في نفوسهم وأموالهم. وأكّد السّلطان إسماعيل لملك أرغون معاملته لأهله وللتّجّار القطلانيّين بالمثل وحرصه على رعايتهم وتوفير كلّ ما يحتاجون إليه من أمن واطمئنان على أموالهم وبضائعهم. وخَتَم الرّسالة بالتّذكير بالمكانة الخاصّة التي يلقاها ملك أرغون ورعاياه بمملكته غرناطة لِمَا يتّصف به من وفاء وصدق.

ـ التّعليق

تؤكّد هذه الرّسالة الطّابع السّلميّ للسّياسة التي انتهجها ملك في علاقاته مع غرناطة وحرصه على الوصول إلى أهدافه السّياسيّة والتّجاريّة والاقتصاديّة سلما وبتدشينه عهدا جديدا يعتمد المهادنة وسياسة التّعاون وحسن الجوار مع غرناطة وسائر الدّول الإسلاميّة

بشبه الجزيرة المغربيّــة ويقطع مـع سياسـة الحـروب والغـزو الـتي اتّبعها أسلافه ولا سيّما ملوك قشتالة.

ونلاحـظ أنّـه مهتـمّ بالتّجـارة وحريـص علـى توفـير الظّـروف المساعدة لتجّار بلاده للاتّجــار مـع غرناطـة وكـلّ البـلاد الإسـلاميّة المغاربيّة ولذلك نرى السّلطان إسماعيل الأوّل يؤكّد له أنّ مـن عنـدَه مـن تجّـار أرغـون "محمـولٌ علـى سـبيل الحفـظ والرّعايـة واللّحـظ والأمن" في النّفس والمال.

فكانت التّجارة وما تدرّه من أرباح تمثّل الهاجس الأكبر لجاقمو الثّاني. وفعلا استطاع بما وفّرته مـن أموال طائلـة بنـاء دولـة قويّـة وأسطول عظيـم كـان الأخطـر والأقـوى بـالبحر الأبيـض المتوسّـط في القرن الرّابع عشر الميلاديّ. وبفضلـه استطاع بسْطَ أمْبريليّتـه علـى ضفافه ووضع الأسس للدّولة المسيحيّة الإسبانيّة الأقوى في العــالم في القرنين الخامس عشر والسّادس عشر ميلادي.

4°) - الوثيقة رقم 9

- التّقديم

هذه رسالة من سلطان غرناطة إسماعيل الأوّل بن فرج بـن نصـر إلى ملك أرغون جاقمو الثّاني بتاريخ 18 ذي القعـدة سـنة 714 هـ الموافق للخامس من مارس سـنة 1315 م حـول حـادث يخـصّ أهـل البلدين.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الوَفِيُّ دُونْ جَاقْمُو مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَـةَ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مُكَرِّمُهُ وَشَاكِرُ قَصْدِهِ الـمُحَافِظِ عَلَى رَعْيِ مَا قَرَّرَهُ مِنْ وِدِّهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، وَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّـهُ وَلَيْسَ إِلاَّ الخَيْرُ الوَافِرُ وَاليُسْرُ البَاهِرُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُـهُ فَلاَ فَضْلَ إِلاَّ فَضْلُـهُ. وَعِنْدَنَا تَرْفِيعُ لِجَانِبِكُمْ وَشُكْرٌ لِمَقَاصِدِكُمْ فِي تَقْرِيرِ الصُّحْبَـةِ وَمَذَاهِبِكُمْ. وَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الـمُكَرَّمُ عَلَى يَدَيْ النَّصْرَانِيِّ الفَارِس مَرْتِـينَ دِمَنِقَس دَلْدْرُونَ. وَعَرَفْنَا مَا ذَكَرْتُمْ فِيهِ فِي أَمْرِ الغَنَمِ. وَهَذِهِ القَضِيَّةُ قَدْ أَجَبْنَاكُمْ عَنْهَا فِي الكِتَابِ الذِي يَصِلُكُمْ صُحْبَةَ سُلَيْمَانَ الإِسْرَائِيلِيِّ[1]. وَقَدْ شَرَحْنَا الحَالَ فِيهَا فِي الكِتَابِ الـمَذْكُورِ شَرْحًا تَقِفُونَ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ يَصِلُ أَسْبَابَ سَعَادَتِكُمْ بهِدَايَتِهِ وَيَفْتَحُ لَكُمْ بتَقْوَاهُ أَبْوَابَ رِعَايَتِهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ يَوْمَ الأَحَدِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةَ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَسَبْعِمَائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَ يُمْنِهِ. صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

(1) - سليمان الإسرائيليّ هو صديق عثمان بن إدريس بن أبي العلاء الوزير الغرناطي والسّفير للملك أرغون: أبو الرّبيع سليمان الإسرائيليّ الوارد ذكره في الوثيقة رقم 6.

ـ التّحليل

يُعلم السّلطانُ عبد اللّه إسماعيل الأوّل ملكَ أرغون باتّصاله بالكتاب الذي كان بعثه إليه مع الرّسول مرّتين دمنقس حول موضوع الغنم التي تمّ حجزها وكانت تابعة لقطلانيّين من سكّان أرغون. فبيّن أنّه اطّلع على الرّسالة وما طلبه منه جاقمو الثّاني من عمل لتسليم هذه الأغنام. وبادر بردّ الجواب مع السّفير سليمان الإسرائيليّ. وشرح موقفه من هذه القضيّة وعدم استطاعته تلبية رغبته.

ـ التّعليق

تشير هذه الرّسالة إلى ما كان يعكّر جوّ الصّداقة القائمة بين البلديْن والتّحالف المبرم بين الـمَلِكيْن من حوادث يوميّة وقضايا شائكة يتسبّب فيه القُطّاع من البلديْن الذين كانوا يُغِيرون ويأْسَرون الأسرى ويَحجزون البضائع والأغنام وغيرها رغم عقود الصّلح المبرمة بين الطّرفيْن.

وهذه القضيّة أنموذج ممّا كان يحدث يوميّا ويتسّبب في إفساد العلائق بين الملكين، إذ يعجز الملك على تلبية رغبة زميله الملك

الصّديق بسبب التّفويت في البضاعة أو القيام بالحجز والقطع كردّ فعل على عمليّة سابقة كان قام بها قرصان عدوّ. فهذا هو الجوّ المشحون بالعداوة والدّفاع عن المصالح الذي كانت تنعقد فيه العلائق بين القطلانيّين والغرناطيّين وتُبرم المعاهدات وعقود الصّلح.

5°) ـ الوثيقة رقم 8

ـ التّقديم

تتمثّل هذه الوثيقة في رسالة من إسماعيل الأوّل ملك غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون بتاريخ 17 ذي القعدة سنة 714 هـ الموافـق لـ 24 مارس سنة 1315 م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَلِكُ الـمُعَظَّمُ دُونْ جَقْمُو سُلْطَانُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَحَمَلَهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَشَاكِرُ مَا قَرَّرَ مِنْ مَوَدَّتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ[1].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ حَمْلاً عَلَى أَبْيَنِ الطُّرُقِ وَجَرْيًا عَلَى مَنْهَجِ الحَقِّ، مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مكَرَّمٌ مَبْرُورٌ وَمَكَانُكُمْ فِي الـمُلُوكِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الودِّ مُسْتَحْسَنٌ مَشْكُورٌ. وَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الـمُكَرَّمُ عَلَى يَدَيْ سُلَيْمَانَ الإِسْرَائِيلِيِّ[2] فَوَقَفْنَا عَلَيْهِ إِلَى آخِرِهِ. وأَنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَدْ شَرَعْتُمْ فِي تَوْجِيهِ رَسُولِكُمْ إِلَى حَضْرَتِنَا بِرَسْمِ الأَخْذِ فِيمَا يَكُونُ فِيهِ الخَيْرُ لَنَا وَلَكُمْ. ثُمَّ مَنَعَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ

---

(1) ـ إسماعيل بن فرج: السّلطان إسماعيل الأوّل.

(2) ـ سليمان الإسرائيليّ: السّفير اليهوديّ أبو الرّبيع الوارد ذكره في الوثائق السّابقة.

حَدِيثِ الغَنَمِ التي أَخَذَهَا مُغَـاوِرُون مِـنْ بِـيرة[1] واسْـتَوْفَيْنَا مَـا عَرَفْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ الغنم. فاعْلَمُوا أنَّ أَوَّل ما نُقَـرِّرُهُ عِنْدكُـمْ أَنَّنَا مَا بَنَيْنَا أَمْرَنَا إلاَّ عَلَى الوفاء بالعهْدِ واتبـاعِ الحـقِّ حيْـث كَانَ فَلَوْ أَنَّهُ يَقُومُ[2] بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـمْ عَـهْـدٌ لمـا نقضْنـا لـهُ حُكْمًـا وأَوْفَيْنَا وَاجِبَ العَهْدِ بمَا يَقْتَضِيه الحقُّ ولَكِنَّنا[3] رأيْنا لمَّا ظهر لنا مِنْ مَقَاصِدِكُمْ الحسَنَة ولِمَـا تضَمَّنَتْـهُ كُتُبُكُـمْ مِـن الأَغْـراض الـمَشْكُورَةِ أَنْ مَنَعْنَا جَيْشَنَا الذِي بحضْرَتِنا أَنْ يقِف على شيْء مِنْ أَرْضِكُمْ أَوْ يَتَعَرَّضَ لِبَلَدٍ مِنْ بلادِكُمْ، فَمَا وَقَـفَ لكُـمْ عِلْمُنَـا عَلَى مَوْضِعٍ مَعَ كَثْرَةِ الـمُرْغِبِينَ لَنَا فِي ذَلِكَ وَالطَّالِبِينَ لَهُ.

وَأَمَّـا الحِصَـصُ التِـي تُغَـاوَرُ فَمَـا نَقْـدِرُ أَنْ نَمْنعهـا إلاَّ إذا ارْتَبطَتِ العُهُودُ وكَمُلَتْ الصُّحْبَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. وَمع ذَلِكَ فَتِلْكَ الغَنَمُ لَمْ يَكُنْ أَخْذُهَا كَما عَرَّفْتُمْ وَلاَ عَلَى النَّوْعِ الذي ذُكِرَ لَكُـمْ. فَإذَا نَظَرْتُمْ هَذِهِ القَضِيَّةَ بعَيْن الحَقِّ فَلَيْس علَيْنا فِيهـا دَرْكٌ وَلا كَانَ مِنَّـا فِيهَـا شَـيْءٌ يُنْكَـرُ. وَبَعْـدَ هَـذا فـإذا أَرَدْتُـمْ صُحْبَتَنَـا

(1) - بيرة: مدينة بيرة القريبة من غرناطة والتي كانت قبـل نموّ غرناطـة وتأسـيس المملكة عاصمة الولاية: " Vera ".

(2) - في الأصل: فلو أنّنا تقوم.

(3) - في الأصل: ولاكنّنا.

وتجْديدَ العُهُود[1] التي كانتْ بيْنكُمْ وبيْن جدِّنا رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنحْنُ نُريدُ مِنْ ذَلك ما تُريدُون. ونوافقْكُمْ على ما يكُونُ فِيهِ الخيْرُ والصَّلاحُ للْفريقيْن. فلاَ تمْنعُوا رسُولكُمْ من الوُصُول إليْنا فلا مُوجب لمَنْعه. واللَّهُ يَصِلُ عزَّتكُمْ بتقْواهُ ويُيسِّرُكُمْ لما يُحبُّهُ ويرْضاهُ. والسَّلامُ يُراجِعُ سَلامَكُمْ كثيرًا أثيرًا.

كُتب في السَّابع عَشر لشهْر ذي القَعْدَة عَامَ أرْبعَة عشَر وسبْعمَائة.

صحَّ هذا. انْتهى.

[1] - إنّ الصّلح الذي كان أبرم في عهد محمّد الثّاني سنة 701هـ الموافق لسنة 1301م قد انقضى أمده ولم يقع تجديده في عهد إسماعيل الأوّل. لذلك نراه يطلب عقد صلح آخر.

ـ التّحليل

كان الملك جاقمو الثّاني ملك أرغون وجّه كتابا إلى السّلطان إسماعيل الأوّل ملك غرناطة على يدي السّفير سليمان الإسرائيليّ يشير فيه إلى تردّده في المراسلة رغم مشاعره الطّيّبة وحسن استعداده للتّعامل مع غرناطة بسبب قضيّة الغنم المحجوزة التي كان استولى عليها قطّاعٌ من مدينة بيرة، فبادر ملك غرناطة بالرّدّ بهذه الرّسالة وتوضيح موقفه من هذه الغنم التي قضى فيها بالحقّ والعدل وبما يجب أن يكون. وأكّد أنّه لو كان الصلح مبرما بين البلدين لما حدث مثل هذا الحادث إذ أنّه لا يستطيع منع مثل هذه الإغارات ومعاقبة أصحابها إلاّ متى ارتبط الأمر بعهود وعقود. وهو على كلٍّ مقدِّر لما ورد في الكتاب من حسن أغراض واستعداد، وعازمٌ على منع جيش غرناطة من إيذاء أراضي أرغون وأهلها ومنعه من الإضرار ببلاده، ولا يمكن إيقاف كلّ ذلك وتجديد ما بين البلدين من صحبة إلاّ بتجديد العهود التي كانت قائمة بين الأجداد والأسلاف.

ويناشد السّلطان إسماعيل الأوّل في الآخر ملك أرغون أن لا يمنع رسوله من القدوم إلى غرناطة، ويقترح عليه قبول التّفاوض لإبرام عقد صلح جديد وتجديد سابق العهود.

- التّعليق

يبدو ملك غرناطة صارما ثابتا على موقفه رافضا تسريحَ الأغنـام المحجوزة لعدم توفّـر عقد صلـح بـين البلديـن يسـمح بذلـك ويمنـع القطّاع من الإغارة والقيام بمثل هذه التجاوزات. فنراه يستعمل مثـل هذه الأساليب الحربيّة المعتادة بين الجارين لحمل ملك أرغون على قبول إبرام عقد صلح يوفّر الأمن للبلديْن.

فالقطع برّا أو بحرا كان السّيف القـاطع المهـدّد لكـلّ الأطـراف والجـالب الآلام والنّكبـات لأهـل البلديـن والدّافـع علـى التّفـاوض والتّهادن وقبول عقد العهود وعقود الصّلح والسّلم.

6°) - الوثيقة رقم 4

- التّقديم

هذا الكتاب من يوسف بن محمّد بن كماشة[1] قائد قصبة بيرة[2] إلى دون أرنو طُرَاش والي أوريولَة يخصّ الهدنة المقترحة طيلة عشرين يوما وذلك بتاريخ 18 جمادى الثّانية سنة 716 هـ الموافق لـ 8 سبتمبر سنة 1316 م.

---

(1) - القائد بن كماشه: والي قصبة بيرة من قبل السّلطان محمّد بن الأحمر ملك غرناطة.

(2) - بيرة " Vera ": تابعة لملكة غرناطة.

ـ نصّ الرّسالة

أَلْذْ لَنْطَادَهْ الزَّعِيمُ الأَجَلُّ الـمُكَرَّمُ الـمُوَقَّرُ الحَسِيبُ الكَبِيرُ الـمُشِيرُ دُونْ أَرْنُو طَرَاشْ الوَالِي بِأُورْيُولَةَ، وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَوَالَى مَوَدَّتَهُ. يُسَلِّمُ شَاكِرُهُ الوَادُّ لَهُ الـمُحَافِظُ عَلَى عَهْدِهِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ كَمَاشَةَ وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنْ قَصَبَةِ بِيرَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلاَ مُتَزَيِّدَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِ أَيَّامِ مَوْلاَيَ السُّلْطَان[1] أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ إِلاَّ الخَيْرُ وَالعَافِيَةُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ.

وَمُوجِبُ هَذَا الكِتَابِ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ كِتَابَكُمْ وَصَلَ لِمُحِبِّكُمْ تَسْتَفْهِمُونَ فِيهِ خَبَرَ الـمُهَادَنَةِ. وَمُحِبُّكُمْ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّهُ كَتَبَ لِمَوْلاَهُ السُّلْطَانِ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ، فَإِنْ كَانَ صُلْحٌ أُعَرِّفُكُمْ وَأَكْتُبُ لَكُمْ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ غِرَّةٌ أُعَرِّفُكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَاعْلَمُوا عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ مِنْ مَنْعِ الإِغَارَةِ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

---

(1) ـ السّلطان هو إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة.

وَذَكَرْتُمْ عَنْ خَبَرِ بطْرُ دُو لاَرْمَه الفَكَّاكِ وَالنَّصَارَى[1] الَّذِينَ مَعَهُ. وَقَدْ انْقَضَتْ حَاجَتُكُمْ فِيهِمْ وَتَسَرَّحُوا وانْفَصَلُوا فِي عَافِيَةٍ سَالِمِينَ. فَاعْلَمُوا ذَلِكَ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ.

وَالسَّلاَمُ مُعَادًا عَلَيْكُمْ بِتَارِيخِ يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ الثَّامِنَ عَشَرَ لِجُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامَ سِتَّةَ عَشَرَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

أَعَزَّكُمْ اللَّهُ عَرِّفُونِي بِمَا يَظْهَرُ لَكُمْ فِي هَذِهِ العِشْرِينَ يَوْمًا لِأَفْعَلَ بِحَسَبِ مُرَادِكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ وِدَّكُمْ. وَالسَّلاَمُ مَعَادًا عَلَيْكُمْ.

---

(1) - بطر والنّصارى: هم قطلانيّون كان تمّ أسرهم قرب البيرة.

ـ التّحليل

يطلب يوسف بن كماشة من والي أريولة دون أرنُو طُراش القطلانيّ الذي كان كاتبه في موضوع المهادنة المقترحة على سلطان غرناطة أن يمهله عشرين يوما للرّدّ على المقترح القطلانيّ ويرجوه عدم الإغارة على القصبة وَمَا إليها في هذه المدّة ويعده بأن يُعامله بالمثل فلا يسمح بالإغارة عليه أو على أرضه.

ويبشّره في القسم الثّاني من الرّسالة بموافقته على طلبه الخاصّ بالأسرى النّصارى وبطْرُ دُو لاَرْمَه الفَكَّاكِ وإذنه بإطلاق سراحهم وإعادتهم سالمين معافين.

ـ التّعليق

تؤكّد هذه الرّسالة حالة الحرب الدّائمة التي كانت تعيشها غرناطة على كلّ الواجهات: القشتاليّة والمرينيّة والقطلانيّة الأرغونيّة، وحرصها على تحقيق المهادنة مع القطلانيّين للتّفرّغ للقشتاليّين. وتشير إلى العلاقة بين الولاة وكانت علاقة ودّ وحسن تعامل وتشاور. فالعلاقات البشريّة بين أهل الرّعية تختلف عن العلاقات الرّسميّة.

كما نلاحظ المبادرات التي كان لا يتردّد الوُلاة في اتّخاذها. فالوالي القطلانيّ كان بادر بمكاتبة زميله قائد القصبة بالبيرة واقترح عليه المهادنة، وكذلك فعل بن كماشه وطلب هدنة بعشرين يوما في انتظار موافقة السّلطان نفسه على هدنة دائمة.

7°) ـ الوثيقة رقم 12

ـ التقديم

هذا كتـاب مـن إسمـاعيل الأوّل سـلطان غرناطـة إلى دون بـترو لوييز والي لورقة[1] وسائر رئاسة مرسية يتعلّق بمفاوضات عقد الصّلح ومسلمي أَرْيُولاَ بتاريخ 12 شوّال سنة 716 هـ الموافـق لــ 28 ديسـمبر سنة 1316 م.

(1) ـ لورقة Lorca: مدينة أندلسيّة تمّ الاستيلاء عليها مع مقاطعة مرسية Murcie.

- نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِير عَبْدِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْن فَرَجٍ بْن نَصْر، أَعْلَى اللَّهُ مَقَامَهُ وأَسْعَدَ بفَضْلِهِ أَيَّامَهُ إلَى الذَّلَنْطَادَهْ بلُورْقَة وَسَائِر رِيَاسَةِ[1] مُرسِيَةَ الـمُكَرَّمِ الـمَبْرُور الوَفِيِّ الـمَشْكُور الأَخْلَص دُونْ بطْرَهْ[2] لبِّسْ دِيَالَة، وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيرْضَاهُ. كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَن الخَيْر التَّامِّ وَاليُسْر العَامِّ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَعَنْ البرِّ بكُمْ وَالتَّكْريم لِجَانِبكُمْ وَالشُّكْر لِمَقَاصِدِكُمْ وَمَذَاهِبكُمْ.

وَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الـمُؤَثَّرُ عَلَى يَدَيْ رَاجُلِكُمْ[3] فِي شَأْن مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الأَخْذِ فِي عَقْدِ الصُّلْح بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَلِكِ أَرَغُونَ. وَنَحْنُ نَشْكُرُ قَصْدَكُمْ فِي ذَلِكَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ الذِي حَمَلَكُمْ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ إخْلَاصُكُمْ لَنَا وَحُسْنُ قَصْدِكُمْ. وَهَذَا الصُّلْحُ قَدْ أَخَذَ

---

(1) - في الأصل: رياسة: رئاسة: حكم.

(2) - الأفانت دون بطره: ابن الملك ألفونسو الرّابع الذي خلف أباه سنة 1336م وأصبح بترو الرّابع ملك أرغون.

(3) - في الأصل: راجلكم: مبعوثكم.

مَعنَا فِيهِ الأَفَانْتُ دُونْ بطْرَهْ[1]، وَلَكِنْ إذَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْكُمْ فَنَحْنُ نَشْكُرُ قَصْدَكُمْ فِي ذَلِكَ. وَنَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَكُمْ مِنْ وُجُوهِ النَّاس إذَا دَخَلَ فِي مِثْلِ هَذَا الحَال فَإِنَّهُ يُخَلِّصُهُ أَحْسَنَ خَلاَص. وَطَلَبْتُمْ أَنْ نُوَجِّهَ إلَيْكُمْ شَخْصًا مِنْ قِبَلِنَا لِيُخَلِّص[2] هَذَا الأَمْرَ. ونَحْنُ لاَ يَسَعُنَا أَنْ نُوَجِّهَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَقَعَ الاتِّفَاقُ عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ يُرْكَنُ إلَيْهِ. وَحِينَئِذٍ نُوَجِّهُ مَنْ يُخَلِّصُهُ عَنَّا، فَخُذُوا[3] أَنْتُمْ مَعَ مَلِكِ أَرَغُونَ فِي هَذَا الأَمْر، فَإِنْ أَرَادَ مُصَالَحَتَنَا عَلَى حَسَبِ مَا صَالَحَهُ جَدُّنَا وَخَالُنَا الأَكْبَرُ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فَنَحْنُ نُمْضِي مَعَهُ ذَلِكَ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَعَرِّفُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ. وَيَصِلُكُمْ فِيهِ مَا عِنْدَنَا بِحَوْلِ اللَّهِ.

وَأَشَرْتُمْ إلَى تِلْكَ الغَنِيمَةِ التِي أَخَذَهَا أَهْلُ بَلَسَ بِأَرْض أَرْيُولَةَ. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ ضَرَرٍ لَحِقَ المُسْلِمِينَ بِذَلِكَ الشَّرَفِ

---

(1) ـ الأفانت ذون بطره: ابن الملك ألفونسو الرّابع الذي خلف أباه سنة 1336م وأصبح بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ في الأصل: ليخلّص: ليفضّ.

(3) ـ في الأصل: خذوا: تشاوروا وتباحثوا. ولعلّ العبارة هي خوضوا. من خاض في الأمر يخوض.

فِي هَذَا العَامِ إنَّمَا كَانَ يُنْسَبُ لِـأَرْيُولَةَ. وَهَــذَا الوَقْـتُ الـذِي[1] أُخِذَتْ فِيهِ هَذِهِ الغَنِيمَةُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا فِيهِ وَبَيْـنَ أَرْض أَرَغُـونَ مُهَادَنَةٌ وَلاَ عَهْدُ. فَشَيْءٌ أُخِذَ فِي الغِرَّةِ مِنْ أَرْض قَدْ صَــارَ لَنَـا مِنْهَا ضُرُوبٌ مِنَ الفَسَادِ مَا يُرْضِينَا مِنْكُـمْ أَنْ تَطْلُبُـوا رَدَّهُ فَإِنَّـهُ مَأْخُوذٌ بحَقٍّ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بتَقْوَاهُ وَيُيَسِّــرُكُمْ لِمَـا يُحِبُّـهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ الثَّانِي عَشَرَ لِشَوَّالَ مِنْ عَامِ سِتَّةَ عَشَرَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا. اِنْتَهَى.

---

[1] ـ في الأصل: التي.

ـ التّحليل

يَرُدُّ السّلطان إسماعيل الأوّل ملك غرناطة بهذا الكتاب على رسالة بترو لوييز صاحب لورقة وسائر رئاسة مرسية الذي كان عرض وساطته بين الملكيْن ملك أرغون والسّلطان إسماعيل لإبرام عقد صلح بينهما وتحقيق السّلم للبلديْن، بعد تكاثر إغارات قراصنة البلديْن وهجماتهم. وطلب بالمناسبة من ملك غرناطة الإفراج عن الغَنم التي تمّ حجزها وأسرها بأرض أريولة، فعبّر السّلطان إسماعيل عن استعداده لعقد الصّلح وتكليفه بمهمّة التّفاوض باسمه على أساس شروط العقد السّابق الذي كان أبرم مع جدّه السّلطان أبي عبد اللّه. وإن كان الأفانت دون بترو حفيد جاقمو الثّاني ابن وولِيّ العهد ملك أرغون[1] بادَر بالتّدخّل وشرع في التّفاوض باسم والده.

وأعلن السّلطان إسماعيل أنّه على استعداد لإمضاء العقد الذي يعدّه "دون لوييز" على هذا الأساس، وأنّه لا يوافق على شيء يخالف ذلك، لكنّه يقبل النّظر فيما يُقترح عليه.

---

(1) ـ جاقمو الثّاني وليّ العهد لملك أرغون هو ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني. وكان خلف أباه جاقمو مباشرة بعد موته سنة 1336م الموافق لـ736هـ.

وأعرب عن رفضه لإرجاع الأغنام المحجوزة لأنّه كان قد تمّ أسرها بأرض أريولة التي ألحق أهلها ضررا كبيرا بالمسلمين في ذلك العام سنة 716هـ الموافق لـ 1316م. وقد استولى عليها المسلمون. ولم يكن الصّلح قائما مع أرغون ولم تكن أيّة مهادنة سارية بين البلدين.

وختم السّلطان رسالته بتأكيد رفضه لهذا الالتماس لضروب الفساد التي لحقت المسلمين من أهل أريولة. وأكّد أنّ الحقّ إلى جانب أهله ولا يمكنه لذلك التّنازل عنه.

- التّعليق

تُصوّر الرّسالة واقع الحال بين النّصارى بأرغون والمسلمين بمملكة غرناطة: الغارات والهجومات المتكرّرة والمتتالية بين الجانبين، ومحاولة كلّ طرف ابتزاز الآخر. وسعي القويّ للعمل على فرض شروطه.

ونلاحظ أنّ مملكة غرناطة ما زالت تشعر آنذاك بالقوّة فحاول استغلال الظّرف المناسب. وكان الوضع السّياسيّ بالمنطقة لصالحها للتّنافس القائم بين قشتالة وأرغون. وخفي على صاحب غرناطة أنّ هذا التّنافس القائم بين العدوّين سببه لا العداوة بين

البلدين المسيحيّيْن بإسبانيا بل عدم الاتّفاق على القسط أو النّصيب الذي كان كلّ منهما يرغب في الحصول عليه من الفريسة: أي الأندلس المسلمة أو ما تبقّى منها والمتمثّل في مملكة غرناطة وبعض المدن الرّاجعة إليها.

وعلى كلٍّ يبدو السّلطان إسماعيل في هذه الرّسالة صامدا واثقا من نفسه، ولا سيّما أنّ الحلف بين القوّتين الإسبانيّتين أرغون وقشتالة لم يكن أبرم بعد، وما زال التّنافس على أشدّه آنذاك قائما لأنّ مملكة أرغون منشغلة بتركيز قوّتها بحرا وبرّا وتوسيع نفوذها على جزر البحر الأبيض المتوسّط في الحوض الغربيّ خاصّة بإسبانيا وذلك بالزّحف السّلميّ على الأندلس والاقتطاع التّدريجيّ والهادئ من أراضيها ودُويلاتها المتنافسة والمتناحرة!

8°) - الوثيقة رقم 13

- التّقديم

هذا كتاب من إسماعيل الأوّل سلطان غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون يخبره فيه باتّصاله بمعاهدة الصّلح بتاريخ السّابع عشر من ربيع الثّاني سنة 721 هـ الموافق للسّادس عشر من شهر ماي سنة 1321 م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الـمَلِكُ الـمُرَفَّعُ الأَوْفَـى الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ جَاقْمُو مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَـةَ وَقُمْـطُ بَرْجَلُونَـةَ، وَصَلَ اللّـهُ عِزَّتَـهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ جَانِبِـهِ وَشَـاكِرُ مَقَـاصِدِهِ فِـي الوَفَـاء وَمَذَاهِبِهِ وَحَافِظُ عَهْدِهِ عَملاً بوَاجِبهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجِ بْنُ نَصْر.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُـمْ كَتَـبَ اللّـهُ لَكُـمْ مِـنْ هِدَايَتِـهِ أَوْضَحَهَا وَمِنْ عِنَايَتِهِ الـمُرْشِدَةِ أَسْعَدَهَا وأَنْجَحَهَا. مِـنْ حَمْـرَاءَ غَرْنَاطَـةَ كَلأَهَـا اللّـهُ، وَلَيْـسَ بفَضْـلِ اللّـهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَجْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّـهِ كَثِـيرًا، وَجَـانِبُكُمْ مَـبْرُورٌ وَعَهْدُكُمْ بالوَفَاء مَحْفُوظٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الصُّحْبَةِ مَشْكُورٌ وَمَنْصِبُكُمْ فِي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ.

وَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الـمُكَرَّمُ صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ إلَيْنَا شِمُونَ دِي طُبِينَه وَصُحْبَةَ رَاجِلِنَا[1] أَبِـي عَلِـيٍّ حَسَـنِ الغَـرَّافِ[2]. وَوَصَـلَ

---

(1) ـ في الأصل: راجلنا: مبعوثنا.

(2) ـ أبو عليّ حسن الغرّاف: أحد وزراء غرناطة ورسول إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثاني.

العَقْدُ الذِي عَقَدْتُمْ عَلَى نَفْسِكُمْ وَأَرْضِكُـمْ بـالصُّلْحِ الـذِي يَكُـونُ فِيهِ الخَيْرُ لَنَا وَلَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَقَدْ وَقَفْنَا عَلَـى ذَلِـكَ العَقْـدِ. وَحَضَرَ رَسُولُكُمْ بِهِ بَيْنَ يَدَيْنَا، وَأَمْضَيْنَا حُكْـمَ الصُّلْحِ، وَكَتَبْنَـا نَظِيرَ ذَلِكَ العَقْـدِ، وَوَجَّهْنَـاهُ إِلَيْكُـمْ. وَأَلْقَـى إِلَيْنَـا الوَاصِـلاَنِ الـمَذْكُورَانِ مِنْ قِبَلِكُمْ مَا عِنْدَكُمْ بالاغْتِبَاطِ بِصُحْبَتِنَا وَالعَزْمِ عَلَى الوَفَاءِ بِمَا عَاهَدْتُمُونَـا عَلَيْـهِ، وَالـمَقَاصِدَ الحَسَـنَةَ التِـي تَلِيـقُ بِمِثْلِكُمْ مِنَ الـمُلُوكِ الأَوْفِيَاءِ، فَشَكَرْنَا ذَلِكَ لَكُـمْ أَكْمَـلَ الشُّـكْرِ. وَإِذَا اغْتَبَطْتُمْ بِصُحْبَتِنَا وَجَرَيْتُمْ عَلَى مِنْهَـاجِ الوَفَـاءِ فِـي حِفْـظِ عَهْدِنَـا فَعِنْدَنَـا مِـنَ الاغْتِبَـاطِ بِصُحْبَتِكُـمْ وَالحِفْـظِ لِعَهْدِكُـمْ مَـا يَقْتَضِيهِ حُسْنُ قَصْدِكُمْ، فَثِقُوا مِنَّا بِذَلِكَ أَكْمَلَ الثِّقَةِ وَكُونُوا مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ وَسَبِيلٍ مُبِينٍ. وَاللَّهُ يَقْضِـي الخَـيْرَ لَنَـا وَلَكُـمْ. وَهُـوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ إِعْزَازَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَـاهُ وَيُوَالِي لَكُمْ أَسْبَابَ عِنَايَتِهِ وَيُوَضِّحُ لَكُمْ طَرِيقَ هِدَايَتِهِ. وَالسَّـلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ يَومَ السَّبْتِ السَّابِعَ عَشَرَ لِشَهْرِ رَبِيعٍ الثَّانِي مِنْ عَـامِ أَحَـدٍ وَعِشْـرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ. عَـرَّفَ اللَّـهُ خَـيْرَهُ وَبَرَكَتَـهُ بِمَنِّـهِ وَفَضْلِهِ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

- التّحليل

أعلن إسماعيل الأوّل في هذه الرّسالة اتّصاله برسالة الملك جاقمو الثّاني صحبة رسوله شمول دي طبينــة وصحبـة مبعوثـه إلى أرغـون وزيره أبي علي حسن الغرّاف وبنسخة من عقد الصّلح المقترح لخـير البلدين. وصرّح السّلطان أنّه أمضى عقد الصّلح ونسخة منه وجّههـا مع الرّسول شِمون إلى ملك أرغون. وعبّر سلطان غرناطة عن اغتباطه بما صدر عن ملك أرغون من مشاعر الصّداقة والودّ وحسن الاستعداد لحفظ العهد والوفاء لبنوده ومقتضياته.

- التّعليق

يبدو السّلطان راضيا عن معاهدة الصّلح وبنودها وواثقا من وعـود ملك أرغون بالمحافظة على العهود والوفاء لمـا جـاء في المعـاهدة مـن بنود. غير أنّ الاحتياط واجب والمستقبل وحده قد يتكفّـل بتكذيـب هذه الوعود وفضح حقيقة الخطط المرسومة والتّوجّه المقصود.

9°) - الوثيقة (عقد صلح)

- التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة معاهدة الصّلح التي فاوض لعقدها مبعوث السّلطان إسماعيل الأوّل أبو علي حسن الغرّاف رسول جاقمو الثّاني ملك أرغون شيمون ذي طبينه يوم السّبت السّابع عشر لشهر ربيع الثّاني عام 721 هـ الموافق للسّادس عشر من ماي سنة 1321 م.

- نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَيَسْمَعُهُ أَنَّنَا الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ وَرَنْدَةَ وَالجَزِيرَةِ[1] وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ، لَمَّا وَصَلَنَا مِنْ قِبَلِكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ المَلِكُ المُرَفَّعُ الأَوْفَى المُكَرَّمُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ دُونْ جَقْمُو مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْسِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ رَسُولُكُمْ إِلَيْنَا الفَارِسُ المُكَرَّمُ شِمُون دِي طُبِيبِيَةَ بالعَقْدِ الَّذِي عَلَيْهِ طَابَعُكُمْ المَعْهُودُ عَنْكُمْ الذِي عَقَدْتُمُوهُ عَلَى نَفْسِكُمْ بِأَنَّكُمْ قَدْ ثَبَّتُّمْ مَعَنَا صُحْبَةً خَالِصَةً وَمُصَادَقَةً صَادِقَةً جَدَّدْتُمْ بِهَا مَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَقَدْتُمْ مَعَنَا صُلْحًا صَحِيحًا صَرِيحًا مَبْنِيًا عَلَى الصَّفَاءِ وَالوَفَاءِ، أَمْضَيْتُمُوهُ عَلَى نَفْسِكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ أَرْضِكُمْ مِنْ نِصْفِ شَهْرِ مَايَه المُوَافِقِ لِلتَّارِيخِ إِلَى انْقِضَاءِ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ. وَظَهَرَ لَنَا مِنْكُمْ مِنَ الاغْتِبَاطِ بِصُحْبَتِنَا مَا أَكَّدَ عِنْدَنَا إِجَابَتَكُمْ إِلَى هَذَا القَصْدِ، أَنْعَمْنَا بِمُوَافَقَتِكُمْ وَمُصَالَحَتِكُمْ وَأَعْطَيْنَاكُمْ هَذَا المَكْتُوبَ، بِأَنَّنَا قَدْ عَقَدْنَا مَعَكُمْ الصُّلْحَ عَلَى نَفْسِنَا وَعَلَى

---

[1] - الجزيرة: هي الجزيرة الخضراء التي وقعت من أجلها حروب عديدة بين القطلانيّين والقشتاليّين والمسلمين الأندلسيّين والمرينيّين.

جَمِيعِ أَهْلِ أَرْضِ الـمُسْلِمِينَ بِبِلادِ الأَنْدَلُس كُلِّهَا لانْقِضَاءِ خَمْسَةِ الأَعْوَامِ الـمَذْكُورَةِ صُلْحًا ثَابِتًا مَحْفُوظَ العَهْدِ مُؤَكَّدَ العَقْدِ. وَأَمْضَيْنَا هَذَا الصُّلْحَ إِمْضَاءً صَحِيحًا لاَ يَتَعَقَّبُ حُكْمُهُ وَلاَ يَتَغَيَّرُ رَسْمُهُ. تَأْمَنُ بِهِ أَرْضُ الـمُسْلِمِينَ بِبِلاَدِ الأَنْدَلُس وَأَرْضُكُمْ أَمَانًا تَامًّا عَامًّا وَيَنْكَفُّ عَنْهَا الضَّرَرُ مِنَ الجَانِبَيْنِ بطول مُدَّةِ الصُّلْحِ بَرًّا وَبَحْرًا سِرًّا وَجَهْرًا، فَلاَ يَلْحَقُ أَرْضَكُمْ وَلاَ نَاسَكُمْ وَلاَ أَجْفَانَكُمْ ضَرَرٌ مِنْ جِهَتِنَا بِوَجْهٍ وَلاَ عَلَى حَال. كَمَا أَنَّهُ لاَ يَلْحَقُ نَاسَنَا وَلاَ جَمِيعَ أَرْضِ الـمُسْلِمِينَ بِالأَنْدَلُس وَلاَ أَجْفَانَنَا ضَرَرٌ مِنْ جِهَتِكُمْ.

وَلاَ شَيْءَ يُقْدَحُ فِي الوَفَاءِ وَعَلَى شُرُوطٍ تَتَفَسَّرُ فَمِنْهَا أَنْ يَتَرَدَّدَ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ التِّجَارَةَ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِنَا إِلَى بِلاَدِكُمْ آمِنِينَ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ فِي النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ وَجَمِيعِ الأَحْوَال وَأَنْ يُبَاحَ لَهُمْ بَيْعُ مَا يُرِيدُونَ بَيْعَهُ وَشِرَاءُ مَا يُرِيدُونَ شِرَاءَهُ وَإِخْرَاجُ مَا يَشْتَرُونَهُ إِلَى بِلاَدِنَا. وَذَلِكَ عَلَى العُمُومِ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاء كُلِّهَا إِلاَّ الخَيْلُ وَالسِّلاَحُ لاَ يُسْتَثْنَى غَيْرُهُمَا لاَ طَعَامٌ وَلاَ بِغَالٌ وَلاَ سَائِرُ الدَّوَابِّ وَلاَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَلاَ يُزَادُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي

سَوْم[1] شَيْء يَشْتَرُونَهُ بَلْ يُبَاعُ مِنْهُمْ بِسَوْمِهِ بِذَلِكَ الـمَوْضِعِ. وَلاَ يُزَادُ عَلَيْهِمْ فِي مَغْرَمٍ مَخْزَنِي عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ فِي الصُّلْحِ الذِي انْعَقَدَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَسْلاَفِنَا. وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ العَمَلُ مَعَ مَنْ يَتَرَدَّدُ إِلَى بِلاَدِنَا مِنْ أَهْلِ بِلاَدِكُمْ. وَعَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ حِفْظُ هَؤُلاَءِ الـمُتَرَدِّدِينَ وَحِرَاسَتُهُمْ حَيْثُ حَلُّوا. وَمِنْهَا أَنْ تُعَادُوا مَنْ يُعَادِينَا مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ الـمُسْلِمِينَ بِالأَنْدَلُس، وَلاَ تَقْبَلُوا أَحَدًا مِنْهُمْ وَلاَ تَضُمُّوهُ، وَلاَ تُعِينُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا كَانَ مَنْ كَانَ. وَعَلَيْنَا أَنْ نُعَادِيَ مَنْ يُعَادِيكُمْ مِنْ أَهْلِ أَرْضِكُمْ وَلاَ نَضُمُّهُ وَلاَ نَقْبَلُهُ وَلاَ نُعِينُ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ كَانَ مَنْ كَانَ. وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ أَجْفَانُنَا آمِنَةً مِنْ أَجْفَانِكُمْ وَنَاسِكُمْ لاَ يَنَالُهَا مِنْهُمْ ضَرَرٌ سَوَاءٌ كَانَ فِيهَا أَهْلُ بِلاَدِنَا أَوْ غَيْرُهُمْ مِنَ الـمُسْلِمِينَ أَوِ النَّصَارَى، فَلاَ يُتَعَرَّضُ لَهَا مِنْ جِهَتِكُمْ بِوَجْهٍ. وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَرَاسِي بِلاَدِنَا وَسَوَاحِلُهَا تَكُونُ آمِنَةً مِنْ أَجْفَانِكُمْ وَنَاسِكُمْ سَوَاءٌ كَانَ فِي مَرَاسِينَا وَسَوَاحِلِنَا عَدُوٌّ لَكُمْ أَوْ صَدِيقٌ، لاَ يَتَعَرَّضُ مِنْ جِهَتِكُمْ لِمَرْسَى مِنْ مَرَاسِينَا وَلاَ لِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِنَا. وَإِنْ اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى جَفْنٍ مِنْ غَيْرِ أَجْفَانِ أَهْلِ بِلاَدِنَا أَوْ اسْتَوْلَيْتُمْ فِي البَحْرِ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَكَانَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ

[1] ـ في الأصل: سوم: ثمن بضاعة.

أَرْضَنَا فَتُسَرِّحُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ مِـنْ أَهْـل أَرْض الـمُسْلِمِينَ ببِـلاَدِ الأَنْدَلُس بأَمْوَالِهِمْ فِي الحِين. وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ العَمَلُ مَعَكُمْ مِنْ جِهَتِنَـا. وَمِنْهَـا أَنْ لاَ تَمْنَعُـوا مَـنْ أَرَادَ الخُـرُوجَ إِلَـى أَرْض الـمُسْلِمِينَ مِنَ الـمُدَجَّنِينَ السَّاكِنِينَ بأَرْضِكُمْ بأَهْلِهِمْ وَأَوْلاَدِهِـمْ، وَأَنْ يُبَـاحَ لَهُـمْ الوُصُـولُ إِلَـى أَرْضِنَـا آمِنِـينَ مَرْفُوعًـا عَنْهُـمْ الاعْتِرَاضُ، مِنْ غَيْر شَيْءٍ يَلْزَمُهُمْ إِلاَّ الـمَغْرَمُ الـمُعْتَادُ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَى ذَلِكَ.

انْتَهَتْ الشُّرُوطُ وَعَلَيْهَـا أَعْطَيْنَـاكُمْ عَهْدَنَـا صَحِيحًـا ثَابِتًـا وَالتَزَمْنَا الوَفَاءَ بِهِ لَكُمْ وَلِجَمِيعِ أَهْل أَرْضِكُمْ، فَلاَ يَزَالُ مَحْفُوظًا إِلَى أَقْصَى أَمَدِهِ مَا وَفَّيْتُمْ لَنَا بِمَا ذُكِرَ عَنْكُمْ فِي هَذَا الـمَكْتُوبِ. وَنَجْعَلُ اللَّهَ شَاهِدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. وَاللَّـهُ خَـيْرُ الشَّـاهِدِينَ. وَقَـدْ تَقَيَّدَ نَظِيرُ هَذَا بِالعُجْمِيِّ فِي الـمَكْتُوبِ الـذِي اسْـتَقَرَّ عِنْدَنَـا، وَعَلَيْهِ طَابَعُكُمْ، وَلِـأَنْ[1] يَكُـونَ هَـذَا ثَابِتًـا وَتَكُونُـوا مِنْـهُ عَلَـى يَقِين. أَمَرْنَا بِكَتْبِهِ وَجَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَا وَعَلَّقْنَا عَلَيْـهِ طَابَعَنَـا تَوْثِيقًا لِحُكْمِهِ، وَذَلِكَ فِي السَّابِعِ عَشَرَ لِرَبِيعِ الآخَرِ عَـامَ أَحَـدٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ وَبِمُوَافَقَةِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ مَايَةَ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

---

(1) ـ في الأصل: ولأن: حتّى.

ـ التّحليل

ـ الطّرفان الموقّعان على المعاهدة:

أوّلا: الأمير عبد اللّه إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة ورندة والجزيرة.

ثانيا: جاقمو الثّاني ملك أرغون وبلنسيّة وسردانية وقرسغة وقمط برجلونة.

ـ طبيعته:

امتداد للصّلح المعقود مع الأسلاف مثلما كان اشترط الأمير إسماعيل.

ـ مدّته:

خمس سنوات بداية من الخامس عشر من شهر ماي سنة 1321م الموافق للسّادس عشر من ربيع الثّاني سنة 721هـ.

ـ الشّروط:

1 ـ أمضى الملكان الصّلح على نفسيهما وعلى بلديهما: مملكة غرناطة وكامل بلاد الأندلس ومن بها من المسلمين ومملكة أرغون

وما يتبعها: بلنسية وسردانية وكرسغة وجميع أهلها من القطلانيّين وغيرهم.

2 ـ رفع الضّرر عن الطّرفين طيلة مدّة الصّلح برّا وبحرا سرّا وجهرا: فلا يلحق الأرض والعباد والأجفان ضرر بالجهتين ومن الجانبين.

3 ـ السّماح لأهل غرناطة بالأندلس بالاتّجار بحرّية في بلاد أرغون والسّفر برّا وبحرا في أمان وكذلك الأمر بالنّسبة لأهل ملك أرغون فيتعاطون تجارتهم في حرّيّة وأمن.

4 ـ يسمح لأهل البلدين الاتّجار في كلّ البضائع والموادّ التي يرغبون فيها ما عدا السّلاح والخيول فهي مستثناة.

5 ـ لا تُوظّف على البضائع أداءات قمرقيّة غير المتعارفة والمعمول بها في البلدين.

6 ـ لا يمكن لأحد البلدين أن يعين عدوّ البلد الآخر أو يساعده سواء كان نصرانيّا أو مسلما، فعلى كلّ منهما أن يعادي عدوّ الآخر في أرضه أو خارجها.

7 ـ حماية أجفان كلّ بلد وكذلك مراسيه وسواحله، فلا يمكن التّعرّض لها بسوء، والحرص على توفير الأمن لمن ينزل بها من رعاياه أو أصدقائه.

8 ـ تسريح من يقع أسره من أهل البلديْن أو أجفانه برّا أو بحرا وإرجاعه ببضائعه وأمواله.

9 ـ السّماح للمسلمين القاطنين بأرض أرغون بالتّحوّل إلى بلاد المسلمين إذا رغبوا في ذلك أو إلى مملكة غرناطة دون أيّ اعتراض أو اشتراط غرامة أو غيرها ما عدا الغرامة المعتادة والمتّفق عليها.

10 ـ التزام كلّ طرف بالوفاء لبنود الصّلح والعمل بشروطه طيلة المدّة المتّفق عليها وبشرط عدم إخلال أحد الطّرفين ببند من البنود أو شرط من الشّروط.

11 ـ التّصريح بأنّ كلّ طرف يملك نسخة أصليّة عربيّة وأعجميّة موقّع عليها بخطّ اليد وعليها طابع السّلطان إسماعيل وطابع دون جاقمو ملك أرغون، وذلك بتاريخ السّابع عشر لربيع الثّاني عام أحد وعشرين وسبعمائة الموافق للسّادس عشر من شهر ماي سنة 1321م.

ـ التّعليق

استطاع الأمير إسماعيل الأوّل أن يفرض شروطه على ملك أرغون لإبرام هذا الصّلح:

1 ـ أن يكون هذا الصّلح مماثلا للصّلح الذي كان أبرمه أسلافه وأجداده مع أرغون من حيث الأهداف والشّروط، وهو ما تمّ فعلا.

2 ـ أن يفرض على أرغون السّماح للمسلمين بمغادرة بلاد أرغون إلى مملكة غرناطة أو أرض المسلمين إن رغبوا في ذلك.

3 ـ لم يفرض على التّجّار دفع ضرائب جديدة وبقيت التّجارة حرّة في كافّة البضائع ما عدا السّلاح والخيول.

4 ـ عدم قدرة أرغون على ضمان تدخّلها في شؤون الدّيوانة والقمرق بغرناطة مثلما كان حقّقه ملك أرغون مع الحفصيّين بإفريقيّة وبني عبد الواد بتلمسان.

5 ـ استطاع إسماعيل الأوّل أن يعقد هذا الصّلح حسب شروطه ويضمن لبلاده الأمن برّا وبحرا لحاجة جاقمو الثّاني لمثل هذا الصّلح ليتفرّغ للتّوسّع على حساب منافسة ألبير ملك قشتالة الذي كان يريد ـ بعد طرد المسلمين واحتلال الأندلس ـ ضمّ بلاد الإسلام إلى مملكته قشتالة.

10°) - الوثيقة رقم 14

- التّقديم

هذا كتاب من عثمان بن إدريس[1] بن عبد اللّه بن عبد الحقّ بغرناطة إلى جاقمو الثّاني حول عقد الصّلح المبرم بين البلدين. وهو بتاريخ 18 ربيع الثّاني عام 721 هـ الموافق لـ 23 ماي سنة 1321م.

---

[1] - عثمان بن إدريس: وزير كبير من وزراء غرناطة. صديق للملك أرغون. وكان أبناؤه كذلك وزراء وأصدقاء حميمين للتّاج الأرغوني.

- نصّ الرّسالة

المَلِكُ المُعَظَّمُ الشَّهيرُ الأَرْفَعُ المَشْكُورُ الأَوْفَى الخَطِيرُ الكَبيرُ الأَوَدُّ الأَخْلَصُ الأَصْفَى دُونْ جيقْمَى صَاحِبُ بَلَنْسِيَةَ وَأَرَغُونَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْسِغَةَ وَقُمْطُ بَرْشَلُونَةَ أَعَزَّهُ اللَّهُ بتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ إلَى مَا يُحِبُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلاَلُهُ وَيَرْضَاهُ، شَاكِرُ خُلُوصِهِ وَصَفَائِهِ المُثَنَّى عَلَى ثُبُوتِ عَهْدِهِ وَصِدْق وَفَائِهِ عُثْمَانُ بْنُ إدْريسَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الحَقِّ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ المُنَزَّهِ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَالمُعِين وَالصَّلاَةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الخَلْقِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَاء اللَّهِ الكَرِيمِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالرِّضَا عَنِ الصَّحَابَةِ الأَكْرَمِينَ وَعَنِ التَّابعِينَ لَهُمْ بإحْسَان إلَى يَوْمِ الدِّينَ، فَإنَّنِي كَتَبْتُهُ لَكَ أَيُّهَا المَلِكُ المُعَظَّمُ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلاَ جَدِيدَ بيُمْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ مَا يُجَدِّدُ إنْعَامَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإحْسَانَهُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ. وَجَانِبُكَ مُبَجَّلٌ عَلَى الدَّوَامِ وَالاتِّصَال، وَوَاجبُكَ مُكْمَلٌ فِي كُلِّ الأَحْوَال، وَالثَّنَاءُ عَلَى جَمِيلِ وَلاَئِكَ وَصِدْق وَفَائِكَ مُرَدَّدٌ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَال.

وَإِلَى هَذَا فَــإِنَّ كِتَــابَكَ الـمُرَفَّعَ وَصَلَ إِلَـيَّ مَـعَ رَسُـولِكَ شِمُونَ دِي طُوبِيَـةَ[1] فِـي شَـأْنِ عَهْـدِ الصُّلْـحِ بَيْـنَ مَوْلاَنَـا السُّلْطَانِ[2] أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَبَيْنَكَ. وَقَدْ تَخَلَّصَتِ العُقُودُ عَلَـى أَكْمَـلِ وَجْـوهِ الاخْتِيَـارِ وَحَصَـلَ الـمَقْصُودُ فِـي تَـأْمِينِ البِـلاَدِ وَالعِبَادِ وَكَفِّ الإِضْـرَارِ. وَأَنَـا عَلَـى شُـكْرِ وِدِّكَ وَحِفْـظِ عَهْـدِكَ حَسْبَمَا يُوجِبُهُ الاعْتِقَادُ الخَالِصُ الإِعْلاَنِ وَالإِسْرَارِ.

وَقَدْ بَلَغَنِي مَا وَجَّهْتَ لِي مَعَ رَسُولِكَ شِمُونَ وَجَدَّدْتَ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَ وِدَادِكَ. وَعَلِمْتُ صِحَّةَ خُلُوصِـكَ واعْتِقَـادِكَ. وَظَنِّـي فِيكَ أَيُّهَا الـمَلِكُ الـمُعَظَّمُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، وَغَرَضِي الـمُحَقَّقُ أَنَّهُ يَنْقَضِي[3] مَا طَالَتْ حَيَاتُكَ هُنَالِكَ. فَوَفَاؤُكَ مَعْلُومٌ وَقَصْدُكَ فِـي الـمَوَدَّةِ مَفْهُومٌ. وَأَنْتَ الـمَلِكُ الَّذِي لاَ يُسَاوِيهِ أَحَـدٌ مِـنْ مُلُـوكِ النَصَارَى شَرْقًا وَغَرْبًا وَلَكَ الوَفَاءُ الَّذِي شُهِرَ عِنْدَ جَمِيعِ النَّـاسِ بُعْدًا وَقُرْبًا. وَقَدْ قُلْتُ لِشِمُونَ فِـي ذَلِـكَ مَـا يُقَـرِّرُهُ بَيْـنَ يَدَيْـكَ وَيُلْقِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَيْكَ. فَصَـدِّقْ مَـا يَقُولُـهُ. فَعِنْـدَهُ شَـرْحُ مَـا

(1) ـ شمون دي طوبية: سفير ملك أرغون ورسوله إلى إسماعيل الأوّل وحامل معاهدة 1321م ومسلمهاله.

(2) ـ السّلطان المقصود هو إسماعيل الأوّل.

(3) ـ في الأصل: ينقضي: يطبّق.

عِنْدِي وَتَفْصِيلُهُ. وَاللَّهُ يُعِزُّكَ بِتَقْوَاهُ وَيَسُرُّكَ إِلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ لِشَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ عَامَ أَحَدٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

ـ التّحليل

كان ملك أرغون أرسل مع مبعوثه إلى السّلطان إسماعيل الأوّل شيمون دي طوبية كتابا إلى صديقه الحاجب عثمان بن إدريس بن عبد اللّه بن عبد الحقّ حول عقد الصّلح المزمع إبرامه مع غرناطة، فكتب إليه الحاجب هذه الرّسالة يؤكّد فيها صداقته لجاقمو الثّاني ووفاءه له، ويعلمه أنّ مولاه السّلطان أبرم العقد حسبما كان يرغب فيه، فتأكّدت الصّداقة وحصل المقصود. وأبلغه رسالة شفاهيّة حملها إليه سفيره شيمون. وذكر له أنّه فريد بين ملوك النّصارى شرقا وغربا لا يساويه أحد ودعاه إلى أن يصدّق ما يُلقيه عليه شيمون من كلام وأمر كان حمّله إيّاه وكلّفه بشرحه وتفصيله.

ـ التّعليق

نلاحظ من هذه الرّسالة المُريبة ما يلي:

1 ـ عمد جاقمو الثّاني إلى مراسلة حاجب السّلطان وطلب مساعدته والتّدخّل لدى السّلطان لفائدة أرغون. وهو ما قام به الحاجب حسبما يتّضح من هذه الرّسالة.

2 ـ لم يتردّد عثمان بن إدريس بن عبد اللّه في التّجاوب مع ملك أرغون والردّ عليه بتأكيد إخلاصه ووفائه له.

3 ـ يراسل هذا الحاجب جاقمو الثّاني من وراء سلطان بلاده ومولاه ويعمد إلى ربط علاقة مريبة مع ملك بلد عدوّ رغم كلّ شيء وبدون علم ملكه، بل يبعث برسالة شفويّة مع سفير ملك أرغون لا يعلم أحد فحواها، وتتعلّق دون شكّ بعلاقة أرغون بغرناطة ومدى استعداد هذا الحاجب لخدمة صديقه جاقمو الثّاني ومساعدته على تحقيق أغراضه.

وكان مثل هذا السّلوك أضرّ بمملكة غرناطة وبالأندلس قاطبة ونسبّب في إضعاف الحكم الإسلاميّ بالأندلس.

11°) - الوثيقة رقم 5

- التقديم

هذا الكتاب بتاريخ 3 محرّم سنة 723 هـ الموافق لـ 12 يناير سنة 1323 م من السّلطان إسماعيل الأوّل ملك غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون حول انتهاكات عقد الصّلح المبرم بين البلدين سنة 1321 م الموافق لسنة 721 هـ.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَـلُّ الـمُكَرَّمُ الـمُرَفَّعُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الـمَشْهُورُ الأَخْلَصُ [دُونْ جَقْمُو مَلِكُ أَرَغُونَ][1] وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَـةَ وَقمْـطِ بَرْجَلُونَـةَ وَصَلَ اللّـهُ عِزَّتَـهُ بتَقْـوَاهُ [وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ] مُعَظِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَشَاكِرُ قَصْدِهِ وَمُرِيدُ الخَيْرِ لَهُ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ [إسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْـرٍ] كَتَبْنَـاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللّـهُ وَلاَ مَتَعَـرِّفَ بِفَضْـلِ اللّـهِ تَعَالَى [إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ] الأَجْمَـلُ وَالحَمْـدُ لِلّـهِ كَثِـيرًا وَعَنْ العِلْمِ بمَحَلِّكُمْ الـمَشْهُورِ وَوَفَائِكُمْ الـمَشْكُورِ [وَمَنْصَبِكُمْ فِـي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ المَعْلُومِ وَجَانِبُكُمْ المَبْرُورِ].

وَجَبَ بِهِ تَعْرِيفُكُمْ أَنَّ جَفْنًا تَوَجَّهَ مِـنْ مُـتْرَايلَ مِـنْ أَرْضِنَـا إِلَى هُنَيْنَ فَأَرْسَـ[ـى] جَفْنٌ لأَهْلِ بَلَنْسِيَةَ كَـانَ صَاحِبُـهُ بَرَنْقِـيرُ قَلْفَاطُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَمَّا أَخَـ[ـذَ مَا كَان بهَا مِنْ] نَاس وَمَال سَرَّحَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَـةَ أَشْـخَاص مِـنْ أَهْـلِ الأَنْدَلُـسَ وَأَمْسَـكَ مِـنْ أَهْـلِ الا..... إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ أَحَدُهُمْ وَلَدُ الْبَقِيقِ الحَجَّامُ مِـنْ

---

[1] ـ زيد كلّ ما بين معقّفين ليستقيم المعنى ومسايرة لنصوص الرّسائل الأخرى. وكان في الأصل فراغا حدث بسبب تآكل النّصّ القديم. (الزّيادة هنا ولاحقا أيضا).

أَهْل حَضْرَتِنَا وَالآخَرُ [مِنْ وَادِي أَشْ] يُعْرَفُ بِأَحْمَدَ الأَعْرَجِ الدُلْري وَالآخَرُ أَحْمَدُ البَحْري مِنَ الـمَنْكَبِ[1] وَهَؤُلاَء[2] [جَمِيعًا] مِنْ أَهْل بلاَدِنَا، وَأَخَذَ أَيْضًا مِنْ مَال أَهْل بلاَدِنَا للنَّاس الذِينَ سَرَّحَهُمْ [بَرَنْقِيرُ قَلْفَاطُ]، [وَيصِلُكُمْ] التَّفْسِيرُ طَيَّ هَذَا فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ أَنْ تَعْمَلُوا [لِتَثْبُتِ] وَفَائِكُمْ وَحَسَبَ عَهْدِكُمْ وَمَا اشْتَهَرَ عَنْكُمْ فِي جَمِيعِ الأَرْض مِنَ الوَ[فَاء لِـ] هَؤُلاَء الـمُسْلِمِينَ الثَّلاَثَةِ مَا أُخِذَ فِي ذَلِكَ الجَفْن مِنْ أَمْوَال أَهْل [الأَنْدَلُس] وَهَؤُلاَء الأَشْخَاصُ الثَّلاَثَةُ الذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ مَا هُمْ إلاَّ مِنْ أَهْل بلاَدِنَا، أَمَّا وَلَدُ البَقِيق الحَجَّامُ فَمِنْ أَهْل حَضْرَتِنَا غَرْنَاطَةَ، مَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاس، وَأَمَّا أَحْمَدُ الأَعْرَجُ فَمِنْ أَهْل وَادِي أَشْ، وَأَمَّا أَحْمَدُ البَحْري فَمِنْ أَهْل الـمَنْكَبِ مِنْ بلاَدِنَا، فَلاَ يَلْحَقُكُمْ فِيهِمْ شَكٌّ، فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ قَدْ قَالَ خِلاَفَ ذَلِكَ فَلاَ قَالَهُ إلاَّ خَوْفًا مِنَ الـمَوْتِ وَبَعْدَ الامْتِحَان. فَأَنْتُمْ بمَا عِنْدَكُمْ مِنَ الـمَعْرِفَةِ بمِثْل هَذِهِ الأُمُور لاَ يَجُوزُ عَلَيْكُمْ فِيهَا الـمَاطِلُ[3] وأَنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي ذَلِكَ مَا نَشْكُرُهُ لَكُمْ وَنُقَابِلُكُمْ

---

(1) ـ المنكب: منطقة بمملكة غرناطة.

(2) ـ في الأصل: هاؤلاء.

(3) ـ في الأصل: الماطل. مطل الحبل: مدّه.

بمِثْلِهِ وَمِمَّا نُعَرِّفُكُمْ بِهِ أَنَّ غيلُوطًا[1] مِنْ الْمَرِيَةَ لِنَاس مِنْ أَهْلِهَا سَافَرُوا فِيهِ إلَى لَقَنْت[2] مِنْ بلادِكُمْ بِرَسْمِ التِّجَارَةِ وَجَلْبِ السِّلَعِ ثِقَةً بِصُلْحِكُمْ مَعَنَا. فَبَيْنَمَا هُمْ بِمَرْسَى لَقَنْتْ يُوسِقُونَ[3] سِلَعَهُمْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ قَرْقُورَةٌ[4] وَأَخَذَتْ مِنْهُمْ شَخْصًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الأَسْقَاطِ، فَشَكَوْا بِذَلِكَ إلَى أَهْلِ لَقَنْتْ، وَأَنْصَفُوهُمْ بَعْضَ نَصْفٍ. ثُمَّ إِنَّهُمْ أَقْلَعُوا بِرَسْمِ الْمَرِيَةَ فَاتَّبَعَهُمْ شِيطِي[5] حَتَّى أَدْرَكَهُمْ بِالقَبْطَةِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الغِيلُوطِ وَعَلَى جَمِيعِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الوَسْق، وَأَخَذَ فِيهِ امْرَأَتَيْن وَصَبِيَّتَيْن وَصَبِيًّا، وَخَرَجَ سَائِرُ نَاسِهِ هَارِبِينَ بِالعَوْمِ، وَتَوَجَّهَ ذَلِكَ الشِّيطِي بِجَمِيعِ مَا أَخَذَ إلَى لَقَنْتْ وَالْمِدْوَرِ وَالمَلاَّحَةِ، وَبَاعُوا ذَلِكَ بِهَا. وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ وَصَلَتْ إلَى الْمَرِيَةَ بَعْضُ سِلَعِ ذَلِكَ الغَيلُوطِ مِنْ أَرْضِكُمْ.

فَهَذَا شَرْحُ القَضِيَّةِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّنَا لَمَّا كَتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا أَوَّلاً

---

(1) ـ مَركَبٌ بحريّ.

(2) ـ لَقَنْت Alicante : مرسى ومدينة ساحليّة كبيرة.

(3) ـ يشحنون الحمولة.

(4) ـ مركب بحريّ سريع.

(5) ـ نوع من الأجفان السّريعة الصّغيرة.

عَرَفْتُمْ أَنَّهُ ذُكِرَ لَكُمْ أَنَّ الـمَرْأَتَيْن وَالصَّبيَّتَيْن وَالصَّبيَّ حُمِلُوا إلَى يَابسَةَ ، فَإنْ كَانُوا حُمِلُوا إلَيْهَا فَمَا حُمِلُوا إلاَّ مِـنْ لَقَنْـتْ. وَقَـدْ عَرَفْتُـمْ شُـرُوطَ الصُّلْـح وأَنَّ الحَـقَّ فِـي هَـذِه القَضِيَّـةِ أَنْ يَكُـونَ خَلاَصُهَا مِنْ عِنْدِكُمْ. فَـنُرِيدُ مِنْكُـمْ أَنْ تَعْمَلُـوا أَيْضًـا فِـي هَـذِهِ القَضِيَّةِ مَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْ وَفَائِكُمْ بالعَهْدِ، وَتَأْمُرُوا بِصَرْفِ هَذَا الغِيلُوطِ وَمَنْ أُخِذَ فِيهِ مِنَ النَّاس بالبَحْثِ عَنْهُـمْ حَيْـثُ كَـانُوا بِيَابسَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَرَدِّهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ إلَيْنَا [بحَضْرَتِنَا غَرْنَاطَـةَ] فِي ذَلِكَ نَشْكُرُ لَكُمْ ....[1].

[كُتِبَ فِي] الثُّلاَثَاء الثَّالِثِ لِشَهْرِ مُحَرَّمٍ مُفْتَتَـحِ عَـامِ ثَلاَثَـةٍ وَعِشْرِينَ وَسَـبْعِمَائَةٍ، عَـرَفَ اللَّـهُ [عَـزَّ وَجَـلَّ] افْتِتَاحَـهُ بِمَنِّـهِ وَفَضْلِهِ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

---

(1) ـ فراغ في الأصل.

ـ التّحليل

رفع إسماعيل الأوّل ملك غرناطة إلى جاقمو الثّاني قائمة في انتهاكات القطلانيّين لمعاهدة الصّلح المبرمة سنة 711 هـ الموافق لسنة 1321 م وفي أعمال القطع التي قام بها بعض القراصنة القطلانيّين بمراسي الأندلس. فلقد عمد جفن قطلانيّ من مُتْرَايلَ إلى السّطو على جفن لأهل بلنسية يملكه برنقير قلفاط البلنسيّ. ولمّا تعرّف القراصنة على صاحبه سرّحوا ثمانية أشخاص من ركّابه الأندلسيّين وأسروا البقيّة، رغم أنّهم أندلسيّون من بينهم ابن البقيق الحجّام من غرناطة وأحمد الأعرج وأحمد البحري من أهل الأندلس. ولقد حجزت أموالهم مع أموال من تمّ تسريحهم.

فطالب سلطان غرناطة جاقمو الثّاني بالتّدخّل لتسريحهم وإرجاع الأموال المحجوزة لأنّهم من الأندلس وتنطبق عليهم بنود العقد.

وقام كذلك قراصنة بقرقورة[1] سريعة من لقنت[2] من بلاد أرغون باعتراض غيلوط[3] أندلسيّ من المرية وحجز ما بها من

---

(1) ـ قرقورة: مركب سريع.

السّلع وما كان التّجّار الأندلسيّون بصدد شحنه بلقنت من السّلع ثقةً منهم في الصّلح وفي وفاء ملك أرغون لتعهدّاته والتزاماته. ولم يكتف القراصنة القطلانيّون بلقنت بحجز السّلع بل لحقوا بالجفن بواسطة شيطي[1] وأدركوه بالقبطة واستولوا على الغيلوط الأندلسيّ وعلى كلّ ما فيه من الحمولة والبضائع، وأسروا امرأتين وصبيّتيْن وصبيّا مسلمين بينما فرّ بقيّة الرّكّاب. وتوجّه الشّيطي إلى لقنت والمدور والملاّحة وباعوا جميع ما في الغيلوط.

وأعلم السّلطان إسماعيل الأوّل ملك أرغون بأنّ بضاعة الغيلوط وصلت إلى المرية وبيعت بها. وذكّره بأنّ هذا الأمر عمل يتنافى وروح الصّلح وشروطه. ولذلك طالب السّلطان إسماعيل الأوّل جاقمو الثّاني بالعمل على إرجاع البضاعة أو قيمتها وكلّ من أسر لا سيّما المرأتان والصِّبْية الذين نقلوا من لقنت إلى "اليابسة". واعتبر أنّ خلاص الجميع لا يمكن أن

---

(2) ـ لَقَنْت Alicante: مرسى ومدينة ساحليّة كبيرة.

(3) ـ غيلوط: جفن سريع.

(1) ـ شيطي: جفن سريع جدًا.

يكون إلاّ على يد جاقمو الثّاني المعروف في نظره بصدقه ووفائه.

وختم السّلطان رسالته بالتّأكيد على ملك أرغون بضرورة التزامه بالعهد والوفاء به والبحث عن الغيلوط وتسريح من كان فيه من النّاس فيكون له بهذا العمل شاكرا ومقدّرا.

- التّعليق

تعطي هذه الرّسالة فكرة عن الأجواء التي كان يتمّ فيها تنفيذ مثل هذه المعاهدات وعن هشاشة التزامات ملوك أرغون وانتهاك قراصنتهم بعض بنودها وشروطها. فنرى كيف أنّ القطع تواصل رغم تعليمات الملوك ومحاولتهم احترام العقود المبرمة وشروطها. وتجنّب مثل هذه المعاهدات فعلا الحروب الرّسميّة بين البلدين، لكنّ الحرب عن طريق القطع وبواسطة القراصنة كانت دوما متواصلة وساهمت في تعكير الأجواء والضّغط على الطّرف الأضعف وإكراهه على الخضوع إليه والاستجابة لطلباته.

ونلاحظ أنّ مملكة غرناطة كانت غالبا في موقف ضعف لتنافسها مع الأجوار من الدّويلات الإسلاميّة الأندلسيّة أو المغاربيّة ومنها الدّولة المرينيّة بالمغرب التي كانت لا تتردّد في الدّفاع عن غرناطة

وكلّ المدن الأندلسيّة لا سيّما في عصرها الذّهبيّ وأوج قوّتهـا. وعلـى كلّ فلقد كان للقرصنة برّا أو بحرا الـدّور الكبـير في الحـروب الـتي كانت قائمة بين أرغون والمسلمين بالأندلس وفي رسـم طبيعـة علاقـة بلاد الأندلس وخاصّة غرناطة بالقطلانيّين بأرغون.

°12) - الوثيقة رقم 16

- التّقديم

هذا كتاب من إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر صاحب غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون حول بعض انتهاكات الصّلح التي قام بها القطاع بلورقة ومرسية ضدّ المسلمين بتاريخ 17 جمادى الثّانية سنة 723 هـ الموافق لـ 23 جوان سنة 1323 م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُرَفَّعُ المُكَرَّمُ المَبْرُورُ الأَوْفَى المَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ جَاقْمَى مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَاحِبُ قُرْصِغَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ اللَّهُ وَرِضَاهُ، شَاكِرُ وفَائِهِ، المَشْهُورُ، وَمُكَرِّمُ جَانِبِهِ المَبْرُورُ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ العَارِفُ بصِدْقِ صُحْبَتِهِ وَخُلُوص وِدِّهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ فَإنَّا كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَمَحَلُّكُمْ شَهِيرٌ فِي المُلُوكِ الأَوْفِيَاء وَجَانِبُكُمْ مُقَابَلٌ بالكَرَامَةِ وَالاعْتِنَاء وَصُحْبَتُكُمْ مَحْفُوظَةُ العَهْدِ بوَاجِبِ الوَفَاء، ومَقَاصِدُكُمْ فِي المُصَادَقَةِ مَشْكُورَةُ الأَنْحَاء.

وَإلَى هَذَا فَقَدْ عَرَفْتُمْ مَا حَدَثَ فِي صُلْحِنَا مَعَ أَهْلِ لُورْقَةَ[1] وَمُرْسِيَةَ الَّذِي عَقَدْنَا مَعَهُمْ بوِسَاطَتِكُمْ وَإشَارَتِكُمْ وَمَا صَدَرَ عَنِ الغَدَّارِينَ المُفْسِدِينَ مِنْ أَهْلِهَا فِي الخُرُوجِ عَلَى إرْسَالِنَا إلَيْكُمْ وَقَتْلِ المُسْلِمِينَ وَاسْتِيصَالِ أَمْوَالِهِمْ. وَكُنْتُمْ قَدْ كَتَبْتُمْ إلَيْنَا

[1] ـ لورقة Lorca: مدينة أندلسيّة تمّ الاستيلاء عليها مع مقاطعة مرسية Murcie.

وَأَرْسَلْتُمْ تَطْلُبُونَ مِنَّا أَنْ لاَ نُعَجِّلَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ نُمْهِلَهُمْ قَلِيلاً بخِلاَل مَا يُنْصِفُونَ أَتَمَّ الإنْصَافِ، فَعَمِلْنَا بحَسَبِ قَصْدِكُمْ وَأَمْهَلْنَاهُمْ، وَصَبَرْنَا عَلَيْهِمْ كَمَا طَلَبْتُمْ. ثُمَّ إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الأَيَّام أَنْصَفُوا مِمَّا تَيَسَّرَ إِنْصَافُهُ مِنَ المَال، وَبَقِيَ الإنْصَافُ مِنَ القَتْلَى وَهُوَ أَهَمُّ الأَمْرَيْن، فَاعْتَذَرُوا عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الغَدَّارَ الذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَأَصْحَابَهُ قَدْ أَوَوْا إِلَيْكُمْ وَاسْتَقَرُّوا عِنْدَكُمْ، وَأَنَّهُمْ لاَ يُمْكِنُهُمْ إِنْصَافٌ مِنْهُمْ مَا دَامُوا فِي أَرْضِكُمْ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنَّكُمْ لاَ تَرْضَوْنَ لِمَمْلَكَتِكُمْ وَلاَ لِوَفَائِكُمْ الذِي اشْتَهَرَ فِي الأَرْض أَنْ تُؤْوُوا مِثْلَ أُولاَئِكَ الغَدَّارِينَ وَلاَ أَنْ تَضُمُّوهُمْ إِلَى جِهَتِكُمْ. فَإِنَّكُمْ أَشَدُّ غَيْرَةً عَلَى هَذِهِ الحَال، لاَ سِيَّمَا وَهُمْ إِنَّمَا نَقَضُوا عَهْدًا عُقِدَ عَلَى يَدَيْكُمْ وَبوَسَاطَتِكُمْ. وَتَعَدُّوا عَلَى إِرْسَالِنَا الَّذِينَ وَجَّهْنَاهُمْ إِلَيْكُمْ وَدَخَلُوا فِي حُرْمَتِكُمْ [وَأَنْتُمْ][1] أَعْلَى هِمَّةً وَنَظَرًا [مِنْ][2] أَنْ تَحْتَمِلُوا لَهُمْ هَذَا الفَسَادَ الشَّنِيعَ، فَإِنَّهُمْ مَا هَتَكُوا إِلاَّ حُرْمَتَكُمْ وَمَا نَقَضُوا إِلاَّ عَهْدَكُمْ. فَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَنْ تَغْضَبُوا لِهَذِهِ الحَال غَضْبَةً

(1) - زيد ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

(2) - زيد ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

الـمُلُوكِ الأَعِزَّةِ، وَيَعِزُّ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا كَمَا يَلِيقُ بِهِمَّتِكُمْ وَمَكَـانِكُمْ فِي الـمَمْلَكَةِ، وَتَقْتُلُوا أُولَئِكُمْ[1] الغَدَّارِينَ الذِينَ صَدَرَ عَنْهُـمْ مَـا صَدَرَ. فَإِنَّ أَهْلَ قَشْتَالَةَ مَا آوُوهُمْ وَلاَ ضَمُّوهُـمْ. فَـأَنْتُمْ أَوْلَـى أَنْ تَغَـارُوا عَلَـى عَهْدِكُـمْ وَحُرْمَــةِ الإِرْسَـال الــمُوَجَّهِينَ إِلَيْكُـمْ وَتَنْتَصِرُوا فِي هَذِهِ الحَال أَبْلَغَ الانْتِصَار. وَمَا كَتَبْنَا هَـذَا إِلَيْكُـمْ إِلاَّ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكُـمْ تَعْمَلُـونَ فِيـهِ أَقْصَـى مَـا يُمْكِنُكُـمْ. وَهَـذَا قَصْدُنَا مِنْكُمْ وَنَحْنُ نَشْكُرُكُمْ كَثِيرًا عَلَى مَا تَفْعَلُونَـه فِـي ذَلِـكَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَـاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِـبَ فِـي السَّـابِعِ عَشَرَ لِجُمَـادَى الآخِـرَةِ عَـامَ ثَلاَثَــةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

---

[1] ـ في الأصل: أولائكم.

ـ التّحليل

كان سلطان غرناطة قد أبـرم عقـد صلـح مـع كـلّ مـن صـاحب مرسية ولورقة عن طريق جاقمو الثّاني بعد عقد معـاهدة صلـح سـنة 721 هـ الموافق لسـنة 1321 م مـع أرغـون تسـري علـى كـلّ بـلاده. وكـانت كـلٌّ مـن مرسـية ولورقـة تحـاول الاسـتقلال عـن غرناطـة بتشجيع من أرغون والنّصارى عامّة وبـدسّ مـن المعـاهدين[1] بصفـة عامّة.

وعمد كما يتّضح من هذه الرّسالة قراصنة من مرسـية ولورقـة إلى الغدر والفتك بوفد من أهل غرناطة كان بعث به إسمـاعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني. فاشتكى إليـه السّـلطان إسمـاعيل الأوّل وطلـب منـه إنصاف أهله وإرجاع أموالهم ودفع ديّة (أي تعويض) لأهل القتلـى. فتدخّل جاقمو الثّاني وتمّ إرجاع الأموال بدون فديـة القتلـى. وبعـد طول انتظار وصبر بادر صاحب غرناطة إسماعيل الأوّل بمكاتبة ملك أرغون ومطالبته بالإيفـاء بوعـده وقتـل المجرمـين وتقديـم الفـداء في لهجة صارمة شديدة.

---

(1) ـ المعاهدون: هم النّصارى الذين كانوا فضّلوا العيش مع المسـلمين ودفـع الجزيـة مع تمتّعهم بكامل الحرّيّة وضمان أمنهم وحرّيّـة معتقدهـم. ابـن خلـدون. ج 6. النّاصري: "الاستقصاء" ج 4.

ولم يتردّد إسماعيل الأوّل من لوم جاقمو وتذكيره بأنّ أعداءه القشتاليّين لا يتصرّفون مثل هذا التّصرّف ولا يقبلون إيواء هؤلاء المجرمين بأرضهم إذ أنّهم التجؤوا إلى أرغون حتّى لا يطولهم العقاب وهم يظنّون أن لا أحد يستطيع أن يلحق بهم من المسلمين المجاهدين المكلّفين بتعقّب القراصنة الأعداء.

ـ التّعليق

نستخلص من هذه الرّسالة :

1 ـ عدم استتْباب الأمن بالأندلس رغم إبرام عقود الصّلح وعدم التزام القراصنة دوما بالسِّلم والمهادنة.

2 ـ تواصل الحرب بين المسلمين والنّصارى عن طريق القطع والقرصنة بتشجيع من الكنيسة غالبا، وإن كان ذلك دون موافقة الملوك أنفسهم.

3 ـ لم يتوقّف تفكّك الأندلس بل نراه متواصلا إذ تحاول كلّ من مرسية ولورقة الانشقاق عن غرناطة لتقع لاحقا فريسة سائغة لأرغون.

4 ـ تشير هذه الرّسالة إلى موطن الضّعف في الأندلس والمتمثّل في تفكّكها إلى دويلات ضعيفة لا حول لها ولا قوّة سريعا ما تسقط وتقع تحت سيطرة العدوّ بعد تمهيد النّصارى ـ القطلانيّين أو القشتاليّين ـ طريق احتلالها والاستيلاء عليها.

5 ـ التّنافس القائم بين القشتاليّين والقطلانيّين بأرغون أخّر سقوط الأندلس بأكملها وأجّل تاريخ الاستيلاء الكامل على غرناطة إلى موفّى القرن الخامس عشر ميلاديّا عهد توحّد كلّ من مملكة قشتالة وأرغون تحت راية واحدة وزوال سبب الوهن والمتمثّل في التّنافس بين الدّولتين.

6 ـ الخطر المحدق بالأندلس كان في مسلمي الأندلس أنفسهم وفي حكّامهم قبل أن يكون في العدوّ المتربّص دوما والحريص على الدّسّ وإذكاء الفتن لتيسير السّيطرة والتّوسّع.

13°) - الوثيقة رقم 18

- التّقديم

رسالة بتاريخ 29 رجب سنة 723هـ الموافق لـ 25 أفريل سنة 1323 م من السّلطان عبد الله إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر إلى ملك أرغون جاقمو الثّاني حول الأشخاص الثّلاثة الذين تمّ أسرهم مدّة الصّلح المبرم بين البلدين سنة 1321 م الموافق لسنة 721 هـ.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَقَّعُ الأَوْفَـى الأَشْـهَرُ الأَخْطَـرُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ جَقْمَى مَلِكُ أَرْغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَـةَ وَقُمْـطُ بَرْجَلُونَـةَ. وَصَـلَ اللَّـهُ عِزَّتَـهُ بِتَقْـوَاهُ وَأَسْـعَدَهُ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ مُعَظِّمٌ وَ[فَائِهِ][1] وَشَاكِرُهُ، وَمُكَرِّمُ مَكَانَـهُ الأَمِـيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ. كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُـمْ مِـنْ حَمْـرَاءِ غَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللَّـهُ، وَلَيْسَ بِفَضْـلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ الأَشْمَلُ وَالصُّنْعُ الأَجْمَلُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِـيرًا وَوَفَـاؤُكُمْ مَشْـكُورٌ وَمَكَانُكُمْ فِي الـمُلُوكِ الـ[ـأَ]جِلَّةِ مَشْـهُورٌ، وَمُوجِبُـهُ إِلَيْكُـمْ هُـوَ أَنَّكُمْ تَفَضَّلْتُمْ بِتَسْرِيحِ الأَشْخَاصِ الثَّلاثَةِ الـمُسْلِمِينَ الـمَأْسُورِينَ فِي الصُّلْـحِ مِـنْ أَهْـلِ بِلادِنَـا الَّذِيـنَ كَتَبْنَـا إِلَيْكُمْ فِـي شَـأْنِهِمْ وَعَرَفَكُمْ بِهِمْ رَسُـولُنَا أَبُـو عَلِـيٍّ الغَـرَّافُ، وَأَعْطَيْتُمُوهُـمْ أَمْرَكُـمْ بِتَسْـرِيحِهِمْ حَسْـبَمَا يَقْتَضِيـهِ وَفَـاؤُكُمْ الـمَعْلُومُ. فَقَابَلْنَـا ذَلِـكَ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ لَكُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ. وَلَكِنَّـهُ[2] لَمَّـا وَصَـلَ بِـأَمْرِكُمْ

---

(1) ـ زيد ما بين معقّفين اعتمادا على الوثائق السّابقة ليستقيم الـمعنى وكذلك لاحقا.

(2) ـ في الأصل: ولاكنّنا.

سَرَ[ا]حُ[1] الشَّخْصَيْن[2] مِنْهُمَا وَبَقِيَ الثَّالِثُ لَمْ يُسَرَّحْ. فَأَعَدْنَا الكَتْبَ إِلَيْكُمْ بالشُّكْرِ. وَفِي شَأْنِ هَـذَا الشَّخْص الثَّالِثِ، وَهُوَ أَبْكَرُ بْنُ حَسَنَ الأَزْرَقْ مِنْ أَهْلِ اَلْمَرِيَةَ الـمَأْسُورُ بلَقَنْتْ الَّذِي يَصِلُكُمْ عَقْدُهُ. وَنَرْغَبُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ تُكَمِلُوا فَضْلَكُمْ بقَضَاء الحَاجَةِ فِيها عَلَى مَا يَلِيقُ بحُسْن عَهْدِكُمْ. وَهَذَا قَصْدُنَا مِنْكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بتَقْوَاهُ، وَيُعِينُكُمْ عَلَى العَمَلِ بمَا يَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي اليَومِ التَّاسع وَالعِشْرِينَ لِرَجَبِ الفَرْدِ عَامَ ثَلاَثَةٍ وعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

---

(1) ـ في الأصل: سرح.

(2) ـ في الأصل: الشّخصان.

ـ التّحليل

كان إسماعيل الأوّل طلب بتسريح الأشخاص الثّلاثة المأسورين بعد إبرام صلح 1321 م الموافق لسنة 721 هـ فاستجاب جاقمو الثاني لطلبه، وأذن بالبحث عنهم وإطلاق سراحهم. إلاّ أنّ أحدهم ـ وهو أبكر بن حسن الأزرق من أهل المرية ـ لم يُطْلَق سراحه رغم أمر الملك. فأعاد السّلطان مكاتبة جاقمو الثّاني، وناشده أن يُتمّ فضله ويبادر بقضاء الحاجة وإطلاق سراح هذا الشّخص.

ـ التّعليق

نلاحظ التّلكّؤ في تسريح الأسرى والمماطلة رغم الصّلح الرّسمي المعقود والأذون والوعود. وكثيرا ما كان الملوك يستغلّون هذه الظّروف والحوادث لقضاء مآربهم وحوائجهم وتحقيق أهدافهم السّياسيّة والشّخصيّة وكانت هذه الظّروف مناسبات تُستغلّ للحصول على مزيد من التّنازلات الاقتصاديّة والتّرابيّة وهو ما تمّ لاحقا بخلوّ الجوّ لأرغون وإقدامه على الاستيلاء على لورقة ومرسية.

°14) - الوثيقة رقم 17

- التّقديم

هذا كتاب من الحاجب عثمان بن إدريس بن عبد اللّه[1] بغرناطة إلى جاقمو الثّاني بتاريخ 11 شوّال سنة 723 هـ الموافق لـ 13 أكتوبر سنة 1323م.

(1) - سبق أن راسل هذا الحاجب ملك أراغون جاقمو الثّاني مباشر في رسالة متقدّمة بعد عقد صلح سنة 721 هـ الموافق لسنة 1321 م لما بينهما من صداقة وعلاقة شخصيّة ذاتيّة.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَعَزُّ الكَبِيرُ الشَّهِيرُ الخَطِيرُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَوْفَى دُونْ جيقْمَى مَلِكُ أَرَغُونَ أَسْعَدَهُ [اللَّهُ][1] بِرِضَاهُ وَأَعَزَّهُ بِتَقْوَاهُ، شَاكِرُ وَفَائِهِ، الشَّهِيرُ العَلِيمُ بِقَدْرِهِ وَمَنْصَبِهِ الخَطِيرِ، عُثْمَانُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَتَبْتُهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَعَنِ الشُّكْرِ لِوَفَائِكُمْ وَالعِلْمِ بِرِفْعَةِ قَدْرِكُمْ عَلَى نُظَرَائِكُمْ. وَإِلَى هَذَا أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ بِرِضَاهُ. فَإِنَّ مُوصِلَهُ إِلَيْكُمْ لَمَّا عَلِمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ حُسْنِ العَهْدِ وَثُبُوتِ الوِدِّ أَتَانِي دَخِيلاً رَاغِبًا مِنِّي أَنْ أَشْفَعَ لَهُ وَلِصَاحِبِهِ عِنْدَكُمْ، وَهُمَا فَرَانْدُ دَبْصَانَه وَبَرِيقَهْ دِي مِلِينْشْ[2] لِتَصْفَحُوا عَنْهُمَا وَتَصْرِفُوا لَهُمَا وَجْدَ اعْتِنَائِكُمْ، حَتَّى يَرِدَا لَدَيْكُمْ مَوْرِدَ العَفْوِ وَالرِّضَا وَيَعُودَا إِلَى خِدْمَتِكُمْ عَلَى مَا كَانَا فِيمَا سَلَفَ وَمَضَى. وَشُكْرِي بِإِزَاءِ ذَلِكَ جَزِيلٌ وَثَنَائِي عَلَيْهِ

---

(1) - زيد ما بين معقّفين اعتمادا على الوثائق السّابقة ليستقيم المعنى وكذلك لاحقا.

(2) - تاجران قطلانيّان كانا يعملان ببلاط جاقمو الثّاني.

جَمِيلٌ وَسُلْطَانُكُمْ بِقَبُولِ شَفَاعَتِي فِيهِمَا كَفِيلٌ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُسْعِدُكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُعِزُّكُمْ بِرِضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الحَادِي عَشَرَ لِشَوَّالَ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

ـ التّحليل

شفع الحاجب عثمان بن إدريس بن عبد اللّـه لصديقيْن قطلانيّيْن له لدى ملك أرغون جاقمو الثّاني حتّى يعفو عنهما ويعيدهما إلى سابق خدمتهما ومكانتهما وهما فراند دبْصانة وبريقهْ دِي مِلِينْش. وذكر عثمان أنّ هذيْن القطلانيّيْن اتّصلا به راجييْن منه التّدخّل لفائدتهما حين علما بمكانته عند جاقمو الثّاني وصداقته له.

ـ التّعليق

إنّ هذه الشّفاعة لفائدة قطلانيّيْن تفضح عمق العلاقة القائمة بين الرّجليْن وخدمات الحاجب عثمان لملك أرغون ودوره في تثبيت المهادنة بين البلديْن وتزويد ملك أرغون بما كان يحتاجه من أخبار وما يتمّ رسمه من مخطّطات لحماية المملكة والاتّقاء من هجمات الأعداء. وهو يبدو ـ بتعبيرنا اليوم ـ عميلا لأرغون، وإن كان الحاجب والوزير الأوّل بغرناطة.

15°) ـ الوثيقة رقم 11

ـ التقديم

هذه رسالة من إسماعيل الأوّل ملك غرناطة إلى دون بترو دو كَرالت نائب ملك أرغون بتاريخ 14 ربيع الثّاني سنة 724 هـ الموافق لـ 11 مارس سنة 1324 م حول انتهاكات الصّلح بأوريبويلا[1].

---

(1) ـ الصّلح المبرم سنة 721 هـ الموافق لسنة 1321 م.

- نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعَزَّ نَصْرَهُ إِلَى النَّائِبِ عَنِ السُّلْطَانِ مَلِكِ أَرَغُونَ بِأَرْيُولَةَ الأَجَلِّ الـمُكَرَّمِ الـمَبْرُورِ الـمَشْكُورِ الأَخْلَص بِتْرَه دِي قِرَالْطْ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ كَتَبْنَا[هُ] إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَعَنْ البِرِّ بِكُمْ وَالـ[ـثَّنَاءِ][1] وَالشُّكْرِ لِمَقَاصِدِكُمْ فِي الوَفَاءِ وَمَذَاهِبِكُمْ.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ [رَفَعْتُمْ] أَنْ يَصِلَكُمْ ضَرَرٌ مِنْ جِهَةِ الـمُسْلِمِينَ [وَهَذَا] أَمْرٌ لاَ تَعْتَقِدُو[نَـ]ـهُ[2] فِينَا بِوَجْهٍ فَإِنَّنَا لاَ نَبْدَأُ أَحَدًا بِنَقْضِ مَا عَاهَدْنَا وَلاَ بِحَلِّ مَا عَقَدْنَا. وَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ. وَمَا عَهْدُ السُّلْطَانِ دُونْ جَقْمَى عِنْدَنَا إِلاَّ أَثْبَتُ العُهُودِ وَأَحْفَظُهَا. وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ أَنَّنَا لَمْ نُطْلِقِ الغَارَةَ

[1] - زيد ما بين معقّفين اعتمادا على الوثائق السّابقة ليستقيم المعنى وكذلك لاحقا.

[2] - في الأصل: لا تعتقدوه.

عَلَى أَرْض وَلَدِ مَنْوَلَ إلاَّ عَنْ نِكَايَاتِ كَثِيرَةٍ صَدَرَتْ لَنَا مِنْهَا. وَبَقِينَا نَطْلُبُ مِنْهُ الإنْصَافَ مُنْذُ أَزْيَدَ مِنْ عَامٍ، وَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ رَسُولاً إِلَى قَشْتَالَةَ، فَمَا أَنْصَفَنَا أَحَدٌ وَلاَ رَأَيْنَا خَلاَصًا، فَحِينَئِذٍ انْتَصَرْنَا لِنَاسِنَا، حَسْبَمَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَيْنَا. وَأَمَّا السُّلْطَانُ دُونْ جَقْمَى فَمَا صَدَرَ لَنَا مِنْهُ إلاَّ الوَفَاءُ، وَلاَ يَصْدُرُ لَهُ مِنَّا إلاَّ مِثْلُ مَا صَدَرَ لَنَا مِنْهُ مِنَ الوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَالحِفْظِ لِبِلاَدِهِ. فَلاَ تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ فَاعْلَمُوهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِشَهْرِ رَبِيعٍ الآخَرِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

انْتَهَى.

ـ التّحليل

كان بترو قرالت نائب ملك أرغون بأوريبويلا اشتكى لملكه جاقمو الثّاني من هجمات المسلمين وانتهاكاتهم عقد الصّلح المبرم بين أرغون وغرناطة. فبادر إسماعيل الأوّل بمكاتبة هذا الحاكم وشرح القضيّة وإعلامه بأنّ المسلمين لم يهاجموا أحدا. وذكّر أنّغرناطة لم تتعوّد نقض العهود، كما يعلم ذلك ملك أرغون. ولا تسمح بأن يلحق أهلَ أرغون ضررٌ من أهل مملكة غرناطة. وإن حدث شيء من ذلك فهو نتيجة الدّفاع عن النّفس. فالغارة على أرض ولد منول[1] حدثت بسبب غاراته المتكرّرة على المسلمين والشّكايات بدون نتيجة لملك قشتالة الذي لم يحرّك ساكنا ولم يبادر بإنصاف المسلمين. ورجا نائب الملك في الختام أن لا يشتكي من هذا الحادث وأن يُعلم الملك بحقيقة الأمر.

ـ التّعليق

نرى من خلال هذه الرّسالة تواصل الانتهاكات رغم الصّلح المبرم وتكرّر الهجمات من كلا البلدين وتداخل المسائل لتنافس

(1) ـ المقاطعة كانت تابعة لقشتالة.

الحكّام القطلانيّين والقشتاليّين من جهة والغرناطيّين وبقيّة الأندلسيّين من جهة ثانية. ونلاحظ التّعاونَ بينَ القطلانيّين والقشتاليّين الأعداء لإيقاف هجمات المسلمين. فأرض ولد منول تابعة لقشتالة لكنّ نائب ملك أرغون يتولّى بنفسه الدّفاع عنها وإن كان أصحابها هم البادون المبادرون بالظّلم والإغارة. فيبدو الأندلسيّون وملك غرناطة بالذّات ـ وهو في عنفوان قوّته ـ في موقف ضعف وفي حالة دفاع عن النّفس. لقد لعبت غارات القراصنة والقطّاع دورا كبيرا في إضعاف المسلمين الأندلسيّين المتناحرين دوما وتمزيق الأوصال التي كانت تجمع بينهم في انهيار هذه الدّويلات وسقوطها دويلة بعد أخرى.

16°) ـ الوثيقة رقم 7

ـ التّقديم

هذه رسالة من إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر بغرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون حول بعض الشّكايات المتعلّقة بانتهاكات الصّلح بتاريخ غرّة جمادى الثّانية عام 724 هـ الموافق لغرّة جوان سنة 1324 م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُعَظَّمُ الـمُوَقَّرُ الأَشْهَرُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ جَقْمَى سُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَمَلِكُ أَرَغُونَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، حَافِظُ عَهْدِهِ العَارِفُ بِوَفَائِهِ الشَّاكِرُ لِمَذَاهِبِهِ فِي الصُّحبَةِ وَحُسْنِ مَقَاصِدِهِ..... الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ. كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعٌ مَبْرُورٌ، وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاءِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ مُسْتَحْسَنٌ مَشْكُورٌ، وَمَكَانُكُمْ فِي سَلاَطِينِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ. وَإِلَى هَذَا فَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ الـمَبْرُورُ عَلَى صُحْبَةِ رَسُولِكُمْ إِلَيْنَا غَلِيمٌ[1] وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مَا ذَكَرْتُمْ، وَحَضَرَ رَسُولُكُمْ بَيْنَ يَدَيْنَا، فَقَرَّرَ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ لَنَا وَخُلُوصِ صُحْبَتِكُمْ لِجَانِبِنَا وَصِدْقِ وَفَائِكُمْ مَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْكُمْ وَالـمَشْهُورُ عَنْكُمْ وَنَحْنُ [نُقَدِّمُ][2] لَكُمْ أَحْسَنَ الشُّكْرِ وَمَا عِنْدَنَا إِلاَّ الإِخْلاَصُ فِي

---

(1) ـ غليم: هو غليم سجنوية رسول جاقمو الثّاني إلى ملك غرناطة.

(2) ـ في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

صُحْبَتِكُمْ وَالحِفْظُ لِعَهْدِكُمْ وَالوَفَاءُ بِمَا عَاهَدْنَاكُمْ [عَلَيْهِ] بَاق وَعَلَى مَا عَلَيْهِ عَاقَدْنَاكُمْ إِلَى آخِرِ أَمَدِهِ فَكُلُّ مَنْ صَالَحْنَاهُ مَا وَجَدَ عِنْدَنَا إِلاَّ الوَفَاءَ مَا [حَيِينَا] وَلَمَّا وَقَفْنَا عَلَى كِتَابِكُمْ وَطُولِعْنَا بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الشِّكَايَاتِ رَأَيْنَا أَنْ نُجِيبَكُمْ عَنْهَا فِي هَذَا المَكْتُوبِ بِمَا تَقِفُونَ عَلَيْهِ.

فَأَوَّلُ شِكَايَةٍ ذَكَرْتُمُوهَا فِي كِتَابِكُمْ أَنَّهُ بَقِيَ لَكُمْ النَّصَارَى الَّذِينَ بِبَلَس(1) اِثْنَان، وَطَلَبْتُمْ تَوْجِيهَهُمَا إِلَيْكُمْ. وَنَحْنُ قَدْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ أَصْحَابَهُمْ الثَّلاثَةَ مَعَ شِمُونَ طَبِيَة(2) وَذَكَرْتُمْ [أَنَّهُ أَبُو] بَكْرٍ مِنْ أَهْلِ بَلَسَ [الذِي] أَخَذَهُمْ. وَمَا أَخَذَهُمْ أَبُو بَكر وَإِنَّمَا أَخَذَهُمْ حَوَاسُونَ(3) كَانُوا يُفْسِدُونَ بِتِلْكَ الأَرْض وَهَؤُلاَءِ(4) الحَوَاسُونَ ذَبَحُوا النَّصْرَانِيِّين الذِينَ ذَكَرْتُمْ. وَلَمَّا عَلِمْنَا ذَلِكَ أَمَرْنَا بِأَخْذِهِمْ وَقُتِلُوا بِالسَّيْفِ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ.

وَذَكَرْتُمْ أَنَّ نَصْرَانِيَّيْنِ أُخِذَا بِأَرْضِ قَرْطَاجِنَّةَ وَهُمَا مِنْ

---

(1) - بلس: مدينة أندلسيّة.

(2) - شمون طبية: رسول جاقمو إلى غرناطة.

(3) - حواسون: قطّاع طرق.

(4) - في الأصل: هاؤلاء.

أَرْضِكُمْ. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ النَّصَارَى لاَ يُعْلَمُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِنْ أَرْض الصُّلْحِ وَلاَ مِنْ أَرْض النِّفَاق، وَإِنَّمَا يَتَمَيَّزُونَ بالأَرْض، فَمَنْ أُخِذَ فِي أَرْض الصُّلْح فَيُحْكَمُ بِحُكْمِ أَرْض الصُّلْحِ وَمَنْ أُخِذَ بأَرْض النِّفَاق فَحُكْمُهُ حُكْمُ أَرْض النِّفَاق كَانَ مَنْ حَيْثُ كَانَ فَلاَ حُجَّةَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الحَال وَلَكِنْ[1] مُذْ[2] كَتَبْتُمْ فِي حَقِّهِمْ فَنَحْنُ نَقْضِي حَاجَتَكُمْ وَنُسَرِّحُهُمْ إِذَا سَرَّحْتُمْ لَنَا مَنْ عِنْدَكُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ المَأْخُوذِينَ فِي الصُّلْحِ.

وَذَكَرْتُمْ أَنَّ مَنْوَلَ دِي نُغْرُونِي الجنْويَّ أَخَذَ سِلَعًا لِبَعْض نَاسِكُمْ وَبَاعَهَا بِالْمَرِيَةَ وَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْوَلَ المَذْكُورَ تَاجِرُ مُتَرَدِّدٌ إِلَى بِلاَدِنَا مَعْرُوفُ العَيْن، فَلاَ يَلْزَمُنَا أَنْ نَبْحَثَ عَـ[ـمَّا] يَسُوقُهُ إِلَى أَرْضِنَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا بَاعَ تِلْكَ السِّلَعَ إِلاَّ مِنْ نَصَارَى مِنْ أَهْل بِلاَدِكُمْ. فَابْحَثُوا عَنْهُمْ وَأَنْصِفُوا مِنْهُمْ إِنْ ظَهَرَ لَكُمْ ذَلِكَ فَنَحْنُ مَا عَلِمْنَا [عِنْدَ] وُصُولِهِ أَنَّهُ أَضَرَّ بِنَاسِكُمْ [إِلاَّ مِنْ] "غَلِيمَ".

---

(1) ـ في الأصل: ولاكن.

(2) ـ مذ: أي ما دمتم/ بعد أن.

وَذَكَرْتُمْ أَنَّهُ أُخِذَ لِأَهْلِ أَرْضِكُمْ غِيلُوطٌ[1] كَانَ فِيهِ نَصَارَى حُمِلُوا إِلَى الْمَرِيَةَ. وَهَذَا الغِيلُوطُ لَقتَهُ أَجْفَانُنَا فَغَرِقَ[2] قُدَّامَهُمْ وَهَرَبَ نَاسُهُ حَتَّى أُخِذَ مِنْهُمْ مَنْ أَخِذَ مَا بَيْنَ أَرْضِ الـمُسْلِمِينَ وَأَرْضِ النَّصَارَى فَظَهَرَ مِنْ هُرُوبِهِمْ وَحَالِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَرْضِ النِّفَاقِ فَثُقِفُوا[3] بِهَذَا السَّبَبِ. فَأَمَّا مُذْ كَتَبْتُمْ فِي شَأْنِهِمْ فَنَحْنُ نَنْعَمُ بِتَسْرِيحِهِمْ إِذَا سَرَّحْتُمْ مَنْ لَنَا عِنْدَكُمْ مِنَ الـمُسْلِمِينَ الـمَأْخُوذِينَ فِي الصُّلْحِ.

هَذِهِ الشِّكَايَاتُ الَّتِي كَتَبْتُمْ فِي شَأْنِهَا قَدْ أَجَبْنَاكُمْ عَنْهَا بِمَا عِنْدَنَا. وَتَعْلَمُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنَّنَا حَفِظْنَا عَهْدَكُمْ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ، وَعَمِلْنَا فِي ضَبْطِهِ مَا لَمْ يُعْمَلْ قَبْلُ فِي صُلْحٍ، حَتَّى انْتَهَيْنَا أَنْ كَتَبْنَا إِلَى سُلْطَانِ تِلِمْسَانَ فِي شَأْنِ نَصَارَى أَخَذَتْهُمْ أَجْفَانُهُ فِي البَحْرِ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْصِدُونَ بِلاَدَنَا. وَأَعَدْنَا إِلَيْهِ الكُتُبَ مَرَّةٍ بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى سَرَّحَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَيْنَا وَأَمَرْنَا بِسَرَاحِهِمْ، وَقَدْ تَوَجَّهُوا إِلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الفَارِطَةِ،

---

[1] - مَركَبٌ بحريٌ

[2] - في الأصل حرن : غرق.

[3] - ثقفوا: أُسروا وعوقبوا من ثقّف عاقب وسوّى.

فَسَلُوهُمْ فَهُمْ يُخْبِرُونَكُمْ، وَرَسُولُكُمْ غِلِيمُ الـمَذْكُورُ كَـانَ بـأَرْض صَاحِبِ تِلِمْسَانَ وَعَرَفَ صِحَّةَ الخَبَرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَنَـا عِنْدَكُـمْ جُمْلَةُ الشِّكَايَاتِ يَصِلُكُمْ تَفْسِيرُهَا مَعَ ثِقَتِنَا الوَاصِلِ إِلَيْكُمْ بِهَـذَا يَحْيَى بْن ذُنُونَ. فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ تَعْمَلُوا فِيهَا مَـا هُوَ الـمَضْمُونُ مِنْ وَفَائِكُمْ [وَتَأْذَنُوا][1] بِالخَلَاص مِنْهَا عَلَـى مَـا يَقْتَضِيهِ الوَفَاءُ الذِي شَاعَ عَنْكُمْ وَعُرِفْتُمْ [بِـهِ] [وَ مَـا][2] صَبرْنَـا عَلَى هَذِهِ الحَال إلاَّ لِثِقَتِنَا أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ فِي ذَلِكَ [عَمَلَ] مِثْلِكُـمْ مِـنْ كِبَـارِ السَّـلَاطِين وَوُجُـوهِ الـمُلُوكِ. وَهَـذَا الشَّـخْصُ الـذِي أَرْسَلْتُمْ إِلَيْنَا غِلِيمُ سِجِنْوِيَة الـمَذْكُورُ مَا ظَهَرَ مِنْهُ إلاَّ مَا شَكَرْنَاهُ مِـنْ حُسْـنِ القَـوْل وَجَمِيـل الـمُحَاوَلَةِ فِـي [الحَاجَـةِ][3] الَّتِـي وَجَّهْتُمُوهُ فِيهَا. فَإِذَا وَجَّهْتُمْ إِلَيْنَـا فِيمَـا بَعْدُ فَوَجِّهُـوهُ أَوْ مَـنْ يَكُـونُ مِثْلَـهُ، وَأَمَّـا الآخَـرُ الـذِي وصَـلَ مَعَـهُ بيِـرَةُ رُبَـرْتُ فَظَهَرَتْ مِنْهُ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ وَأَخَذَ فِي أَحْوَال لاَ تَبْقَى مَعَهَا مَوَدَّةٌ، فَإِنَّهُ تَرَكَ مَا تَوَجَّهَ بِرَسْمِهِ وَاشْتَغَلَ بِالكَذِبِ وَطَلَبِ مَا لاَ يَجِبُ

---

(1) ـ في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(2) ـ في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(3) ـ في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

[وَ لاَ مَا][1] وَجَّهْتُمُوهُ بِرَسْمِهِ فِي جمِيعِ أَفْعَالِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّنَا مَا عِنْدَنَا إلاَّ الثَّبَاتُ عَلَى عَهْدِكُـمْ وَالحِفْـظُ لَـهُ إذَا أَنْصَفْتُمُونَا مِنَ الشِّكَايَاتِ وَخَلَّصْتُمْ هَذِهِ الحَالَ حَتَّى تَنْبَنِـي الأُمُورُ عَلَى صَفَاء طَرِيقَةٍ وَ[أَحْسَن][2] حَال. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُـمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِـبَ فِـي غُـرَّةِ جُمَـادَى الأُخْـرَى عَـامَ أَرْبَعَــةٍ وَعِشْــرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

---

(1) - في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(2) - في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

ـ التّحليل

I ـ شكايات ملك أرغون:

كـان جـاقمو الثّـاني ملـك أرغـون وجّـه رسـالة لملـك غرناطـة إسماعيل الأوّل تتعلّق بانتهاكات عقد الصّلح وتتضمّن شـكايات مـن أهل غرناطة وطلب تسريح النّصارى المختطَفِين والـمَأسُورين. وهـذه الشّكايات الواردة في هذه الرّسالة هي التّالية:

1 ـ طلب تسريح النّصارى المختطِفِين ببَلس ولا سيّما الشّخصين اللّذين أخذهما أبو بكر من أهل بَلس.

2 ـ طلـب تسـريح الشّخصيْن اللّذيـن أُخـذا بـأرض قرطاجنّـة والتّابعيْن لأرغون.

3 ـ ردّ السّلع التي أخذها منـول دي نُغرونـي الجنـوي وباعهـا بالـمرية.

4 ـ إرجاع (المركب الكبير) الغيلوط[1] الذي اختطف بما فيه من النّصارى الذين حُملوا إلى الـمرية.

---

[1] ـ غيلوط: نوع من الأجفان البحريّة. شرح من قبل.

II - ردود ملك غرناطة إسماعيل الأوّل عليها:

1 - طبعُنا الوفاء لمن صالحنا ووفاؤكم بين ملوك الإفرنجة مشهور معلوم لا نشكّ فيه أبدا.

2 - وجّهنا لكم أصحاب الشّخصين المطلوبين أمّا هذان الأخيران فلم يأخذهما أبو بكر من بَلس كما اعتقدتم فلقد قبض عليهم الحوّاسون[1] وذبحوهما. ولمّا علمنا بصنيعهم قبضنا عليهم وقتلناهم بغرناطة.

3 - أمّا النّصرانيّتان اللّتان أُخذتا بقرطاجنّة وذكرتم أنّهما من أرضكم فلم يكن أحد يستطيع أن يتعرّف على حقيقة هويتهما وأصلهما. هل هما من أرضكم أرض الصّلح أو من أرض النّفاق الأعداء، لذلك تمّ القبض عليهما.

ونحن على استعداد لقضاء حاجتكم والاستجابة لطلبكم بالإذن بإطلاق سراحهما لكن بشرط أن تطلقوا ما لديكم من أسرى المسلمين الذين أُسِرُوا في عهد الصّلح.

---

(1) - الحوّاسون: القطّاع والقراصنة.

4 ـ إنّ السّلع التي ذُكر أنّ مِنوَل دِي نُغروني الجنوي أخذها لبعض أهلكم وباعها بالمرية لم يتولّ بيعها بنفسه بل نصارى من بلدكم قاموا بالعمليّة ومنهم تاجر كبير مشهور معلوم يتردّد دوما على غرناطة لا يمكن منعه من القدوم إليها. أمّا النّصارى الذين قاموا ببيع السّلع فهم المسؤولون على ذلك. ولكم أن تقبضوا عليهم وأن تنصفوا بأنفسكم أصحاب السّلع وتعلمون أنّ الاتّجار لأهلكم حرّ ببلدنا ـ حسب عقد الصّلح ـ.

5 ـ أمّا قضيّة "الغيلوط" (هذا المركب المحجوز) فلقد قامت أجفاننا بالالتحاق به حين فرّ أصحابه واتّضح أنّهم من أهل النّفاق الذين لا ينطبق عليهم الصّلح فحجز الغيلوط بمن فيه. ونحن على استعداد لتسريح أصحابه شرط أن تطلقوا سراح المسلمين المأخوذين والمأسورين في الصّلح.

6 ـ نذكّركم أنّنا حفظنا عهدكم وتدخّلنا لفائدتكم لدى أصدقائنا: فلقد طلبنا ـ كما تعلمون ـ من سلطان تلمسان تسريح النّصارى الذين أُسروا في البحر بمراسي تلمسان وهم في طريقهم لبلادنا. وألححنا عليه كي يسرّحهم، فردّهم إلينا ووجّهناهم إليكم، ورسولُكم غِليم بأرض تلمسان على علم بذلك وبالجهود التي بذلناها ليتمّ تسريحهم.

7 ـ رغم وفائنا وحسن نيّتنا واستجابتنا لطلباتكم هذه لم تقوموا بفضّ الشّكايات التي قدّمناها ونعيد تقديمها مع رسولنا يحيى بن ذُنون. ونأمل أن تتفضّلوا كعادتكم بحلّ هذه المشاكل وتسريح كلّ أهلنا من المسلمين المأسورين.

8 ـ ويُنهي السّلطان رسالته بإعلامه بأنّه استقبل الرّسوليْن اللّذين كان أرسلهما وهما غِلِيمْ سِجنْوية المذكور الذي كان مثالا في الاستقامة وحسن الخلق أمّا الرّسول الثّاني بيره رُوبَرتْ فهو غير مرغوب فيه لسوء تصرّفه ولما ظهر منه من أفعال وأقوال لا تليق. فيحسن عدم إرساله في المستقبل والحفاظ على عهود الودّ والوفاء.

ويؤكّد إسماعيل الأوّل بقاءه على الوفاء والإخلاص.

ـ التّعليق

إنّ قائمة الشّكايات تؤكّد لنا تدهور الأحوال بين البلدين رغم المعاهدة المبرمة وتواصل القرصنة والقطع وتأذّي البلدين من هذه الحرب المقنّعة غير المعلنة.

ونلاحظ صمود السّلطان إسماعيل الأوّل وصلابة موقفه وسلامته فهو يبدي استعدادا للاستجابة لرغبات جاقمو الثّاني شرط استجابته كذلك لطلباته وتسريحه لأسرى المسلمين.

ويبدو ملك غرناطة في هذه الرّسالة في موقف قوّة، ويعمد إلى معاملة أرغون على أساس مبدأ "العين بالعين والسّنّ بالسّنّ". ولا ننسى أنّ هذا العقد يمثّل العصر الذّهبيّ لملكة غرناطة والتي لا تزال في عنفوان قوّتها ومدعومة بالدّولة المرينيّة بفاس. فلقد كانت تحرس سواحل الأندلس وتدافع عنها وتقوم بالتّصدّي لنصارى كلّ من أرغون وقشتالة وكانت على كلّ في هذه الفترة متحالفة مع أرغون ضدّ قشتالة ومتعاونة مع بني الأحمر بغرناطة تعاونا مجديا ومفيدا.

°17) ـ الوثيقة رقم 20

ـ التّقديم

المشروع الأصلي للوثيقة عدد 19

كتاب من عثمان بن إدريس بن عبد الله، وزيـر إسمـاعيل الأوّل ملك غرناطة بتاريخ 19 شعبان سنة 724هـ الموافـق لـ 12 أوت سـنة 1324م.

- نصّ الرّسالة

الحمْدُ للّه وصل اللّهُ كرامتكُمْ بتقْواهُ كُنْتُ عرّفْتُ جلالكُمْ المُعظّمَ أنّ ثقتي أحْمد بْن عبْد السّلام لمّا جاز منْ إسْكنْدريّة مع إرْسالكُمْ في العام الفارط نسي بالدّار الّتي نزل بها كِنانةً[1] فيها كُتُبٌ منْ صاحب ديار مصْر لِهذا المقام العليِّ السُّلْطانِيِّ وفيها أيْضًا جُمْلةُ كُتُبٍ أُخر. ورغِبْتُ منْكُمْ أنْ تأْمُرُوا أحد خُدّامكُمْ بالبحْث عنْها عسى أنْ يقع عليْها وتُوجّهُوها إلى هُنا. وأنا الآن أُجدّدُ قصْدكُمْ في ذلك. ولعلّ أنْ تجْبر. وزيْدُونْ المُسْلمْ الّذي هُنالكُمْ يعْرفُ الموْضع الّذي نزل به، فهُو يُعرّفُكُمْ به. وهذه منْ أكْبر حوائجي[2] قبلكُمْ. واللّهُ يصلُ كرامتكُمْ بتقْواهُ.

والسّلامُ يُراجعُ سلامكُمْ كثيرًا أثيرًا.

---

(1) - كنانة: جعبة من الجلد أو الخشب.

(2) - في الأصل: حوايجي.

- التّحليل

تعتبر هذه الوثيقة مشروع الرّسالة عدد 19 التي وجّهها عثمان بن إدريس بن عبد الله[1] وزير إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون حول الكِنانة التي تتضمّن كُتُبًا ونسِيَها الغرناطيّ أحمد بن عبد السّلام بالدّار التي نزل بها وهو في طريقه من الإسكندريّة إلى غرناطة مع رسول جاقمو إلى صاحب مصر وهذه الكِنانة موجّهة إلى سلطان غرناطة من صاحب مصر.

- التّعليق

نلاحظ أنّ الوزير اعتنى بهذه الرّسالة وأعدّ مشروعا لها مسبّقا وقع الاحتفاظ به وذلك لأهمّيّة الأمر الذي يتعلّق بشأن يخصّ السّلطان نفسه والوثيقة تؤكّد العلاقة المتينة القائمة بين الوزير وملك أرغون كما كان تقدّم.

---

(1) - عثمان بن إدريس: هذا الوزير هو الحاجب والوزير الأوّل بغرناطة.

18°) ـ الوثيقة رقم 21

ـ التّقديم

هذا كتاب من إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون بتاريخ 17 شعبان سنة 724هـ الموافق لـ 9 أوت سنة 1324م حول الأسرى المسلمين.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الأَوْفَى الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ جَقْمى مَلِكُ أَرَغُونَ بِلَنْسِيَةَ وَقُمْط بَرْجَلُونَةَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بطَاعَته ويَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ رِضَاهُ وكَرَامَتَهُ مُكَرِّمُ جَانِبِهِ وَشَاكِرُ مَقَاصِدِهِ فِي الصُّحْبَةِ وَمَذَاهِبِهِ وَحَافِظُ عَهْدِهِ بِحَقِّ الوَفَاءِ وَوَاجِبِهِ. الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ مَا عَوَّدَ مِنْ صُنْعِهِ الجَمِيلِ وَفَضْلِهِ الجَزِيلِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الـمُصَادَقَةِ مُسْتَحْسَنٌ مَشْكُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي الـمُلُوكِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ الـمُكَرَّمُ صُحْبَةَ ثِقَتِكُمْ بَوَّابِ دَارِكُمْ وَوَصَلَ مَعَهُ الـمُسْلِمُونَ السِّتَّةُ الـمَأْسُورُونَ فِي الصُّلْحِ. وَشَكَرْنَا عَمَلَكُمْ فِي تَوْجِيهِهِمْ إِلَيْنَا وَوَفَاءَكُمْ غَايَةَ الشُّكْرِ. وَعَرَفْتُمْ أَنَّكُمْ أَمَرْتُمْ بِالبَحْثِ عَنْهُمْ حَتَّى وُجِدُوا وَوَجَّهْتُمُوهُمْ. وَهَذَا[1] هُوَ

---

(1) ـ في الأصل: وهاذا.

الذِي يَلِيقُ بِمِثْلِكُمْ مِنْ وُجُوهِ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ أَهْلِ الوَفَاءِ بالعَهْدِ والحفْظ لِلْمَمْلَكَة. وَذَكَرْتُمْ أَنَّكُمْ تَبْحَثُونَ عَنْ سَائر[1] الأُسَارَى المَأْخُوذِين فِي الصُّلْحِ حَتَّى تُوَجِّهُوهُمْ كَمَا وَجَّهْتُمْ هؤُلاَءِ. وَنَحْنُ نُؤَكِّدُ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ وَنَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِيهِ العَمَلَ الَّذِي تَحْفَظُونَ بِهِ وَفَاءكُمْ وَالمَضْمُونُ عَنْكُمْ. وَتَوْكِيدُنَا عَلَيْكُمْ في ذَلِكَ شَدِيدٌ. وَقَدْ قَرَّرَ ثِقَتُكُمْ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ المَقَاصِدِ الحَسَنَةِ فِي صُحْبَتِنا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ وَنَشْكُرُهُ وَمَا نَحْنُ إلاَّ عَلَى أَوَّل [رَأْيِكُمْ وَ][2] حِفْظِ عَهْدِكُمْ وَالاغْتِبَاطِ بِوُدِّكُمْ. وَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِين بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُعِينُكُمْ عَلَى عَمَلٍ يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي اليَوْمِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ المُكَرَّمِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ.

صَحَّ هَذَا انْتَهَى.

---

[1] - في الأصل: ساير.

[2] - في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

ـ التّحليل

يقوم السّلطان إسماعيل الأوّل بإعلام جاقمو الثّاني بوصول المسلمين الستّة المأسورين مع ثقته بوّاب داره ويشكره على قيامه بالبحث عنهم والعثور عليهم ثمّ توجيههم إليه وهذا يؤكّد صدقه ووفاءه كما هو معلوم ومشهور ويعرب عن سروره بما يقوم به الملك من بحث عن بقيّة المسلمين المأسورين في الصّلح ويتمنّى العثور عليهم وتوجيههم في أسرع وقت ويعلن عن اغتباطه بهذا الودّ والحفظ للعهد.

ـ التّعليق

يبدو ملك أرغون جادّا في العثور على الأسرى المسلمين الذين تمّ القبض عليهم مدّة الصّلح وحريصا على الوفاء بالعهد ولا سيّما أنّ بعض النّصارى لا يزالون مأسورين في غرناطة في انتظار تبادلهم مع الأسرى المسلمين كما كان اشترط السّلطان إسماعيل الأوّل. ويؤكّد هذا الوضع تصرّف القراصنة والقطّاع بمفردهم دون استشارة الملوك وعدم مبالاتهم بعقود الصّلح المبرمة ممّا يجعلهم في أوضاع ومواقف حرجة.

19°) ـ الوثيقة رقم 24

ـ التّقديم

هذا كتاب من إسماعيل الأوّل ملك غرناطة إلى نائب ملك أرغون جاقمو أندرو البذلي يشتكي ممّا حصل من سوء تصرّفٍ وانتهاك للصّلح بتاريخ الثّالث عشر من جمادى الثّانية سنة 724هـ الموافق للسّابع من جوان سنة 1324م.

- نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللّهِ إسْمَاعِيلَ بْن فَرَجٍ بْن نَصْرٍ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعَزَّ نَصْرَهُ إلَى النَّائِبِ[1] بَالش عَنْ مَلِكِ أَرَغُون المُكَرَّمِ المَبْرُورِ المُؤْثَرِ المَشْكُورِ جَقْمِي أَنْدْرُوي البَذْلِي. وَصَلَ اللّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ لِمَا يَرْضَاهُ. كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنْ الخَيْرِ الأَكْمَلِ واليُسْرِ الأَشْمَلِ. والحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا. وَنَحْنُ نَحْفَظُ عَهْدَكُمْ، وَنَعْلَمُ فِي الوَفَاءِ قَصْدَكُمْ. فَإلَى هَذَا فَإنَّ مِمَّا نُعَرِّفُكُمْ بِهِ أَنَّنَا كُنَّا قَدْ وَجَّهْنَا فِي هَذِهِ الشُّهُورِ المُتَقَدِّمَةِ رِجَالَنَا بِكِتَابِنَا إلَى السُّلْطَانِ المُعَظَّمِ دُون جَاقْمِي بِمَا عَرَضَ لَنَا مِنَ الأُمُورِ، وَأَمَرْنَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَشْتَرُوا لَنَا بِغَالا بِأَرْضِهِ. وَقَدْ كَتَبُوا إلَيْنَا يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ خَلَّصُوا مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ بِأَلْش[2] مُقِيمُونَ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. [و]قَدْ طَالَ مُقَامُهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا [سَبِيلاً][3] إلَيْنَا وَمَا كُنَّا نَعْتَقِدُ فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ المُعَظَّمِ دُونَ جَاقْمِي وَحُسْنِ عَهْدِهِ أَنْ يَرْضَى بِأَنْ تَبْقَى رِجَالُنَا

---

(1) - في الأصل: النايب : النّائب: ممثّل الملك ونائبه بهذه المنطقة.

(2) - ألش: مدينة بأرغون.

(3) - في الأصل كلمة مطموسة. إضافة ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

هُنَالِكَ فِي أَرْضِهِ مُطْرَحِينَ مُهْمَلِينَ، فَلا يُنْظَرُ فِي تَوْصِيلِهِمْ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نُقَدِّرُ أَنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَيَرْضَى بِهِ. وَلَكِنْ[1] لَمَّا رَأَيْنَا الحَالَ عَلَى هَذِهِ الأُمُورِ وَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ أَجْفَانَنَا تُوصِلُهُمْ إِلَيْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ.

وكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الكِتَابَ نُعَرِّفُكُمْ أَنَّنَا مَا زِلْنَا نَحْفَظُ صُلْحَ المُعَظَّمِ دُونَ جَاقْمَى، وَنُوفِي عَهْدَهُ وَنَأْمُرُ بِحِفْظِ بِلادِهِ وَنَاسِهِ. وَاعْتِقَادُنَا فِيهِ وَفِي رِجَالِهِ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ عَهْدَنَا وَنَاسَنَا وَيَعْمَلُونَ فِي تَوْفِيَةِ أَغْرَاضِنَا كُلَّ مَا يُرْضِينَا. وَبِحَسَبِ هَذَا نُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُوفُوا غَرَضَنَا فِي تَوْجِيهِ رِجَالِنَا وَمَا مَعَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، وَأَنْ يُوسِقُوا الدَّوَابَ فِي الأَجْفَانِ وَسْقَ الكَرَامَةِ وَالحِفْظِ. فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ شَكَرْنَاهُ لَكُمْ وَوَفَّيْتُمْ قَصْدَ سُلْطَانِكُمْ وَعَهْدِهِ، وَعَمَلْتُمْ مَا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الوَفَاءِ. فَإِنْ تَعَذَّرَ وُصُولُ ذَلِكَ فَنَعْلَمُ أَنَّ التَّعْذِيرَ مَا هُوَ إِلاَّ مِنْكُمْ. وَنَحْنُ لاَ نَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَلاَ بُدَّ لَنَا أَنْ نُوَجِّهَ جَيْشَنَا إِلَى تِلْكَ الأَرْضِ يُوصِلُهُمْ. وَلاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ الجَيْشَ إِذَا دَخَلَ الأَرْضَ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الفَسَادِ، وَيَحْدُثُ مِنْ دُخُولِهِ مَا لاَ يَكُونُ فِي تَقْدِيرٍ وَلاَ حِسَابٍ. وَقَدْ

---

(1) ـ في الأصل. ولاكن.

عَرَّفْنَاكُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِـنْ عَمَلِكُـمْ فِـي هَـذِهِ الحَـال، فَيُعْمَـلُ مَعَكُـمْ بِحَسَبِهِ. فَـاعْلَمُوا ذَلِـكَ. وَاللَّـهُ يَصِـلُ كَرَامَتَكُـمْ بِتَقْوَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الثَّالِثَةِ عَشَرَ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَـةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

وجّـه السّلطان إسماعيل الأوّل هـذه الرّسالة إلى نـائب الملـك جاقمو أندرو البذلي يحتجّ فيهـا علـى تصرّفـه وعـدم سماحـه للوفـد الذي كان أرسله مع كتاب شخصيّ للملـك جـاقمو الثّاني بمغـادرة أرغون والرّجوع إلى غرناطة بالسّلع والبغال التي اشتروها بطلب مـن السّلطان. وكان هذا الأخير، لمّا علم بسوء المعاملة وبطـول انتظـارهم للسّماح لهـم بـالرّجوع إلى بلدهـم وجّـه إليهـم أجفانـا لتنقلهـم مـع حمولتهم ودوابّهـم وطلـب مـن نـائب الملك السّماح بوسقهم وسق الكرامة وأعلمه أنّـه إن لم يفعـل فهـو يعتـبره المسؤول عمّا حـدث وهدّده بإرسال جيش يتولّى تسـريحهم ووسـقهم وأنّـه غـير مسـؤول على ما قد يقـوم بـه الجيـش مـن أعمـال وتصرّفـات يلتجـئ إليهـا العساكر عادة في الحروب. وعبّر السّلطان عن أمله في تسـريح الوفـد وتجنيب الأهالي مثل هذه الفعال والبَلَـدَان في حالـة صلـح ومُهادنـة وحذّره بأنّ ردَّ فعلِه مرتبطٌ بعمله في هذه الحال.

ـ التّعليق

تؤكّد هذه الرّسالة عدم استتباب الأمن رغم الصّلح المبرم ومبادرة مسـاعدي الملـك في كثـير مـن الأحـوال بـالغدر وانتهـاك المعـاهدة

لحسابات خاصّة بهم ومخطّطات قد لا تتّفق وما يريده أو يرسمه الملك والانتهاك في هذه المرّة خطير وهو يتمّ بعد ثلاث سنوات من عقد الصّلح سنة 1321 ويخصّ الوفد الرّسميّ الذي وجّهه السّلطان لمقابلة الملك وتسليمه رسالة شخصيّة من السّلطان نفسه.

وعلى كلّ لم يبق إسماعيل الأوّل مكتوف اليدين بل بدا صارما وشديدا عنيفا مُستعدّا لردّ على هذا السّلوك الغادر بتوجيه جيش كامل يتولّى تحرير الوفد ووسقه على الأجفان بالسّلع والبغال. وهي بضائع مرخّص فيها حسب بنود عقد الصّلح المبرم.

فتبدو الحرب قائمة رغم الهدنة الرّسميّة المبرمة وحسن النّيّة التي عبّرا عنها الملكان في مناسبات عديدة ورسائل مختلفة.

20°) - الوثيقة رقم 19

- التّقديم

رسالة وجّهها الوزير عثمان بن إدريس بن عبد الله بغرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون وكان مشروع الرّسالة سُجّل بالأرشيف تحت رقم 20 كما تقدّم وهي بتاريخ 19 شعبان سنة 724هـ الموافق لـ12 أوت سنة 1324.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَعَزُّ المُكَرَّمُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الشَّهِيرُ الأَوْفَى دُون جيـ[ـقْـ]ـمى[1] مَلِكُ أَرَغُونَ أَسْعَدَهُ بِرِضَاهُ وَأَكْرَمَهُ بِتَقْوَاهُ، شَاكِرُ عَهْدِهِ وَوَفَائِهِ، العَلِيمُ بِعُلُوِّ مَنْصِبِهِ بَيْنَ أَمْثَالِهِ مِنْ مُلُوكِ النَّصَارَى وَنُظَرَائِهِ، عُثْمَانُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الحَقِّ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الخَيْرِ الأَكْمَل وَاليُسْرِ الأَشْمَل. وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَعَن الشُّكْرِ لِجَانِبِكُمْ وَالعِلْمِ لِمَقَاصِدِكُمْ وَمَذَاهِبِكُمْ. وَإِلَى هَذَا فَإِنَّ كِتَابَكُمْ المُكَرَّمَ وَصَلَ مَعَ رَجُلِكُمْ[2] أَحْمَدَ بْنُ الحَاجِ سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَمَا قَصَّرَ فِي خِدْمَتِكُمْ وَنَصِيحَتِكُمْ فِي هَذِهِ المَرَّةِ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ تُوجِّهُونَهُ فَلاَ تَسْمَعُوا فِيهِ قَوْلَ أَحَدٍ وَلاَ تَشُكُّوا خُلُوصَهُ فِي خِدْمَتِكُمْ.

وَلِي عِنْدَكُمْ أَيُّهَا المَلِكُ المَعَظَّمُ حَاجَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا

---

[1] ـ إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

[2] ـ في الأصل مع راجلكم أي رجلكم: خديمكم.

وَصَلَ إِلَيْكُمْ الحَاجُّ رَجُلِي[1] أَحْمَدُ بْنُ عَبْدُ السَّلاَمِ مِنْ إِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَعَمَلْتُمْ مَعَهُ مِنَ الكَرَامَةِ مَا شَكَرْتُكُمْ عَلَيْهِ، نَسِيَ خَرِيطَةً فِي الدَّارِ التِي نَزَلَ فِيها هُنَالِكُمْ بِكُتُبٍ مِنْ صَاحِبِ مِصْرَ لِمَوْلاَنَا السُّلْطَانِ أَيَّدَهُ اللَّهُ. وَيَعْرِفُ الدَّارَ سِيدُونْ رَجُلُكُمْ[2]. وَكَانَتْ الخَرِيطَةُ فِي كِنَانَةٍ مِنَ الخَشَبِ فَعَسَى أَنْ تَتَفَضَّلُوا بِالبَحْثِ عَنْهَا وَتُوَجِّهُوهَا إِلَى مُحِبِّكُمْ. وَهَذِهِ أَكْبَرُ حَاجَةٍ لِي قِبَلَكُمْ. وَاللَّهُ يُسْعِدُكُمْ بِرِضَاهُ وَيُعِزُّكُمْ بِتَقْوَاهُ وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ لِشَعْبَانَ الـمُكَرَّمِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

---

(1) ـ في الأصل: راجلي.

(2) ـ في الأصل: راجلكم.

- التّحليل

يُعلم الوزير عثمان بن إدريس ملك أرغون بأنّ رسول سيّده سلطان غرناطة نسي كِنَانَةً بالدّار التي نزل بها في طريق رجوعه من الإسكندريّة إلى الأندلس بها جملة كتب أهداها صاحب ديار مصر للسّلطان فرجاه أن يأذن بالبحث عنها وتوجيهها إلى غرناطة ولا سيّما أنّ زيدون المسلم الموجود هنالك على علم بالموضع ويمكن له أن يدلّ عليه ويساعد على استرجاع الكِنانة التي يحرص الوزير على أن تصل إلى مولاه السّلطان وكان في المقدّمة قد أخبره بوصول مبعوثه المسلم أحمد بن الحاج الذي هو في نظره محلّ ثقة ولا يقصّر في خدمة سيّده ملك أرغون.

ـ التّعليق

تبدو من خلال هذه الرّسالة علاقة الوزيـر بملـك أرغـون جـاقمو الثّاني متينة وحميميّة شخصيّة لذلك نراه يتجاسر ويطلب منه قضاء حاجة خاصّة له كما لا يتردّد في إعطاء رأيه في بعض رُسـل جـاقمو الثّاني من الأندلسيّين.

21°) ـ الوثيقة رقم 23

ـ التّقديم

هذه رسالة من إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة إلى جاقمو الثّاني ملك أرغون بتاريخ 29 ذي الحجّة سنة 724 الموافق لـ7 ديسمبر سنة 1324م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمُعَظَّمُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الـمَبْرُورُ الشَّهيرُ الأَوَدُّ الأَخْلَصُ دُونْ جَقْمَى مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَاحِبُ منْبَجْلِيرَ، أَعَزَّهُ اللَّهُ بطَاعَتِهِ وَيسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ رضَاهُ وكَرَامَتِهِ، حَافِظُ عَهْدِهِ وَشَاكِرُ مَذْهَبِهِ فِي الوَفَاء وَقَصْدِهِ وَمُكَرِّمُ جَانِبِهِ ثِقَةً بخُلُوص ودِّهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجِ بْنُ نَصْرِ، كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللَّهُ عَن الخَيْر الجَزِيل وَالصُّنْع الجمِيل، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعُ مَبْرُورٌ، وَقَصْدُكُمْ فِي السَّلاَطِين الجلَّةِ الأَوْفِيَاء قَصْدٌ مَشْكُورٌ.

وَقَدْ وَصَلَتْنَا كُتُبُكُمْ الـمَبْرُورَةُ عَلَى يَدَيْ النَصَارَى الذِينَ وَجَّهْتُمْ، وَأَنْتُمْ تُقَرِّرُونَ فِيهَا حِفْظَكُمْ لِعَهْدِنَا وَثَبَاتَكُمْ عَلَى صُلْحِنَا وَتَوْفِيَتَكُمْ لِمَا عَقَدْنَاهُ مَعَكُمْ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَلِيقُ بكُمْ. وَنَحْنُ لَكُمْ عَلَى مِثْل ذَلِكَ مِنَ الوُقُوفِ عَلَى العَهْدِ وَالحِفْظِ لِلصُّلْحِ، فَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِين، وَعَرَّفْتُمْ بمَا لَكُمْ مِنَ المَطَالِبِ عِنْدَنَا، فَمِنْهَا مَا طَلَبْتُمُوهُ مِنَّا عَلَى وَجْهِ الكَرَامَةِ لِجَانِبِكُمْ وَقَضَاء حَاجَتِكُمْ، فَنَحْنُ قَدْ وَفَيْنَاهُ عَلَى حَسْبَمَا أَرَدْتُمْ

إكْرامًا لَكُمْ وَتَوْفيةً لقصْدِكُمْ عَلَى مَا يقْتَضيه اعْتقادُنا فيكُمْ وقَصْدُنَا فِي قَضَاء أَغْرَاضِكُمْ.

وَعِنْدَ وُصُول كُتُبكُمْ أَمَرْنَا بسَراحِ النَّصارى الذين طلبْتُمُوهُمْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ، وهُمْ برتْلمينْ مَرْتينْ الذِي كان قديمًا فِي مُلْكِنَا، وَهُوَ يَصِلُكُمْ مَعَ هَذَا الكِتَابِ وَالصَّبِيُّ الَّذِي أُخِذَ فِي الأَبْركَةِ التِي أَقْلَعَتْ مِنْ إشْبيليَةَ مَع أَنَّ أَهلَ إشْبيليَة. قَدْ كَانُوا طَلَبُوهُ وَزَعَمُوا أَنَّهُ أُخِذَ فِي صُلْحِهِمْ. فَمَا أَسْعَفْنَا لهُمْ فِيهِ قَصْدًا لأَجْلِ الشِّكَايَاتِ التِي لنَا قِبلَهُمْ. وَلكِنْ[1] لَمَّا وصَلَ كِتَابُكُمْ فِي شَأْنِهِ أَنْعَمْنَا بسَراحِهِ، وهُوَ يَصِلُكُمْ مَعَ هَذَا الكِتَابِ. وَأَمَّا جيلَةُ التِي عَرَّفْتُمْ أَنَّها أُخِذَتْ بقَرْيَةِ البَسيطِ فقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُبَالَغَ فِي البَحْثِ عَنْهَا وَعَنْ وَلَدِهَا[2] فَمَا وُجِدَ لهُمَا خَبَرٌ، وَلَكِنَّ[3] البَحْثَ عَنْهُمَا مُتَّصِلٌ، وَعَسَى أَنْ يُوجَدَا وَيُوَجَّهَا إلَيْكُمْ. وَكَذَلِكَ كَانَ وَلَدُكُمْ الأَفَانْتُ الرُّمُونْ برَنْقِيلُ قَدْ طَلَبَ أَنْ يُسَرَّحَ لَهُ نَصْرَانِيٌّ قَدِيمُ الأَسْرِ عِنْدَنَا اسْمُهُ برَنْقِيلُ أَرْنُو، فَأَنْعَمْنَا بِهِ وَسَرَّحْنَاهُ، وَهُوَ يَصِلُكُمْ أَيْضًا. وَوَفَيْنا قَصْدَكُمْ

---

(1) - في الأصل: ولاكن.

(2) - في الأصل: ولده.

(3) - في الأصل: ولاكن.

فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِمَكَانِ صُحْبَتِكُمْ لَنَا وَصِدْقِ مُصَادَقَتِكُمْ. وَكَذَلِكَ مَرْكَهُ مِن الكَرْس لَمَّا وَصَلَ كِتَابُكُمْ فِي شَأْنِهِ أَنْعَمْنَا بِهِ وَأَمَرْنَا أَنْ يَحْمِلَهُ إِرْسَالَكُمْ. لَكِنَّهُ[1] كَانَ بِحَالِ مَرَضٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ فَمَاتَ.

وَأَمَّا المَطَالِبُ التِي طَلَبْتُمُوهَا[2] مِنَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ فَمَا أُخِذَ لَكُمْ فِي الصُّلْحِ فَتَعْلَمُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنَّ لَنَا بِأَرْضِكُمْ حُقُوقًا كَثِيرَةً وَمَطَالِبَ عِدَّةً. وَقَدْ كَتَبْنَا بِهَا إِلَيْكُمْ وَوَجَّهْنَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَوَعَدْتُمْ بِخَلاَصِهَا وَالإِنْصَافِ مِنْهَا. فَنَحْنُ نَنْتَظِرُ وُصُولَ المُسْلِمِينَ وَخَلاَصَ الشِّكَايَاتِ. فَإِذَا وَصَلُوا فَنَحْنُ نُسَرِّحُ لَكُمْ مِنْ عِنْدِنَا فِي مُقَابِلِهِمْ[3]. فَمَا عِنْدَنَا إِلاَّ الحِفْظُ لِعَهْدِكُمْ وَتَوْكِيدُ الصُّحْبَةِ مَعَكُمْ. وَعَرَفْتُمْ أَنَّ ابْنَ جُنْدِي أَخَذَ نَاسًا مِنْ بِلاَدِكُمْ وَبَاعَهُمْ بِبِجَايَةَ وَهَذَا الشَّخْصُ لَيْسَ مِنْ أَرْضِنَا وَلاَ خَدَمَ بِالأَنْدَلُسِ قَطُّ. فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ لَعَمِلْنَا الوَاجِبَ [فِي] أَمْرِهِ وَلَعَاقَبْنَاهُ أَشَدَّ العِقَابِ.

---

(1) - في الأصل: لاكنّه.

(2) - في الأصل: طلبتموه.

(3) - في الأصل: في مقابلتهم: في مقابلهم.

حِفْظًا لِعَهْدِنَا كَمَا هوَ الوَاجِبُ. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا فِيهِ رِضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا.

كُتِبَ فِي التَاسِعِ وَالعِشْرِينَ لِذِي الحِجَّةَ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ. انْتَهَى.

صَحَّ هَذَا. انْتَهَى.

ـ التّحليل

كان جاقمو الثّاني ملك أرغون أرسل إلى إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة وفدا من النّصارى القطلانيّين محمّلا كتابا يؤكّد فيه بقاءه على العهد وفيّا للصّلح ومخلصا للصّداقة القائمة بينهما فبادر إسماعيل الأوّل ملك غرناطة بمكاتبته معلنا وصول الوفد ومباركته لعمل الملك واغتباطه بقراره الحكيم واطّلاعه على مطالبه واستعداده لإجابتِهَا على وجه الكرامة والإحسان فلذلك أذن بتسريح النّصارى المطلوبين مثل بِرَتْلَمِين مَرْتِين الحامل لهذه الرّسالة وكذلك الصّبيّ المأخوذ في الأبركة التي أقلعت من إشبيليّة وكان أهلها طلبوه زاعمين أنّه أُخذ في صلحهم. وكانت غرناطة رفضت تسليمه لهم وأعلم إسماعيل الأوّل جاقمو الثّاني أنّه أمر بمواصلة البحث عن المرأة جبلة وولدها اللّذيْن لم يعثر عليهما بالمرّة وكان أخذا بقرية البسيط وأنّه على استعداد لتوجيههما إليه عند العثور عليهما كما أنّه تكرّم بتسريح الأسير القديم بَرَنْقِيل أَرْنُو الذي طلبه الأَفَنْتُ الرُمُونُ بَرَنْقِيلُ وكذلك بتسريح "مَرْكُهْ مِنَ الكُرْس" المطلوب والذي مرض واشتدّ به المرض ومات رغم الإنعام عليه بالإفراج. وأمّا المطالب الأخرى فلا يمكن الاستجابة لها ولا يقبل تسريح أيّ كان آخر ما لم يقع تسريح المسلمين المحتجزين وقضاء الحوائج المعبّر عنها والمتّصلة بمختلف الانتهاكات التي حدثت في عهد الصّلح

وكانت كاتبت في شأنها غرناطة ولم تقع الاستجابة لها رغم الوعود المتكرّرة وأعرب عن أمله في أن يتمّ تسريح كلّ المعتقلين فيبادر عندئذ بتسريح من عنده من أسرى النّصارى.

وبيّن السّلطان إسماعيل في آخر رسالته أنّ ما يخصّ ما قام به ابن جُنْدِي من إغارة وأسْر لبعض نصارى أرغون فلا يستطيع أن يفعل شيئا لأنّ هذا القرصان ليس من أهل الأندلس بل من مسلمي بجاية وتابع للحفصيّين فلذلك لا يستطيع معاقبته وتسريح أسراه.

- التّعليق

نلاحظ من خلال هذه الرّسالة وممّا طلبه ملك أرغون ابتزازه لغرناطة رغم حسن نيّة إسماعيل الأوّل وتلبيته لجلّ مطالب أرغون وتسريحه لكثير من أسراهم فلا يزال الجوّ مكفهرّا والأسرى الأبرياء من كلا الطّرفين محتجزين ومحلّ مساومة واستغلال للضّغط على العدوّ - الصّديق - ودليل انتهاكٍ صارخ للصّلح المبرم.

فلنا أن نتساءل هل المعاهدة المنعقدة لتحقيق السّلم والأمن هي وثيقة حسن نوايا واستعداد للمهادنة أو التزام بالسّلم العمليّ والصّلح الحقيقيّ الذي يكفل فعلا الأمن للبلدين والاطمئنان ومتطلّبات حسن الجوار.

22°) ـ الوثيقة رقم 22

ـ التّقديم

رسالة من عثمان بن إدريس، وزير إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة إلى جاقمو الثّاني بتاريخ آخر ذي الحجّة عام أربع وعشرين وسبعمائة الموافق لـ 17 ديسمبر سنة 1324م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُكَرَّمُ الأَشْهَرُ الأَوْفَى الـمَبْرُورُ الـمُوَقَّرُ الـمُعْتَقِدُ الـمَعْرُوفُ فِي عُهُودِهِ بِصِدْقِ الوَفَاءِ وَخَالِصِ النِّيَّةِ، كَبِيرُ الـمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ دُونْ جَقْمَهْ بْنُ السُّلْطَانِ الـمُكَرَّمِ الأَشْهَرِ الأَوْفَى الأَعَزِّ الـمَبْرُورِ دُونْ فَرَنْدَه سُلْطَانِ بَرْشَلُونَةَ وَمَيُـ[ـو]رْقَـةَ[1] وَسَرْدَانِيَةَ وَمَا إِلَيْهَا. وَصَلَ اللَّـهُ كَرَامَتَـهُ بِتَقْـوَاهُ وَيَسَّـرَهُ لِمَـا يُحِبُّـهُ اللَّـهُ وَيَرْضَاهُ، شَاكِرُ وِدِّهِ الـمُحَافِظُ عَلَى إِكْرَامِهِ وَعَهْـدِهِ عُثْمَـانُ بْـنُ إِدْرِيسَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الحَـقِّ، وَفَّقَـهُ اللَّـهُ، مِـنْ حَضْـرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلاَ جَدِيدَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُـمَّ بِبَرَكَاتِ أَيَّامِ هَـذَا الـمَقَامِ العَلِـيِّ السَّعِيدِ السُّلْطَانِيِّ النَّصْرِيِّ الإِسْمَاعِيلِيِّ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَـرَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ التَّـامُّ وَاليُسْـرُ العَـامُّ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَمُوَقِّرُ مَكَانِكُمْ لاَ يَزَالُ يُوفِي حَقَّ قَدْرِكُمْ بِمَا يَجِبُ مِـنَ الكَرَامَـةِ وَالثَّنَـاءِ وَالشُّـكْرِ وَيَذْكُـرُهُ بِأَحْسَـنِ الذِّكْـرِ، وَوِدُّكُمْ عِنْدِي مُتَأَكِّدٌ، وَاعْتِقَادُكُمْ[2] & عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُتَجَدِّدٌ.

---

(1) ـ زيد ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(2) ـ في الأصل: ولاعتقادكم.

وَقَدْ وَصَلَ رَاجِلُكُمْ الَّذِي وَجَّهْتُمُوهُ رَسُولاً إِلَى هَـذَا الـمَقَامِ العَالِي الكَرِيمِ السُّلْطَانِيِّ أَيَّدَهُ اللَّهُ، وَاسْتَوْفَى مِنْهُـمْ مَـا أَشَـرْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الـمَطَالِبِ عَلَى وَجْهِ الاعْتِقَادِ. وَمِـنْ كِتَـابِهِمْ تَتَعَرَّفُـونَ ذَلِكَ، وَمُتَحَمِّلُهُ[1] إِلَيْكُمْ يُعَرِّفُكُمْ بِمَا عِنْدِي مِنْ جَمِيلِ اعْتِقَادِكُمْ وَعَمِيمِ وِدَادِكُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ. فَاعْلَمُوا ذَلِكُمْ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِـلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا.

كُتِبَ فِي آخِرِ ذِي الحِجَّةَ الـمُبَارَكِ عَـامَ أَرْبَعَـةٍ وَعِشْـرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ، عَرَّفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ بِمَنِّهِ.

---

(1) ـ في الأصل: متحمّله (أي) حامله.

ـ التّحليل

يقوم عثمان بن إدريس الوزير الغرناطيّ بإعلام صديقه ملك أرغون بوصول رسوله إلى صاحب غرناطة ومساعدته له على قضاء كلّ المطالب ورجوعه بكتاب يشرح خدماته وعميق مودّته ومحبّته لملك أرغون ووفائه الدّائم له.

ـ التّعليق

تؤكّد هذه الرّسالة العلاقة المتينة القائمة بين وزير إسماعيل الأوّل ملك غرناطة وجاقمو الثّاني ملك أرغون والخدمات الشّخصيّة التي يقدّمها هذا الوزير لأرغون ـ بعلم وغير علم السّلطان وهو عمل ولا شكّ يتنافى ومنصبه وواجباته إزاء بلده غرناطة ـ ومثل هذه العلاقات المشبوهة خطيرة ولها ولمثيلاتها دور كبير في إضعاف دولة بني الأحمر بغرناطة لا سيّما مع الصّبية والضّعفاء من الملوك.

23°) ـ الوثيقة رقم 25

ـ التّقديم

رسالة من إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة إلى جاقمو الثّاني بتاريخ 24 ربيع الثّاني سنة 725هـ الموافق لـ 10 أفريل سنة 1324م يطلب فيها مساعدة رسوله لقضاء بعض الشّؤون الخاصّة.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَكْرَمُ المُرَفَّعُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ[1] جَقْمَى سُلْطَانُ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَصَاحِبُ سَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَشَاكِرُ قَصْدِهِ فِي مَوَدَّتِهِ وَحَافِظُ عَهْدِ صُحْبَتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ مُسْتَحْسَنٌ مَشْكُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي السَّلاَطِينِ الأَوْفِيَاءِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا فَمُوجِبُ كِتَابِنَا هَذَا إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّنَا، بِمَا لَنَا فِيكُمْ مِنْ حُسْنِ الاعْتِقَادِ وَلِمَا تَقَرَّرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنْ خُلُوصِ الصُّحْبَةِ وَصِدْقِ الوِدَادِ، نَعْلَمُ أَنَّ مَا يَعْرُضُ لَنَا بِبِلاَدِكُمْ مِنَ الأَغْرَاضِ وَالحَوَائِجِ[2] فَهِيَ مَقْضِيَةٌ عَلَى أَوْفَى الاخْتِيَارِ مُوَفًّى فِيهَا

(1) ـ في الأصل: ذون.

(2) ـ في الأصل: الحوايج.

غَرَضُنَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِصُحْبَتِكُمْ الـمَشْكُورَةِ الأَخْبَارِ، كَمَا أَنَّهُ مَا لَكُمْ فِي أَرْضِنَا مِنْ حَاجَةٍ فَنَحْنُ نُوفِيهَا وَنُكْمِلُ قَصْدَكُمْ فِيهَا. وَبِحَسَبِ ذَلِكَ رَأَيْنَا أَنْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ الفَارِسَ الـمُوثَرَ[1] أَبَا زَكَرِيَّاء يَحْيَى بْنَ ذُنُّونَ بِرَسْمِ شِرَاء مَا أَمَرْنَاهُ بِشِرَائِهِ مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، بِمَا لَنَا لِجَانِبِنَا، وَأَوْصَيْنَاهُ بِالبَغْلَةِ التِي يُعَرِّفُكُمْ بِهَا التِي لِبِيرَهْ مَرْكَ. فَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ يَلْحَقَهُ مِنْ عِنَايَتِكُمْ وَرِعَايَتِكُمْ مَا يَعُودُ بِتَكْمِيلِ غَرَضِنَا فِيمَا تَوَجَّهَ بِرَسْمِهِ، وَأَنْ تَأْمُرُوا بِإِنْهَاضِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي الحَوَائِجِ[2] التِي عَيَّنَّاهَا لَهُ، حَسْبَمَا عَهِدْنَاهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ الـمَشْكُورَةِ وَمَذَاهِبِكُمْ الحَسَنَةِ فِي صُحْبَتِنَا، حَتَّى يَتَيَسَّرَ الغَرَضُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَعَلَى مَا يَلِيقُ بِحُسْنِ قَصْدِكُمْ وَصَرِيحِ وِدِّكُمْ. وَنَحْنُ نَشْكُرُكُمْ عَلَى مَا تَفْعَلُونَهُ فِي ذَلِكَ غَايَةَ الشُّكْرِ وَنُقَابِلُكُمْ عَلَيْهِ بِالكَرَامَةِ وَالبِرِّ. وَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَنْ تُعَرِّفُوا بِمَا لَكُمْ مِنْ حَاجَةٍ عِنْدَنَا، فَنَحْنُ نُسَرُّ بِذَلِكَ، وَنَحْنُ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ مِنَ الحِفْظِ لِعَهْدِكُمْ وَالشُّكْرُ لِقَصْدِكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ لَكُمْ أَسْبَابَ رِضَاهُ

[1] - في الأصل: الموثر : المأثور.

[2] - في الأصل: في الحوايج.

وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَهُدَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِشَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ عَامَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

يؤكّد السّلطان حسن نيتّه في جاقمو الثّاني وفي صدق عزمه وحسن استعداده لحلّ المشاكل القائمة وقضاء حوائج بلاده بما يقتضيه الصّلح المبرم ويكفله السّلم المعلن ويعبّر عن استعداده لقضاء كلّ حوائج ملك أرغون وفضّ ما يُطرح من مسائل مدّة الصّلح وعلى هذا الأساس قام صاحب غرناطة بتوجيه الفارس أبي زَكَرِيَّاء يَحْيَى بْنَ ذُنُّونَ إلى أرغون يحمل رسم شراء لاشتراء دواب وجلب البغلة التي لـ"بيرة مرك" وقضاء غيرها من الحوائج فرجا السّلطان ملك أرغون الإذن بإعانة هذا الفارس ومساعدته على أن ينهي شؤونه في أحسن الظّروف وعلى أن يلقى العون الذي تفرضه الصّداقة والمودّة القائمتين بين الملكين.

ـ التّعليق

نستنتج من هذه الرّسالة أمرين هامّين:

1 ـ عدم توفّر الدّواب والبغال خاصّة بكمّية كافية بمملكة غرناطة فنلاحظ أنّها ليست المرّة الأولى التي تحتاج فيها غرناطة إلى دواب وبغال من أرغون إلى درجة أنّ عقد الصّلح المبرم سنة 721هـ

أشار إلى هذا الأمر وسمح لغرناطة باستيراد الدّوابّ والبغال من مملكة أرغون ما عدا الجياد فلا يسمح الاتجار فيها مثل الأسلحة.

2 ـ ازدهار التّعامل التّجاريّ بين البلدين في مختلف البضائع كما نصّ عليه عقد الصّلح المشار إليه وإقدام غرناطة على اقتناء ما تحتاجه من أرغون. وكذلك الأمر بالنّسبة للقطلانيّين وملكهم جاقمو الثّاني.

وأخيرا نشير إلى عدم تردّد السّلطان في طلب قضاء مسائل ذاتيّة وشخصيّة لا صلة لها بمصالح الدّولة ومثل هذا الجميل المطلوب قد يكون على حساب مصلحة المملكة وقد يؤدّي إلى التّفريط في شأن هامّ يخصّ الدّولة ويبدو الأمر بسيطا لكن ما قد يترتّب عنه خطير ولا يعتبر من حسن التّدبير السّياسيّ ! !

°24) ـ الوثيقة رقم 26

ـ التّقديم

هذا كتاب من محمّد الرّابع بن عبد الوليد إسماعيل بن فرج إلى جاقمو الثّاني بتاريخ 11 جمادى الثّانية من سنة 726 الموافـق لـ 17 ماي سنة 1326م حول تجديد عقد الصّلح الذي كان عقده والده.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَوْفَـى الأَخْلَصُ دُونْ[1] جَقْمَى سُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَاحِبُ قُرْصِغَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَـةِ اللَّـهِ وَرِضَـاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَشَاكِرُ مَا أَظْهَرَ مِنْ مَوَدَّتِهِ الـمُحَافِظُ عَلَـى عَهْـدِهِ وَرَعْيِ صُحْبَتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ[2] ابْـنُ أَمِـيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَـاهُ إِلَيْكُـمْ مِـنْ حَمْـرَاءَ غَرْنَاطَـةَ حَرَسَـهَا اللَّهُ، وَلَيْـسَ بِفَضْـلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَـلُ وَاليُسْـرُ الأَشْمَلُ، وَالحَمْدُ لِلَّـهِ كَثِـيرًا، وَجَـانِبُكُمْ مَـبْرُورٌ وَقَصْدُكُـمْ فِـي الصُّحْبَةِ مَعْلُومٌ مَشْكُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي مُلُـوكِ النَّصْرَانِيَّـةِ الـمَحَلُّ الـمَعْرُوفُ الـمَشْهُورُ.

وَإِلَى هَذَا فَقَدْ وَصَلَ كِتَـابُكُمْ الـمُكَرَّمُ عَلَـى يَـدَيْ رَسُـولِكُمْ إِلَيْنَا جُوَانَ أَنْرِيقَ. وَقَدْ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْنَا هُوَ وَرَفِيقُهُ جَقْمَى مِـنْ قَلْعَةِ أَيُّوبَ، وَقَرَّرَ عِنْدَنَا مِـنْ صُحْبَتِنَـا وَقَصْدِكُـمْ الجَمِيـلِ فِـي

(1) ـ في الأصل: ذون.

(2) ـ الأمير عبد الله بن محمّد: خلف أباه إسماعيل الأوّل الملقّب بمحمّد الرّابع.

حِفْظِ عَهْدِ مَوْلاَنَا الوَالِدِ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ مَا شَكَرْنَاهُ لَكُمْ وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَلِيقُ بِمِثْلِكُمْ مِنَ الـمُلُوكِ الأَوْفِيَاء. وَوَصَلَنَا الـمَكْتُوبُ الَّـذِي وَجَّهْتُمْ بِتَجْدِيدِ الصُّلْحِ الذِي كَانَ بَيْنَ وَالِدِنَـا وَبَيْنَكُـمْ لِخَمْسَـةِ أَعْوَامٍ مِنَ الآنَ. وَقَدْ جَدَّدْنَاهُ نَحْنُ عَلَـى حَسَـبِ مَـا[1] اقْتَضَـاهُ مَكْتُوبُوكُمْ. وَالعَقْدُ بِذَلِكَ يَصِلُكُمْ صُحْبَةَ هَذَا. وَنَحْنُ عَلَـى أَوَّلِنَـا فِـي حِفْـظِ عَهْدِكُـمْ وَالاغْتِبَـاطِ بِصُحْبَتِكُـمْ وَالوَفَـاء بِمَـا عَقَدْنَـاهُ مَعَكُمْ. وَقَدْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ صُحْبَةَ رَسُولَيْكُمْ أَرْبَعَةً مِـنَ النَّصَـارَى مِنْ أَرْضِكُـمْ. فَقَصْدُنَـا مِنْكُمْ أَيُّهَـا السُّـلْطَانُ أَنْ تُوَجِّهُـوا إِلَيْنَـا الـمُسْلِمِينَ الذِينَ أَخَذَتْهُمْ أَجْفَانُكُمْ فِي سَلُّورَةِ[2] الدَّعْدَعِ وَبِيعُـوا بِمَيُورْقَةَ وَتَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ وَفَاؤُكُمْ الصَّادِقُ. وَنَحْنُ قَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُبْحَثَ عَمَّا أُخِذَ مِنْ أَرْضِكُمْ مِنَ النَّصَارَى فِـي الصُّلْحِ وَيُعْمَلَ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الوَاجِبُ.

وَمِمَّا نُعَرِّفُكُمْ بِهِ أَنَّهُ فِي هَـذِهِ الأَشْـهُرِ السَّـالِفَةِ عَمَّرَ بِطَـرَةَ أَغْرُو مِنْ سُكَّانِ أَرْيُولَةَ شِيطِيًّا[3] فِـي الـمَدْوَرِ[4] وَأَخَـذَ بِطَـرَفِ

---

(1) ـ في الأصل: حسبما.

(2) ـ سَلُّورَةُ: مركب بحريّ خفيف.

(3) ـ شيطيّ: مركب بحريّ.

(4) ـ ذكرت هنا أماكن بعينها.

القَبْطَةِ اثْنَيْ عَشَرَ شَخْصًا مِنْ أَهْلِ اَلْمَرِيَةَ. فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ يَعِزَّ عَلَيْكُمْ هَذَا الحَالُ وَتَعْمَلُوا فِيهِ مَا يَعْمَلُهُ سُلْطَانٌ مِثْلُكُمْ، وَتُوَجِّهُوا إِلَيْنَا هَؤُلاَءِ[1] المُسْلِمِينَ وَتَأْمُرُوا رِجَالَكُمْ بِكَفِّ الضَّرَرِ عَنْ أَرْضِنَا عَلَى المَعْلُومِ مِنْ وَفَائِكُمْ وَحِفْظِكُمْ لِلْعَهْدِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ رِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي الحَادِي عَشَرَ لِجُمَادَى الآخِرَةِ عَامَ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ في الأصل: هاؤلاء.

ـ التّحليل

كان جاقمو الثّاني أوفد لصاحب غرناطة الجديد محمّد الرّابع رسولا هو جُوان اِنْريق صُحبة رفيقه جقمو من قلعة أيّوب ذاكريْن رغبته في حفظ عهد والده إسماعيل الأوّل وتجديد عقد الصّلح بينهما لخمسة أعوام أخرى فعبّر السّلطان عن موافقته وأمضى العقد الجديد وأرسله صحبة هذا الكتاب وبادر بتسريح أربعة نصارى من أسرى أرغون وتوجيههم مع الرّسولين الوافدين راجيا أن يتمّ تسريح المسلمين الموجودين بأرغون مقابل ذلك كما أكّد أنّه أذن بالبحث عن بقيّة النّصارى المأسورين من بلاد أرغون وتسريحهم في أسرع وقت ورجاه في الآخر تسريح الاثني عشر شخصا الذين هم من المرية واختطفهم القرصان بطرة أغرو من سكّان أريولة في المدْور بطرف القبطة وأن يطلب من رجاله كفّ الضّرر عن أرض المسلمين تجسيما لما عُرف به من وفاء وحفظ للعهد.

ـ التّعليق

افتتح هذا الأمير الشّابّ عهده بتجديد عقد الصّلح مع أرغون واستجاب لرغبة جاقمو الثّاني آملا في أن تتوقّف هجمات القراصنة واختطاف الأبرياء من المسلمين ونلاحظ ما أقدم عليه القراصنة في

فترة قصيرة من انقضاء مدّة الصّلح فلقد تمّ أسر أكثر من اثـني عشـر شخصا من المرية وحدها إلى جانب الإغارات والهجمـات المتكـرّرة على سواحل الأندلس ومراسيها.

فالحرب التي يقوم بها القراصنة نراها تتواصل بإبرام الصّلـح أو دونـه وهـي تسـاهم في إنهـاك البلديـن لا سـيّما غرناطـة المحاطـة بالأعداء مـن كـلّ الجهـات. وتعمـل علـى توفـير الظّـروف الملائمـة تدريجيّا للقضاء عليها.

25°) ـ الوثيقة رقم 27

ـ التّقديم

هذه معاهدة صلح بين محمّد الرّابع بن إسماعيل الأوّل صاحب غرناطة وجاقمو الثّاني ملك أرغون تُجدّد عقدَ الصّلح المبرم بين ملك غرناطة إسماعيل الأوّل والد محمّد الرّابع وأرغون سنة 721هـ الموافق لنصف شهر ماي سنة 1326م.

ـ نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَيَسْمَعُهُ أَنَّنَا الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ ابْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَرَنْدَةَ وَالجَزِيرَةِ الخَضْرَاءِ وَوَادِي أَشْ وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ،

لَمَّا وَصَلَنَا مِنْ قِبَلِكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ المَبْرُورُ الوَفِيُّ المَشْكُورُ المُرَفَّعُ الأَخْلَصُ دُونْ جَقْمَى مَلِكُ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ رَسُولُكُمْ المُكَرَّمُ جُوَانُ أَنْرِيقَ الذِي وَجَّهْتُمُوهُ إِلَيْنَا بِكِتَابِكُمْ وَبِالعَقْدِ الذِي عَقَدْتُمُوهُ عَلَى نَفْسِكُمْ وَجَعَلْتُمْ عَلَيْهِ طَابَعَكُمْ المَعْهُودَ عَنْكُمْ بِأَنَّكُمْ قَدْ جَدَّدْتُمْ مَعَنَا الصُّحْبَةَ التِي كَانَتْ بَيْنَ وَالِدِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَيْنَكُمْ وَعَقَدْتُمْ مَعَنَا صُلْحًا مَبْنِيًّا عَلَى الصَّفَاءِ وَالوَفَاءِ لِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ أَوَّلُهَا نِصْفُ شَهْرِ مَايَةَ المُوَافِقُ لِلتَّارِيخِ، رَأَيْنَا أَنْ جَدَّدْنَا مَعَكُمْ الصُّلْحَ وَالصُّحْبَةَ عَلَى الفُصُولِ التِي انْعَقَدَتْ بَيْنَ وَالِدِنَا وَبَيْنَكُمْ وَأَمْضَيْنَا حُكْمَهُ عَلَى نَفْسِنَا وَجَمِيعِ أَهْلِ بِلاَدِنَا إِمْضَاءً صَحِيحًا لاَ يَنْقَضِي لَهُ حُكْمٌ وَلاَ يُغَيَّرُ لَهُ رَسْمٌ إِلَى انْقِضَاءِ أَمَدِهِ المَحْدُودِ، يَشْمَلُ حُكْمُهُ البَرَّ وَالبَحْرَ عَلَى شُرُوطٍ تَتَفَسَّرُ، فَمِنْهَا أَنْ تَتَرَدَّدَ أَجْفَانُنَا إِلَى سَوَاحِلِكُمْ وَأَجْفَانُكُمْ إِلَى

سَوَاحِلِنَا، وَنَاسُنَا إِلَى أَرْضِكُمْ وَنَاسُكُمْ إِلَى أَرْضِنَا، آمِنِينَ بَرًّا وَبَحْرًا فِي نُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، مَحْفُوظِينَ مَحْرُوسِينَ حَيْثُ حَلُّوا وَأَيْنَ سَارُوا، لاَ يَلْحَقُهُمْ ضَرَرٌ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ فِي سِرٍّ وَلاَ جَهْرٍ، وَيُبَاحُ لَهُمْ البَيْعُ وَالشِّرَاءُ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاء بِسَوْمِهَا[1] المُعْتَادِ هُنَالِكَ، وَإِخْرَاجِ مَا يَشْتَرُونَهُ مِنْ إِحْدَى الجِهَتَيْنِ إِلَى الأُخْرَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَلْزَمُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلاَّ مَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ مِنَ الحُقُوقِ المَخْزَنِيَّةِ عَلَى العَادَةِ فِي الصُّلْحِ المُتَقَدِّمِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ، مَا عَدَا الأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ العَادَةُ أَنْ يُمْنَعَ خُرُوجُهَا، فَيُمْنَعُ خُرُوجُهَا مِنْ إِحْدَى الجِهَتَيْنِ إِلَى الأُخْرَى، وَمِنْهَا أَنْ لاَ تَتَطَرَّقَ[2] أَجْفَانُنَا لِأَجْفَانِكُمْ وَلاَ أَجْفَانُكُمْ لِأَجْفَانِنَا فِي بَحْرٍ وَلاَ مَرْسَى كَانَ فِيهَا مَنْ كَانَ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ، وَإِنْ اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى جَفْنٍ مِنْ أَجْفَانِ المُسْلِمِينَ أَوِ النَّصَارَى مِنْ غَيْرِ أَجْفَانِنَا وَكَانَ فِي ذَلِكَ الجَفْنِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ أَرْضِنَا أَوِ اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى طَائِفَةٍ[3] مِنَ المُسْلِمِينَ وَكَانَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ أَرْضِنَا فَتُسَرِّحُونَ مَنْ

---

(1) ـ في الأصل: بسومها: بثمنها.
(2) ـ في الأصل: لا تتطرّق: لا تتعرّض.
(3) ـ في الأصل: طايفة.

أَخَذْتُمْ مِنْ أَهْلِ أَرْضِنَا بِأَمْوَالِهِمْ فِي الحِينِ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ العَمَلُ مَعَكُمْ مِنْ جِهَتِنَا. وَمِنْهَا أَنْ لاَ تَتَعَرَّضُوا لِمَرْسَى مِنْ مَرَاسِينَا كَانَ فِيهَا مَنْ كَانَ مِنْ عَدُوٍّ لَكُمْ أَوْ صَدِيق، وَلاَ تَتَطَرَّقُوا بِضَرَرٍ لِمَا فِي مَرَاسِينَا وَسَوَاحِلِ بِلاَدِنَا وَبِحَارِهَا مِنَ الأَجْفَانِ كَانَتْ لِمَنْ كَانَتْ مِنَ الـمُسْلِمِينَ أَوِ النَّصَارَى وَمِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ، لاَ سَبِيلَ لِأَجْفَانِكُمْ عَلَيْهَا بِوَجْهٍ وَلاَ عَلَى حَالٍ مُدَّةَ هَذَا الصُّلْحِ إِلَى انْقِضَائِهَا. وَأَنْ لاَ تُعِينُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَلاَ النَّصَارَى فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الإِعَانَةِ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ العَمَلُ مَعَكُمْ مِنْ جِهَتِنَا. وَمِنْهَا أَنَّهُ إِنْ هَرَبَ مِنْ أَرْضِنَا أَحَدٌ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِنَا فَلاَ تَضُمُّوهُ وَلاَ تُسَرِّحُوا لَهُ قُوتًا وَلاَ شَيْئًا[1] مِنَ الأَشْيَاء وَلاَ تُعِينُوا عَلَيْنَا أَحَدًا عَلَى حَالٍ مِنَ الأَحْوَال؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ العَمَلُ مَعَكُمْ مِنْ جِهَتِنَا. وَمِنْهَا أَنْ لاَ تَمْنَعُوا الـمُسْلِمِينَ الـمُدَجَّنِينَ[2] السَّاكِنِينَ بِأَرْضِكُمْ مِنَ الخُرُوجِ إِلَى أَرْضِنَا بِأَمْوَالِهِمْ وَعِيَالِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتَعَسَّفَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ، وَلاَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُمْ مَغْرَمٌ إِلاَّ مَا

---

(1) - في الأصل: ولا شيًا.

(2) - الدجّنون: أي المستقرّون.

جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ[1] فِي مِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

وَعَلَى هَذِهِ الشُّرُوطِ أَعْطَيْنَاكُمْ عَهْدَنَا ثَابِتًا صَحِيحًا وَالتَزَمْنَا الوَفَاءَ بِهِ إِلَى أَقْصَى أَمَدِهِ مَا وَفَّيْتُمْ لَنَا بِمَا اقْتَضَاهُ هَذَا المَكْتُوبُ مِنَ الفُصُولِ، وَجَعَلْنَا اللَّهَ شَاهِدًا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ. وَاللَّهُ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ، وَلِأَنْ[2] تَكُونُوا مِنْهُ عَلَى صِحَّةٍ وَيَقِينٍ أَمَرْنَا بِكَتْبِ هَذَا الكِتَابِ وَجَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَا وَطَابَعَنَا شَاهِدًا عَلَيْنَا فِي أَوَاسِطِ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ عَامِ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

(1) ـ في الأصل: العوايد: العوائد: العادات.

(2) ـ في الأصل: ولأن: لكي/حتّى.

ـ التّحليل

هذه المعاهدة هي التي ورد ذكرها في الرّسالة السّالفة التي كان وجّهها السّلطان محمّد الرّابع ردّا على كتاب جاقمو مع الرّسول جُوَان أنْريق فحمّله محمّد الرّابع الرّدّ والمعاهدة ممضاة على أساس الشّروط الواردة في عقد سنة 721هـ الذي تمّ تجديده في صلب هذه المعاهدة لخمس سنوات أخرى. وكان ملك أرغون أرسلها موقّعة ومختومة بطابعه المعهود شاملة البرّ والبحر وجميع أرض البلدين وهي تؤكّد:

1 ـ تردّد أهل القطرين وأجفانهما إلى سواحل البلدين غرناطة وأرغون في أمن وحرّيّة للاتّجار والبيع والشّراء في جميع البضائع والأشياء بدون دفع ضرائب جديدة غير الأداءات المتعارفة.

2 ـ منع القطع والتّعرّض للأجفان أو الاستيلاء على ما فيها أو الإغارة على المراسي والأراضي وأسر المسلمين أو النّصارى التّابعين للبلدين.

3 ـ عدم إعانة أحد الطّرفين لعدوّ الطّرف الآخر أو من يحاول الإضرار به.

4 ـ عدم منع المسلمين السّاكنين بأرغون من مغادرة البلاد إلى غرناطة بأموالهم وأمتعتهم إن كانوا راغبين عن طواعية في ذلك وعدم الإضرار بهم أو التّعسّف عليهم.

ـ التّعليق

استطاع محمّد الرّابع أن يحصل على معاهدة بنفس شروط عقد سنة 721هـ وأن يؤكّد على وضع المسلمين الراغبين في مغادرة بلاد أرغون إلى غرناطة بالسّماح لهم بالخروج بدون التّعرّض لهم ولأبنائهم وذويهم وأرزاقهم بأذى.

ويُفهم من هذه المعاهدة أنّ عددا كبيرا من المسلمين أصيلي المدن الأندلسيّة التي استولى عليها النّصارى مثل بلنسيّة ومرسيّة والقادسيّة كانوا منعوا من مغادرتها ونالهم عسف وظلموا وبقوا يحاولون المغادرة والفرار بدينهم وأولادهم وأرزاقهم. لذلك أولى صاحب غرناطة الموضوع أهمّيّة كبرى واشترط حسن معاملتهم وضرورة رفع الظّلم والأذى عنهم لقبول إمضاء العقد.

ونلاحظ أخيرا أنّ أهمّ أمر يتعرّض له كلّ عقد يتمثّل في صعوبة توفير الأمن ومنع القرصنة وما يصحبها. فالقطع هو أخطر شيء وأهمّ سبب يدفع الطّرفين إلى البحث عن السّلم والمهادنة وإبرام مثل هذه المعاهدات.

26°) ـ الوثيقة رقم 28

ـ التّقديم

هذا كتاب من السّلطان محمّد الرّابع صاحب غرناطة إلى الملك ألفونسو الرّابع[1] ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون بتاريخ 30 جمادى الأولى سنة 728هـ الموافق لـ 12 أفريل سنة 1328م.

(1) ـ خلف ألفونسو الرّابع في هذه السّنة 1328م. أباه جاقمو الثّاني باني مجد مملكة أرغون وسطوتها.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ أَلْفُونْشَه*[1] سُلْطَانُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْط بَرْجَلُونَةَ وَصَاحِبُ سَرْدَانِيَةَ، وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، حَافِظُ عَهْدِهِ، وَشَاكِرُ مَذْهَبِهِ فِي الـمُصَادَقَةِ وَقَصْدِهِ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ، وشَاكِرُ قَصْدِهِ فِي خُلُوص مَوَدَّتِهِ، الحَافِظُ لِعَهْدِهِ وَصُحْبَتِهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مَحَمَّدُ بْنُ أَمِير الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْن فَرَجٍ ابْنِ نَصْرٍ، أَيَّدَهُ اللَّهُ ونَصَرَهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَن الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَل، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الصُّحْبَةِ مَشْكُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي سَلاَطِين النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ فِي هَذِهِ الأَيَّام خَمْسَةُ أَشْخَاص مِنَ التُّجَّارِ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِنَا ثِقَةً بِعَهْدِكُمْ وَرُكُونًا إِلَى صُحْبَتِنَا مَعَكُمْ

---

[1] ـ في الأصل: دون ألفونشه : دون ألفونسو.

فَتَعَرَّفْنَا أَنَّ النَّـائِبَ[1] عَنْكُـمْ فِـي قَرَبْلِيَـانَ ثَقَّفَهُـمْ[2] وَثَقَّـفَ أَمْوَالَهُمْ، فَخَاطَبْنَـاكُمْ فِـي شَـأْنِهِمْ، وَقَصَدْنَـا مِنْكُـمْ تَسْـرِيحَهُمْ وَتَسْرِيحَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ تُنَفِّذُوا أَمْرَكُمْ بِذَلِكَ لِمَـنْ يَنُـوبُ عَنْكُـمْ، [وَأَنْ][3] تَحْفَظُوا بِذَلِـكَ عَهْدَنَـا وَتَقْضُـوا لَنَـا فِـي ذَلِـكَ حَاجَـةً نَشْكُرُكُمْ عَلَيْهَا. وَهَذَا قَصْدُنَا مِنْكُمْ، فَعَسَى أَنْ تَعْمَلُـوا فِيـهِ مَـا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْكُمْ وَالْـمَضْمُونُ عَنْكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي مُوفَّى[4] ثَلاَثِينَ لِجُمَادَى الأُولَى مِـنْ عَـامِ ثَمَانِيَـةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) - في الأصل: النايب. نائب الملك وحاكم قربليان.

(2) - ثقّفهم: أي عاقبهم وافتكّ أموالهم.

(3) - تمّت زيادة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(4) - في الأصل: الموفّى.

ـ التّحليل

جدّد صاحب غرناطة الجديد الملك الشّابّ عقد الصّلح مع جاقمو الثّاني ملك أرغون سنة 726هـ الموافق لسنة 1326م مباشرة بعد وفاة والده أبي الوليد إسماعيل الأوّل بن فرج بن نصر. ثمّ توفّى جاقمو الثّاني وخلفه ابنه ألفونسو الرّابع الذي واصل السّير على طريقة والده في مهادنة غرناطة وتجنّب المواجهة معها ومنافسة جاره ملك قشتالة ومحاولة التّحالف مع المسلمين ضدّه. ولقد كان جاقمو الثّاني توفّق إلى عقد حلف ضدّ قشتالة مع غرناطة والمرينيّين وعمل على أن يجني ثمارا منه ومن السّلم المتوفّرة بالجهة، غير أنّ القراصنة وبعض ذوي السّلطة والجاه من القطلانيّين مثل نائبه بقَرَبْلِيَانَ لم يرق لهم هذا الحلف، وكانوا كثيرا ما يتجاوزون تعليمات الملك ويقومون بالإغارة والقطع والتّعاون مع بعض النّصارى القشتاليّين مدفوعين من قِبَل رجال الكنيسة.

وفي هذا الكتاب يطالب صاحب غرناطة محمّد الرّابع ملك أرغون الجديد ألفونسو الرّابع باحترام بنود العقد والإذن لنائبه بقَرَبْلِيَانَ بتسريح التّجّار الخمسة الأندلسيّين مع أموالهم وبضائعهم. وكان هذا الحاكم لمقاطعة قَرَبْلِيَانَ قد أمر باختطافهم وحجز أموالهم وسلعهم، وفي إطلاق سراحهم حفظٌ للعهد ووفاء للصّلح.

ـ التّعليق

نلاحظ انتهاك عقد الصّلح في عهد الملك الجديد ألفونسو الرّابع كما كان ينتهك العقد الأوّل في عهد كلّ من جاقمو والسّلطان إسماعيل. فلم يلتزم القطّاع وأحيانا بعض شخصيّات الدّولة مثل هذا الحاكم القطلانيّ بالمعاهدات المبرمة ففي عُهود السّلم كثيرا ما كانت تحدث هذه الحروب غير الرّسميّة وغير المباشرة التي كان يقوم بها القراصنة والقطّاع بمباركة بعض الشّخصيّات أو الأطراف الفاعلة في الدّولة. وكانت مثل هذه العمليّة التي يُقدم فيها نوّابُ الملك على انتهاك عقود الصّلح كثيرا ما كانت تتكرّر وتحدث رغم معارضة الملوك أنفسهم لها.

27°) - الوثيقة رقم 30

- التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة معاهدة صلح بين يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر صاحب غرناطة وألفونسو الرّابع ملك أرغون وسلطان فاس الخليفة أبو الحسن المرينيّ وألفونسو الحادي عشر صاحب قشتالة بتاريخ موفّى ذي القعدة سنة 735هـ الموافق لموفّى جويلية سنة 1333م.

- نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَيَسْمَعُهُ أَنَّنَا الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسفُ بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ ابْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ وَالمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ، لَمَّا وَقَفْنَا عَلَى عَقْدِ الصُّلْحِ الذِي أَمْضَاهُ عَلَيْنَا مَحَلُّ وَالِدِنَا السُّلْطَانُ الأَوْحَدُ المُعَظَّمُ أَبُو الحَسَنِ[1] أَمِيرُ المُسْلِمِينَ مَلِكُ الغَرْبِ أَيَّدَهُ اللَّهُ مَعَ السُّلْطَانِ المُرَفَّعِ مَلِكِ قَشْتَالَةَ دُونْ الهِنْشَهْ وَمَا[2] مُضَمَّنُهُ أَنَّكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ المُرَفَّعُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ الهِنْشَهْ مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ قُرْصِغَةَ وَبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ إِنْ أَرَدْتُمْ إِمْضَاءَهُ وَالدُّخُولَ فِيهِ فَإِنَّهُ يَمْضِي حُكْمُهُ مَعَكُمْ كَمَا أُمْضِيَ مَعَ مَلِكِ قَشْتَالَةَ، وَأَرَدْنَا نَحْنُ أَنْ نُثَبِّتَ هَذَا الصُّلْحَ مَعَكُمْ خُصُوصًا بِمَا عِنْدَنَا مِنَ الاعْتِقَادِ فِي وَفَائِكُمْ وَالقَصْدِ الْجَمِيلِ فِي تَجْدِيدِ الصُّحْبَةِ التِي كَانَتْ بَيْنَ أَسْلافِنَا

(1) - أبو الحسن: هو السّلطان أبو الحسن المرينيّ سلطان فاس وكامل البلاد المغاربيّة.

(2) - في الأصل: ومن.

وَأَسْلاَفِكُمْ، وَدَارَ[تْ](1) بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الـمُكَاتَبَةُ فِي ذَلِكَ، [وَ]اقْتَضَى نَظَرُنَا أَنْ وَجَّهْنَا رَسُولَنَا الحَظِيَّ لَدَيْنَا القَائِدَ(2) الأَجَلَّ الأَعَزَّ الأَرْفَعَ الأَمْجَدَ أَبَا الحَسَنِ بْنَ كَمَاشَةَ أَعَزَّهُ اللَّهُ نَائِبًا(3) عَنَّا فِي تَثْبِيتِ ذَلِكَ الصُّلْحِ مَعَكُمْ وَتَوْكِيدِ حُكْمِهِ عَلَى حَسَبِ شُرُوطِهِ وَرُبُوطِهِ الـمَذْكُورَةِ التِي انْعَقَدَ عَلَيْهَا الصُّلْحُ بِحَضْرَةِ فَاسَ حَرَسَهَا اللَّهُ فِي عَقْدِهِ الـمُؤَرَّخِ بِشَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ الـمُتَضَمِّنِ إِمْضَاءَهُ لِأَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ أَوَّلُهَا شَهْرُ مَارِسَ القَرِيبُ لِتَارِيخِهِ.

فَوَصَلَنَا رَسُولُنَا مِنْكُمْ بِمَكْتُوبٍ عَنْكُمْ عَلَيْهِ طَابَعُكُمْ المَعْهُودُ مِنْكُمْ، مَضْمَنُهُ(4) أَنَّكُمْ قَدْ رَضِيتُمْ بِالدُّخُولِ فِي الصُّلْحِ الـمَذْكُورِ مَعَنَا عَلَى شُرُوطِهِ الـمَذْكُورَةِ فِي عَقْدِهِ لاِنْقِضَاءِ أَمَدِهِ، وَارْتَبَطْتُمْ إِلَيْهِ وَالْتَزَمْتُمْ حُكْمَهُ عَنْكُمْ وَعَنْ أَوْلاَدِكُمْ وَإِخْوَتِكُمْ وَزُعَمَائِكُمْ(5) وَفُرْسَانِكُمْ وَرَعِيَّتِكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِالوَفَاءِ الخَالِصِ فِي السِّرِّ

---

(1) ـ تمّت إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(2) ـ في الأصل: القايد أي القائد: وهو الوزير ابن كماشة.

(3) ـ في الأصل: نايبا.

(4) ـ في الأصل: مضمنه: مضمونه.

(5) ـ في الأصل: زعمايكم. زعمائكم: العمّال والحكّام.

وَالجَهْر، وَأَعْطَيْنَاكُمْ عَهْدَ اللَّـهِ وَمِيثَاقَـهُ عَلَـى الوَفَـاء بِـهِ إِلَـى أَقْصَى أَمَدِهِ بَرًّا وَبَحْرًا عَنْ نَفْسِنَا وَعَنْ قُوَّادِنَا وَخُدَّامِنَا وَجَمِيـع أَهْل مَمْلَكَتِنَا. لاَ نَنْقُضُ لَهُ حُكْمًا وَلاَ نغَيِّرُ لَهُ رَسْمًا. وَلِأَنْ يَكُونَ هَذَا ثَابتًا وَتَكُونُوا مِنْهُ عَلَى صِحَّةٍ وَيَقِين جَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَـا وَعَلَّقْنَا عَلَيْهِ طَابَعَنَا شَاهِدًا عَلَيْنَا. وَاللَّهُ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ.

وَكُتِبَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِـينَ وَسَبْعِمَايَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَجُـودِهِ وَطُولِهِ فِيهِ عَلَى الشُّرُوطِ[1] التِي انْعَقَـدَ عَلَيْهَـا الصُّلْـحُ بِحَضْـرَةِ فَاسَ حَرَسَهَا اللَّهُ صَحِيحٌ مِنْهُ وفِيِ تَارِيخِهِ.

صَحَّ هَذَا.

(1) ـ كلمة غير واضحة.وهي [الشّروط]. أضيفت ووضعت بين معقّفين.

ـ التّحليل

كان السّلطان أبو الحسن المرينيّ خليفة فاس وهو أعظم سلاطين الدّولة المرينيّة وخلفائها أبرم معاهدة صلح وحسن جوار مع ملك أرغون ألفونسو الرّابع بطلب من هذا الأخير. كان ضمن موافقة صاحب غرناطة عليها والتّوقيع عليها كما ضمن ملك أرغون موافقة ملك قشتالة ألفونسو على المعاهدة وإبرامها وعلى هذا الأساس قام حلف بين الأطراف الأربعة يضمن السّلم للجميع ويسمح للتّجارة بالازدهار ولأهل البلدين الأربعة بالتّنقّل بحرّيّة وبدون التّعرّض إلى أيّ خطر.

وتتضمّن هذه الوثيقة نصّ هذه المعاهدة وشروطها وإعلان السّلطان يوسف موافقته عليها وعلى التّعهّد الذي قام به الخليفة أبو الحسن المرينيّ المعتبر في مقام والده والحامي له من هجمات الأعداء النّصارى وإغاراتهم.

والملاحظ أنّ أبا الحسن استطاع بسط نفوذه على كامل بلاد المغرب: إفريقيّة المغرب الأدنى وتلمسان المغرب الأوسط وفاس المغرب الأقصى. وهو يمثّل عنفوان الدّولة المرينيّة وأوج قوّتها وسطوتها ـــ لذلك كان ملوك إسبانيا المسيحيّة يهابونه ويتّقون

ضربات جيوشه الرّاسية ببلاد الأندلس ومراسيها ـ ولقد انـبرم هـذا الصّلح بفاس في شهر جمادى الثّانية سنة 734هـ الموافق لشهر مارس سنة 1334م لمدّة أربع سنوات. وكان صـاحب غرناطـة أرسـل نائبـه الحسن بن كماشة لحضور حفل توقيعه وإبرامه نيابة عنه.

وفي شهر ذي القعدة سنة 735هـ أرسل محمّد الرّابع هذه الرّسالة إلى ألفونسو الرّابع مؤكّدا التزامه بشروط العقد ومعرّفا بفحواه وضامنا مثل ملك أرغون التزام أهله وقوّاده وأصحابـه ونوّابـه بسـائر البـلاد الأندلسيّة ببنود الصّلح وحكمه مشدّدا على ضرورة التزام رعيّة الملك ألفونسو ونوّابه وفرسانه بشروط العقد وعلى أن تكون له المقدرة علـى العمل بما جاء فيه وحسبما التزمت به رسُله بفاس يوم توقيعه.

ـ التّعليق

كـانت الدّولـة المرينيّـة في أوج قوّتهـا في هـذا التّـاريخ يهـابهـا الجميع في الدّاخل والخارج الصّديق والعـدوّ، ولذلـك حـرص ملـوك النّصارى بإسبانيا على تجنّب مواجهتها وتحييد قوّتهـا بالتّحـالف معها ومهادنتها وضَمِنُوا مقابل ذلـك أمـن غرناطـة وسـائر المسـلمين بالأندلس، وأقدموا ـ قطلانيّين وقشتاليّين ـ على إبرام العقـد نفسـه بالشّروط نفسها معها.

ونلاحظ أنّ الدّولة المرينيّة كانت الدّرع الواقي بالنّسبة لغرناطة والأخ الأكبر الحامي لها دوما في شتّى الظّروف رغم محاولات التّنطّع والاستفزاز والانجرار وراء العدوّ المسيحيّ لإثبات قوّتها واستقلاليّتها وإشباع طموح بعض ملوكها وغرورهم الذي جلب لهم الويلات وكثيرا من البلاء لا سيّما مع الملوك الضّعفاء والصّبية منهم الذين اختاروا ـ كما يتّضح لاحقا ـ سبيل الفتن والتآمر فَجَنَوْا على أنفسهم وعلى الدّولة المرينيّة نفسها فسقطت هذه الدّولة في أواخر القرن الخامس عشر وسقطت غرناطة نفسها في نفس السّنة سنة 1498م.

28°) - الوثيقة رقم 32

- التّقديم

هذا كتاب من رضوان بن عبد اللّه[1] وزير سلطان غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 18 محرّم سنة 734هـ الموافق لـ29 سبتمبر سنة 1333م حول المفاوضات الجارية.

(1) - رضوان بن عبد الله: كان حاجبا وفي مقام وزير أوّل مع السّلطان يوسف الأوّل.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَكْـرَمُ الأَوْفَـى الـمُعَظَّمُ الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ أَلْفُنْشَـهْ[1] مَلِـكُ أَرغُـونَ وبَلَنْسِـيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَـةِ اللَّهِ وَرضَاهُ، خَدِيمُهُ مُوفِي وَاجبِ البرِّ لِجَانِبِـهِ وَمُكْمِلُ الثَّنَاء عَلَى مَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِهِ، رَضْوَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ، وَزِيـرُ السُّلْطَان مَلِكِ غَرْنَاطَةِ وَمَالِقَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَـى ذَلِـكَ. كَتَبَـهُ إِلَيْكُمْ مِنْ بَابِ مَوْلاَهِ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ بحَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَـهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُـمَّ بنِعْمَـةِ مَـوْلاَيَ أَبْقَـى اللَّـهُ إِحْسَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْـدُ لِلَّـهِ كَثِيرًا وَعَنْ العِلْمِ بمَحَلِّكُمْ فِي السَّلاَطِينِ الأَوْفِيَاء وَالشُّكْرُ لِمَا لَكُـمْ فِـي الوَفَاء مَنَ الـمَقَاصِدِ وَالأَنْحَاء.

وَإِلَى هَذَا فَمُوجبُـهُ إِلَيْكُـمْ هُـوَ أَنَّ الزَّعِيـمَ الـمُكَرَّمَ جَقْمَـى شَارِقَةَ[2] قَرِيبَكُمْ اجْتَمَعَ فِي مَحَلَّةِ جَبَلِ الفَتْحِ ببَعْض نَاس هَذِهِ الدَّارِ النَّصْرِيَّةِ يَعُودُ بتَجْدِيدِ الصُّحْبَةِ وَالـمَوَدَّةِ وَتَوْكِيـدِ العَهْـدِ.

---

(1) ـ دون ألفنسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

(2) ـ جاقمو شارقة: نائب ملك أرغون وقريبه.

وَقدْ كَتَبَ إِلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ مَوْلاَيَ الكِتَابَ الذِي يَصِلُكُمْ، وَوَجَّهَهُ مَعَ خَدِيمِهِ التَّاجِرِ الـمُكَرَّمِ بِشِقْلِينَ سَرِيجَةَ[1]، وَهُوَ يَصِلُكُمْ بِكِتَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ غَرَضٌ فِي هَذِهِ الحَالِ فَعَرِّفُونِي، وَاعْمَلُ[ـوا][2] فِيهَا مَا يَكُونُ فِيهِ الخَيْرُ لِلْفَرِيقَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ لِشَهْرِ الـمُحَرَّمِ مُفْتَتَحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

---

(1) - بشقلين شريجة: التّاجر والسّفير المعروف للملك أرغون الذي فاوض غرناطة في عقود صلح سابقة. أُنظر الوثائق السّابقة في عهد يوسف الأوّل.

(2) - في الأصل: واعمل.

- التّحليل

أرسل الوزير رضوان هذه الرّسالة نيابة عن مولاه السّلطان إلى ملك أرغون ليعلمه برغبة صاحب غرناطة في عقد اتّفاق معه حول جبل الفتح[1] على أساس المفاوضات التي أجراها جاقمو شارقه قريب ملك أرغون الذي بيّن استعداد أرغون للتّفريط في جبل الفتح لغرناطة. فبادر محمّد الرّابع - حسب إشارة ملك أرغون ورغبته - بإرسال رسول له هو تاجر قطلانيّ خادم له بشقلين شريجة ليؤكّد قصد غرناطة ومحاولاتها الحصول على جبل طارق. ورجا الوزير ألفونسو الرّابع العمل على تحقيق الصّلح وتمكين غرناطة من هذا الغرض بوضع يدها على جبل الفتح.

- التّعليق

نستنتج محاولات غرناطة في الالتفاف على عقد الصّلح وعلى حليفها الأكبر أبي الحسن المرينيّ وسعيها في الاستيلاء دونه وبدون سابق علمه على جبل الفتح.

---

(1) - جبل الفتح هو جبل طارق الذي كانت تتنافس عليه قشتالة وأرغون وكلّ من الدّولة المرينيّة وغرناطة التي أرادت الحصول عليه دون المرينيّين.

والملاحظ أنّ أبا الحسن المرينيّ كـان خـاض معركـة كبـيرة مـع النّصارى الإسبان لإبقاء جبل الفتح والجزيرة الخضـراء تحـت رايـة المسلمين وقَبلَ تسليم الجبل لغرناطة معتبرا ملك غرناطة ابنا له. إلاّ أن دسـائس صـاحب غرناطـة ووزرائـه المسـاندين للقْطلانيّـين والقشتاليّين علـى السّواء بمراوغـة وخبـث لم تتوقّـف ومحـاولات التّوسّع والالتفاف على المرينيّين تواصلت.

29°) ـ الوثيقة رقم 33 مكرّر

ـ التّقديم

هذه رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 18 محرّم سنة 734هـ الموافق لـ 29 سبتمبر سنة 1333 حول توسيع الصّلح المبرم مع مملكة قشتالة.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَكْرَمُ الأَوْفَى الـمُعَظَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ أَلْفُنْشَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، شَاكِرُهُ البَـ[ـا]رُّ بِجَانِبِهِ، الـمُثْنِي عَلَى مَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاءِ وَمَذَاهِبِهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ اليُسْرِ الأَشْمَلِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الصُّحْبَةِ مَشْكُورٌ وَمَنْصِبُكُمْ فِي بَيْتِ الـمَمْلَكَةِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا فَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّهُ مَا زَالَتْ الصُّحْبَةُ بَيْنَ دَارِ غَرْنَاطَةَ وَدَارِكُمْ تَتَجَدَّدُ بَيْنَ أَسْلَافِنَا، وَأَنَّا وَقَفْنَا الآنَ فِي العَقْدِ الذِي كَانَ قَدْ أُخِذَ فِيهِ مَعَ مَلِكِ قَشْتَالَةَ عَلَى إِشَارَةٍ إِلَى صُلْحِكُمْ، فَرَأَيْنَا أَنْ وَجَّهْنَا كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكُمْ فِي شَأْنِ هَذِهِ

---

(1) - دون ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) - الأمير عبد الله يوسف السّلطان يوسف الأوّل ابن إسماعيل الأوّل.

القَضِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِي الصُّحْبَةِ وَالـمُصَادَقَةِ غَـرَضٌ فَنَحْـنُ نَغْتَبِطُ بِذَلِكَ وَعِنْدَنَا مِنَ الـمُسَاعَدَةِ لَكُمْ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يُرْضِيكُمْ، فَعَرِّفُونَا بِمَا عِنْدَكُـمْ فِـي ذَلِـكَ. وَيَصِلُكُمْ بِكِتَابِنَـا هَـذَا التَّـاجِرُ الـمُكَرَّمُ بَشْقَلِينُ شَـرِيجَةَ[1] خَدِيمُنَـا أَكْرَمَـهُ اللَّـهُ بِتَقْـوَاهُ. وَقَـدْ أَلْقَيْنَا إِلَيْهِ فِي تَوْكِيدِ الـمَوَدَّةِ مَـا يُلْقِيـهِ إِلَيْكُـمْ وَيَنُصُّـهُ عَلَيْكُـمْ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ. وَاللَّــهُ سُبْحَانَهُ يَصِـلُ عِزَّتَكُـمْ بِتَقْـوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ الثَّامِنَ عَشَرَ لِشَهْرِ الـمُحَرَّمِ مُفْتَتَحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ بشقلين شريجة: التّاجر المعروف والسّفير القطلانيّ صديق صاحب غرناطة كذلك.

ـ التّحليل

بادر السّلطان يوسف الأوّل بمكاتبة ألفونسو الرّابع ملك أرغون لإعلامه بعقد الصّلح الذي كان أبرمه مع قشتالة ورغبته في توسيعه إلى أرغون. وكان أعلم ملك أرغون عن طريق رسوله القطلانيّ التّاجر بشقلين شريجة[1] برغبته في عقد هذا الصّلح المبرم مع قشتالة كذلك مع مملكة أرغون فينبرمُ حلف بينهم جميعا. وأبدى يوسف الأوّل استعداده لإرضاء ألفونسو الرّابع والاستجابة لكلّ ما يرغب فيه.

ـ التّعليق

نلاحظ من خلال هذا الكتاب حرصَ ملكِ غرناطة الشّابّ على ضمان الأمن لرعاياه على كلّ من حدوده مع قشتالة ومع أرغون وتجاوزه لسياسة والده وأجداده الذين اكتفوا بالتّحالف مع أرغون ضدّ قشتالة ومساندة القطلانيّين في مواجهاتهم مع القشتاليّين الذين كانوا استولوا على القسم الأكبر من بلاد الأندلس ولا يزالون يطمعون في التهام ما تبقّى منها.

(1) ـ كان الوزير رضوان أعلم ملك أرغون بذلك وبإرسال مولاه هذا التّاجر القطلاني عملا برسالة خاصّة بعقد الصّلح المرغوب فيه (الوثيقة رقم 32).

ويبدو أنّ ملك قشتالة يحاول الاتّقاء من ضربات المرينيّين الذين هزموهم في طريف والجزيرة الخضراء وغيرها من البقاع الأندلسيّة بالتّحالف مع غرناطة والتّظاهر بمهادنتها لاسترجاع أنفاسه والانقضاض عليها في الوقت المناسب. وكان هذا الانقضاض يتأجّل رغم إلحاح الكنيسة بسبب منافسة ملك أرغون وخطر الجيوش المرينيّة الحامية لغرناطة وسواحلها !

30°) ـ الوثيقة رقم 31

ـ التّقديم

هذا كتابٌ من عامر بن عثمان بن أبي العلاء وزير صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون حول الصّلح المزمع إبرامه معه على غرار ما أُبرم مع قشتالة.

ـ نصّ الرّسالة

إلَى حَضْرَةِ المَلِكِ المُعَظَّمِ السُّلْطَانِ الشَّهيرِ الكَبيرِ الأَسْمَى المُرَفَّعِ الأَفْخَمِ الأَضْخَمِ الأَعْلَى المَبْرُورِ المَشْكُورِ الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْشْ[1] ملِكِ أَرَغُونَ، وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَسَنَّى سَعَادَتَهُ وَحَرَسَ مَوَدَّتَهُ. سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ مِنْ مُعَظِّمِ جَانِبِكُمْ وَمُقَدِّمِ وَاجِبِكُمْ مُحِبِّكُمْ المُثْنِي عَلَى كَبيرِ سُلْطَانِكُمْ عَامِرِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العُلاَءِ[2]، مِنْ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَصُنْعُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيلٌ وَتَيْسِيرُهُ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ أَمَلٍ كَفِيلٌ، وَجَلاَلُكُمْ السُّلْطَانِيُّ مُعَظَّمُ الجَانِبِ مَشْكُورُ المَنَاحِي وَالمَذَاهِبِ، مُوَفًّى لَدَيْنَا مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الرَّعْيِ الوَاجِبِ وَالمَوَدَّةِ [الَّتِي][3] بِجَانِبِ الخُلُوصِ وَالتَّنَاسُبِ.

وَإِلَى هَذَا أَيُّهَا المَلِكُ الكَبيرُ القَدِيرُ الشَّهيرُ الذِكْرِ، فَإِنَّهُ اتَّصَلَ بِنَا عَلَى لِسَانِ القَائِدِ[4] المُعَظَّمِ التَّاجِرِ المُكَرَّمِ الأَحَبِّ الأَوَدِّ الأَخْلَصِ الأَصْفَى دُونْ بِشْقِلِينَ القَطْلاَنِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ عَنْ

---

(1) ـ دون ألفنسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني.

(2) ـ عامر بن عثمان بن أبي العُلاء: وزير صاحب غرناطة.

(3) ـ أضيف ما بين معقّفين ليستقيم التّركيب.

(4) ـ في الأصل: القايد. وهو السّفير بشقلين شريجة التّاجر القطلانيّ المعروف.

جَانِبكُمْ الـمُعَظَّمُ مَا سُرِرْنَا بِهِ عَنْكُمْ مِنْ كَـلامِ الخَـيْرِ مَـا يَلِيـقُ بِكَبِيرِ سُلْطَانِكُمْ وَبِأَكَابِرِ الـمُلُوكِ أَمْثَالِكُمْ. وَذَكَرْنَـا عَنْكُـمْ عَهْـدًا كَرِيمًا كَانَ بَيْنَ مَوْلاَنَا الوَالِدِ الـمَرْحُومِ أَبِـي سَعِيدٍ عُثْمَـانَ بْـنِ أَبِي العُلاَءِ[1] ووَالِدِكُمْ[2] السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ. وَنَحْـنُ بِحَـوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى نُضَاعِفُ لِجَانِبِكُمْ فِي الوِدَادِ وَنَخْلُصَ إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ فِـي الـمَحَبَّةِ الصَّادِقَـةِ وَالاِعْتِقَـادِ. وَقَـدْ فَعَـلَ فِـي حَقِّكُـمْ القَـائِدُ[3] بِشْقَلِينُ[4] هُنَا فِي دَارِ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ فَوْقَ الغَايَـةِ مَـا لاَ يَفْعَلُـهُ غَيْرُهُ فِي أُمُورِ الصُّلْحِ وَإِثْبَاتِ الوِدِّ وَتَـأْكِيدِ العَهْـدِ، وَدَلَّ علـى أَنَّهُ أَشَدُّ النَّاسِ حُبًّا لِجَانِبِكُمْ الـمُـ[ـرَفَّعِ] السُّـلْطَانِيِّ وَأَعْظَمُهُـمْ حِرْصًا عَلَى خِدْمَتِكُمْ وَإِقَامَةِ حُرْمَتِكُـمْ. وَشَـكَرْنَاهُ لِذَلِـكَ شُـكْرًا كَثِيرًا. فَإِنَّ الذِي صَدَرَ عَنْهُ مِنْ صُورَةِ الاجْتِهَادِ فَـلاَ يَفْعَلُـهُ إِلاَّ حَبِيبٌ مِثْلُهُ. وَقَدْ كَادَتْ أُمُورُ الصُّلْحِ أَنْ تَتِمَّ عَلَى يَدِهِ لِجَانِبِكُمْ لَوْلاَ أَنَّ صَـاحِبَ قَشْطَلَةَ[5] دَخَـلَ فِـي الـمَسْأَلَةِ وَصَـارَ يَحُـلُّ

---

(1) ـ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء الوزير والحاجب بغرناطة.

(2) ـ والدكم: يعني جاقمو الثاني ملك أرغون.

(3) ـ في الأصل: القايد.

(4) ـ بشقلين: السّفير بشقلين.

(5) ـ صاحب قشتالة: حاكم مملكة قشتالة بإسبانيا.

عَلَيْكُمْ وَيَرْبُطْ وَيَنْقُضْ وبشَرْط. وَلَمْ نَعْلَمْ مَا يُوافِقُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ مَا يَأْتِي عَلَى غَرضكُمْ. فلوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ لَقَضَيْنَا مُحَاوَلَةَ إتْمَامِهِ عَلَى مَا يُرْضِيكُمْ. ويصلْكُمْ بحَوْلِ اللَّهِ بكِتَابِنَا هَذَا وَلَدُ القَائِدِ[1] بشْقَلِينَ، فَكُلَّما يُلْقيهِ إِلَيْكُمْ عَنَّا صَدِّقُوهُ فِيهِ وَأَقْبَلُوهُ مِنْهُ، فَنَحْنُ حَدَّثْنَاهُ بذلِكَ لِيَكُونَ لِسَانَنَا إِلَيْكُمْ.

وَرُدُّوا لنَا الجوَابَ بمَا يُوَافِقُ غَرَضَكُمْ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ لِنَعْمَلَ فِيهَا الوَاجبَ. وَهَلْ يُوَافِقُكُمْ مَا يَفْعَلُهُ عَلَيْكُمْ مَلِكُ قَشْتَالَةَ[2] أَوْ لاَ. وَاعْلَمُوا أَنَّا عَلَى أَوَّلِ [العَهْدِ][3] فِي شُكْرِ جهَتِكُمْ وَالاعْتِدَادِ بكَرِيمِ مَوَدَّتِكُمْ وَالثَّنَاء الجَمِيلِ عَلَى شِيَمِكُمْ السُّلْطَانِيِّ وَرَفِيعِ مُهِمَّتِكُمْ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْرُسُ ودَادكُمْ وَيُسْنِي فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَمَلَكُمْ السُّلْطَانِيَّ وَمُرَادَكُمْ.

وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فِي العِشْرِينَ لِرَمَضَانَ المُعَظَّمِ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

---

(1) ـ في الأصل: ولد القايد وهو ابن بشقلين التّاجر القطلانيّ والسّفير بغرناطة.

(2) ـ ملك قشتالة فريديريق الرّابع.

(3) ـ تمّت إضافة ما بين معقّفين ليستقيم التّركيب والمعنى.

ـ التّحليل

كان القائد القطلانيّ والتّاجر بشقلين قام بوساطة بين غرناطة وأرغون لصداقته لملكيْ البلديْن كي يقبلا إبرام عقد صلح مثل العقد الذي أبرمه يوسف الأوّل مع ملك قشتالة. وكاد ينجح في مساعيه حسب ما ذكره عامر بن عثمان بن أبي العُلاء في كتابه هذا لألفونسو الرّابع غير أن صاحب قشطلة[1] حاول تجاوز القائد بشقلين وإفشال وساطته وقام بنفسه بتدخّلات شخصيّة وبالتّفاوض باسم الملك وتقديم شروط ومقترحات جديدة تختلف عمّا كان قدّمه بشقلين بموافقة الملك ألفونسو الرّابع.

وكانت هذه الوساطة قد أفشلت المفاوضات الأولى وعمّقت الخلاف فقام الوزير عامر بن أبي العلاء باطلاع ألفونسو الرّابع على مَا حدث ورجاه بتكليف القائد بشقلين رسميّا بالوساطة ولا سيّما أنّه يخدمه أحسن خدمة ويكنّ له الاحترام والتّقدير. واستطاع أن يرفع قدره وشأنه لدى السّلطان ولذلك حمّله رسالة شفاهيّة تخصّ هذا الموضوع وطلب منه أن يصدّقه فيما يقوله ويلقيه عنه وعن مولاه السّلطان.

---

(1) ـ والي قطلانيّ على قشتالة نائب ملك أرغون.

ـ التّعليق

نلاحظ محاولة بعض الأطراف كهـذا الوسيط القطلانـيّ الثّاني صاحب مقاطعة قشتالة ابتزاز الملكيْن والاعتراض على الصّلح وحمـل صاحب غرناطة على إمضاء عقـد يحـدّ مـن نفـوذه ويخـدم مصلحـة القطلانيّين فحسب. وهو مـا اعـترض عليـه يوسـف الأوّل وإن كـان يرغب في إبرام مثل هذا الصّلح.

ونرى السّلطانيْن يستعملان مختلف الوسائل للوصول لأغراضهما بما في ذلك الأصدقاء والقادة والتّجّار، قـادة "الحاميـات" المسـيحيّة الإسبانيّة ببلاطات ملوك غرناطة.

°31) - الوثيقة رقم 40

- التّقديم

هذا كتاب من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 30 جمادى الثّانية سنة 735هـ الموافق لـ 24 فيفري سنة 1335م حول الأسرى القطلانيّين.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْشَه[1] مَلِكُ أَرغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَة وَصَاحِبُ سَرْدَانِيَة وَقُرْصِغَةَ وَقَمْطُ بَرْجَلُونَة. وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ ويَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَشَاكِرُ مَوَدَّتِهِ الـمُثْنِي عَلَى صُحْبَتِهِ. البَـ[ـا]رُّ بجَانِبِهِ العَارِفُ بمَقَاصِدِهِ فِي الـمُلُوكِ الأَوْفِيَاء ومَذَاهِبِهِ. الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ[2] يُوسُفُ بْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِين أَبِي الوَلِيدِ إسْمَاعِيلَ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ.

أَمَّا بعْدُ، فَإنَّا كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَجَانِبُكمْ مَبْرُورٌ وَمَذْهَبُكُمْ فِي الوَفَاء مَشْكُورٌ وَمَنْصَبُكُمْ فِي الـمُلُوكِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ..

وَإلَى هذَا فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ الـمَبْرُورُ فِي شَأْنِ الأَشْخَاص الذِينَ بَاعَهُمْ الجنْويُّونَ بالْـمَرِيَةَ. وَعَرَّفْتُمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ أَرْضِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّنا لَوْ عَرَفْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ أَرْضِكُمْ مَا سُمِحَ فِي بَيْعِهِمْ

(1) - دون ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

(2) - الأمير عبد الله: السّلطان يوسف الأوّل ابن إسماعيل الأوّل.

وَلَوَجَّهْنَاهُمْ إِلَيْكُمْ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الوَفَاءُ بِالعَهْدِ. فَإِنَّنَا مَا عِنْدَنَا إِلاَّ الوَفَاءُ بِمَا عَاهَدْنَاكُمْ عَلَيْهِ. وَلَكِـنْ[1] عَنْـدَ وُصُـول كِتَـابِكُمْ[2] وَجَّهْنَا التَّفْسِيرَ بِأَسْـمَائِهِمْ[3] إِلَـى الْـمَرِيَةَ، وَأَمَرْنَـا أَنْ يُبْحَـث عَنْهُمْ وَيُسْتَرْجِعُوا مِنْ أَيْدِي مَنْ هُـمْ عِنْـدَهُ. وَنَحْـنُ نَعْمَـلُ فِـي ذَلِكَ مَا يُوجِبُهُ الوَفَاءُ وَمَا يَقْتَضِيهِ اعْتِقَادُنَا فِي صُحْبَتِكُمْ بِحَوْل اللَّهِ فَاعْلِمُوا ذَلِكَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْـعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِـي الْـمُوَفَّى ثَلاَثِـينَ لِشَـهْرِ جُمَـادَى الآخِـرَةِ عَـامَ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

(1) - في الأصل: ولاكن.

(2) - وصول كتابكم : وصول الكتاب الخاصّ بالأشخاص القطلانيّين.

(3) - في الأصل: بأسمايهم. يعني أسماء الأسرى القطلانيّين الذين بـاعهم الجنويّـون بالمريّة.

- التّحليل

بعد أشهر من انعقاد الصّلح بين البلدين حدث أمر قطع خطير يخالف أحد بنود هذا العقد، ويتمثّل في إقدام بعض القطّاع الجنويّين على أسر أشخاص قطلانيّين وبيعهم بالمرية بمملكة غرناطة. وهو شيء يتنافى ونصّ المعاهدة والوفاء المنتظر من غرناطة. فبادر ألفونسو الرّابع بمكاتبة يوسف الأوّل وأجاب صاحب غرناطة بهذا الكتاب مبيّنا سماح رجال الدّولة ببيع هؤلاء الأسرى لعدم تعرفّهم على هويّتهم القطلانيّة وعدم علمهم بأنّهم من رعايا أرغون. لذلك قدّم يوسف الأوّل اعتذاراته لما حدث، وأكّد وفاءه للصّلح وإذنه بالبحث عن الأسرى بالمرية وردّهم إلى أهلهم بأرغون.

- التّعليق

هذا مثال من الانتهاكات التي كانت تحدث بأرغون أو غرناطة وتتسبّب في الإخلال ببنود الصّلح. ونرى أنّ بعض الأطراف الأجنبيّة قد كانت تتسبّب في ذلك مثل هؤلاء الجنويّين الذين قاموا ببيع أسراهم القطلانيّين بمملكة غرناطة.

ونلاحظ أخيرا معاناة الرّعايا بالبلدين من هذا القطع وأعمال القرصنة وما ينتج عن ذلك من امتهان للبشر وتحويلهم إلى عبيد لا كرامة لهم وإلى بضاعة تباع وتُشترى وتُعامل معاملة البهائم والدّوابّ.

°32) - الوثيقة رقم 35

- التّقديم

هذا كتاب من رضوان بن عبد الله وزير صاحب غرناطة يوسف الأوّل إلى ألفونسو الرّابع حول الأسرى المسلمين وذلك بتاريخ 15 ذي الحجّة سنة 735هـ الموافق لـ 27 جوان سنة 1335هـ.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الأَجَلُّ الـمُوثَرُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى المَشْكُورُ الكَبِيرُ الشَّهِيرُ دُونْ أَلْفُنْشَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، مُعَظِّمُ سُلْطَانِهِ وَمُكَـرِّمُ جَانِبِهِ الشَّاكِرُ لِمَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاءِ وَمَذَاهِبِهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الـمُثْنِي عَلَى غَرَضِهِ فِي صُحْبَةِ مَوْلاَهُ وَقَصْدِهِ وَزِيرُ السُّلْطَان أَيَّـدَهُ اللَّهُ رَضْوَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[2]. كَتَبَهُ إِلَيْكُمْ مِنَ البَابِ الكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ بِحَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ بِبَرَكَةِ الدُّعَاءِ لِمَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَسْعَدَهُ وَظَفَرَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُعَظَّمٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاءِ مَعْرُوفٌ مَشْكُورٌ وَقَدْرُكُمْ فِي الـمُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ الوَاصِلَ إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ وَجَّهَهُ مَولاَيَ السُّلْطَانُ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِرَسْمِ إِيصَالِ الأَسَارَى الـمَأْخُوذِينَ

---

[1] ـ دون ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

[2] ـ الوزير رضوان حاجب السّلطان يوسف الأوّل.

فِي الصُّلْحِ الذِينَ وَقَعَ الكَلاَمُ فِيهِمْ مَعَ رَسُولِكُمْ الْمُكَرَّمِ دُونْ رمُونَ بيل[1]، فَقَصَدَ مَولاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ تَتَفَضَّلُوا بتَسْرِيحِهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ مَعَهُ، يَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يَشْكُرُهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ. وَأَنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ وَفَاؤُكُمْ الْمَشْكُورُ وَقَصْدُكُمْ الْمَبْرُورُ. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي الْيَوْمِ الخَامِسِ عَشَرَ لِذِي حَجَّةَ مُخْتَتَمِ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

---

(1) - رمون بيل Ramon Bill : رسول ملك أرغون إلى غرناطة.

ـ التّحليل

يَهُمُّ هذا الكتاب الذي بعث به رضوان بن عبد الله[1] وزير يوسف الأوّل صاحب غرناطة الأسرى الغرناطيّين الذين تمّ أسرهم مدّة الصّلح فرجاه على لسان مولاه السّلطان تسريحهم وإرجاعهم إلى غرناطة مع رسوله دون رمون بيل[2] الذي كان السّلطان يوسف الأوّل خاطبه في الموضوع وطلب منه العمل على تسريحهم وفاء من ألفونسو لعقد الصّلح ولِمَا عُرف به بين الملوك من وفاء للعهد وحفاظ له.

ـ التّعليق

إنّ هذه الوثيقة مثل سابقتها تعطينا فكرة واضحة عمّا يحدث مدّة عقود الصّلح بالبلدين المتعاقدين على السّواء: أرغون تارة وغرناطة تارة أخرى. فكلٌّ يشتكي من الانتهاكات ويطالب بتسريح الأسرى والعمل على ايقاف غارات القطع. فهذا دليل يُثبت أنّه لا يمكن لهذه العقود أن تحترم وللسّلم أن تسود في مثل هذه الظّروف والحروب غير المباشرة الدّائرة بين الطّرفين النّصارى المُسْتَأْسِدين والمتعاضدين بإسبانيا والمسلمين المتخاذلين والمتناحرين بالأندلس.

---

(1) ـ رضوان بن عبد الله: الحاجب والوزير الأوّل ليوسف الأوّل.

(2) ـ دون رمون بيل: السّفير الذي سبق أن قام بسفارة لدى صاحب غرناطة وفاوض في تجديد عقد الصّلح كما كان تقدّم.

33°) ـ الوثيقة رقم 41

ـ التّقديم

هذا كتاب من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون حول إبرام عقد الصّلح بتاريخ 27 ذي القعدة سنة 735هـ الموافق لـ 19 جويلية سنة 1435م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الـمُرَفَّعُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الشَّهِيرُ الأَخْلَصُ دُونْ أَلْفُنْشَه[1] مَلِكُ أَرغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَـرْدَانِيَة وَقُمْط بَرْجَلُونَـةَ، وَصَلَ اللَّـهُ عِزَّتَـهُ بِتَقْـوَاهُ وَيَسَّـرَهُ لِمَا يُحِبُّـهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ جَانِبِهِ الـمُثْنِي فِي الوَفَاء عَلَـى حُسْـن مَذَاهِبِـهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الشَّاكِرُ لِغَرَضِهِ فِي الصُّحْبَةِ وَقَصْدِهِ الأَمِـيرُ عَبْـدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] بْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْن فَـرَج بْن نَصْر، أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَسْعَدَ عَصْرَهُ. كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْـرَاءِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْـسَ بِفَضْـلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ ثُـمَّ بِبَرَكَـةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا الذِي أَوْضَحَ بُرْهَانَـهُ إِلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَـلُ وَالْيُسْـرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُكَرَّمٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُـمْ فِـي الصُّحْبَةِ مَعْرُوفٌ مَشْكُورٌ وَمَكَانُكُمْ فِي مُلُـوكِ النَّصْرَانِيَّـةِ مَعْلُـومٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَـى هَـذَا فَقَـدْ وَصَلَ كِتَـابُكُمْ الـمَبْرُور تُعَرِّفُـونَ بِوُصُـول رَسُولِنَا القَـائِدِ[3] الأَجَـلِّ أَبِـي الحَسَـنِ بْـن كَمَاشَـةَ أَعَـزَّهُ اللَّـهُ

---

[1] ـ دون ألفونسو الرّابع ملك أرغون ابن جاقمو الثّاني.

[2] ـ عبد الله يوسف: الأمير يوسف الأوّل صاحب غرناطة.

[3] ـ في الأصل: القايد : هو الرّسول المعروف والوزير أبو الحسن بن كماشة.

إِلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ أَلْقَى إِلَيْكُمْ مَا عِنْدَنَا مِنَ الاغْتِبَاطِ بِصُحْبَتِكُمْ وَالاعْتِقَادِ الجَمِيلِ فِي وَفَائِكُمْ وَالقَصْدِ الحَسَنِ فِي تَجْدِيدِ الصُّحْبَةِ التِي كَانَتْ بَيْنَ أَسْلاَفِنَا وَأَسْلاَفِكُمْ، وَأَنَّكُمْ تَلَقَّيْتُمُوهُ بالقَبُول، وَجَدَّدْتُمْ العَهْدَ عَلَى مَا يُثْبتُ المُصَادَقَةَ وَالخُلُوصَ، وَوَجَّهْتُمْ إِلَيْنَا رَسُولَكُمْ الحَظِيَّ لَدَيْكُمْ المُكَرَّمَ المَبْرُورَ المَشْكُورَ رمُونَ بيلَ، وَوَجَّهْتُمْ تَجْدِيدَ عَقْدِ الصُّلْح عَلَى مَا عَقَدَهُ السَّلاَطِينُ، وَقَرَّرْتُمْ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ واعْتِقَادِكُمْ وَحُسْن عَهْدِكُمْ مَا هُوَ المَعْلُومُ مِنْكُمْ وَمِنْ أَسْلاَفِكُمْ، فَمَا عُرِفَ مِنْكُمْ إِلاَّ الوَفَاءُ وَالوُقُوفُ عَلَى العُهُودِ. وَقَدْ شَكَرْنَا مَقَاصِدَكُمْ كُلَّهَا أَبْلَغَ الشُّكْر. وَحَضَرَ رَسُولُكُمْ بَيْنَ يَدَيْنَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَرَّرَ لَدَيْنَا مِنْ مَقَاصِدِكُمْ الجَمِيلَةِ مِثْلَ مَا ذَكَرْتُمْ وأَوْصَلَ إِلَيْنَا العَقْدَ الذِي أَمَرْتُمْ بكَتْبِهِ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ أَمَرْنَا بكَتْبِ نَظِيرِهِ، وَجَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَا وَطَابَعَنَا، وَهُوَ يَصِلُكُمْ بحَوْل اللَّهِ. وَأَلْقَى إِلَيْنَا رَسُولُكُمْ المَذْكُورُ الشِّكَايَاتِ التِي أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ. وَقَدْ بُحِثَ عَنْهَا بِأَبْلَغِ المَجْهُودِ وَعُمِلَ فِيهَا الوَاجِبُ عَلَى مَا يُرْضِيكُمْ. وَكُلُّ مَا وُجِدَ مِنْهَا قَدْ وُجِّهَ إِلَيْكُمْ وَهُوَ يَصِلُكُمْ، وَالبَحْثُ مُتَّصِلٌ عَنْ سَائِرِهَا. وَكَذَلِكَ أَيْضًا لِلْمُسْلِمِينَ شِكَايَاتٌ مِنْ جِهَةِ أَرْضِكُمْ. فَالقَصْدُ مِنْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِيهَا مَا هُوَ المَضْمُونُ عَلَى وَفَائِكُمْ. وَمَا عِنْدَنَا إِلاَّ الحِفْظُ

لِعَهْدِكُمْ وَالشُّكْرُ لِقَصْدِكُمْ. وَقَدْ أُلْقِيَ إِلَى رَسُولِكُمُ[1] الـمَذْكُور فِي هَذِهِ الـمَعَانِي مَا يُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ إِعْزَازَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِذِي القَعْدَةَ مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ الرّسول: هو رمون بيل Ramon Bill.

ـ التّحليل

كان يوسف الأوّل كما يتّضح من خلال هذه الرّسالة وجّه قائده أبا الحسن بن كماشة إلى ألفونسو الرّابع ليعلمه باغتباطه بتجديد العهد ويذكّره بما بينهما من مودّة وصحبة فأحسن ملك أرغون استقباله وعبّر عن سروره بموافقة غرناطة على تمديد الصّلح. وبادر بتوجيه سفيره ورسوله رمون بيل الذي كان سبق أن فاوض غرناطة في شروط عقد هذا الصّلح. وحمل معه نسخة من المعاهدة المتّفق عليها على أساس ما كان الأجداد من السّلاطين المسلمين والملوك الأرغونيّين عقدُوه، وقائمة من الشّكايات التي طلب ألفونسو الرّابع قضاءها وتسريح الأسرى من رعاياه. فقام يوسف الأوّل بتوجيه هذه الرّسالة مع نظير ممضى من عقد الصّلح بخطّه وطابعه وإبلاغه باستعداده لإرضائه وتسريح ما يريده من الأسرى النّصارى. وأعلمه أنّ للمسلمِين كذلك شكايات وطلبات يرجو منه قضاءها والاستماع إلى ما يلقيه إليه الرّسول حامل الرّسالة حول هذه الشّكايات ومختلف المواضيع بما يخدم السّلم وخير البلدين.

ـ التّعليق

نرى تجديد العقد الذي أُبرم سنة 721هـ الموافق لسنة 1321م بين ملك أرغون جاقمو الثّاني وصاحب غرناطة عبد اللّه[1] محمّد بن فرج بن نصر للمرّة الأولى ثلاث مرّات مع أبي الوليد إسماعيل الأوّل ومحمّد الرّابع سنة 728م الموافق لسنة 1328م ثمّ مع يوسف الأوّل بن إسماعيل على نفس الشّروط والأُسس لضمان السّلم والأمن والتّبادل التّجاريّ بين البلدين بحرّيّة وأمان.

فصاحب غرناطة يحاول المحافظة على المكاسب التي حقّقها له أجداده وتوطيد أركان مملكته المحاطة بالأعداد والمعرّضة لأطماع الطّامعين من النّصارى والمسلمين. ويبدو أنّه نجح في تحقيق هذا الغرض واستطاع أن يفاوض مثل أبيه وجدّه ملوك أرغون وقشتالة ـ كما اتّضح في الوثيقة السّابقة ـ مفاوضة النّدّ للنّدّ. فلا تزال مملكة غرناطة لها قوّتها ومكانتها والقدرة على الحدّ من أطماع الأعداء الأجوار إسبان ومُسلمين.

---

(1) ـ عبد الله: السّلطان محمّد الأوّل ملك غرناطة.

34°) - الوثيقة رقم 33

- التّقديم

هذه رسالة من رضوان بن عبد الله وزير يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع بتاريخ 27 ذي القعدة سنة 735هـ الموافق لـ 19 جويلية سنة 1345م.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُعَظَّمُ الـمُرَفَّعُ الـمُوَقَّرُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الشَّهِيرُ الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْشَه[1] مَلِـكُ أَرَغُـونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ وَقُمْـطُ بَرْجَلُونَـةَ، وَصَـلَ اللَّـهُ عِـزَّهُ بِتَقْـوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، مُعَظِّمُ سُلْطَانِهِ وَمُوَقِّرُ مَكَانِهِ وَزِيرُ السُّلْطَانِ، أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ رَضْوَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[2]. كَتَبَهُ إِلَيْكُـمْ مِـنَ بَـابِ مَوْلاَهِ بِحَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ، حَرَسَهَا اللَّـهُ. وَلَيْـسَ وَلاَ زَايِـدَ بِفَضْـلِ اللَّهِ ثُمَّ بِبَرَكَةِ أَيَّامِ مَوْلاَنَا أَدَامَ اللَّهُ إِحْسَـانَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَـلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ. وَعَنْ التَّعْظِيمِ لِسُـلْطَانِكُمْ وَالتَّوْقِيرِ لِمَمْلَكَتِكُمْ وَمَكَانِكُمْ.

وَإِلَى هَذَا فَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكُمْ الـمُعَظَّمُ صُحْبَةَ رَسُول مَوْلاَنَـا أَيَدَّهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ القَائِدُ الأَجَلُّ أَبُو الحَسَنِ بْـنُ كَمَاشَـةَ[3]، أَعَـزَّهُ اللَّهُ تُقَرِّرُونَ مُعْتَقَدَكُمْ الجَمِيلَ. وَقَدْ شَكَرْتُ ذَلِـكَ أَبْلَـغَ الشُّـكْرِ وَعَرَفْتُ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ القَبُول وَالعِنَايَةِ وَالكَرَامَةِ، وَقَابَلْتُ ذَلِـكَ بِمَا يَجِبُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنِّـي لاَ أَزَالُ أُؤَكِّـدُ العَهْـدَ

---

(1) ـ دون ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ رضوان بن عبد الله: الحاجب والوزير الأوّل.

(3) ـ في الأصل: أبي... هو أبو الحسن بن كماشة القائد والسّفير الوزير.

بَيْنَ مَوْلاَيَ وَبَيْنَكُمْ وأُثْبِتُ الودَّ وَأَعْمَلُ فِي ذَلِكَ مَا أُوفِي بِهِ حَقَّ خِدْمَتِهِ وَكَرَامَتِكُمْ حسبَ الوَاجِبِ عَلَيَّ.

وَقَدْ أَلْقَى إِلَيَّ القَائِدُ أَبُو الحَسَنْ أَعزَّهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَا وَافقَ مُقْتَضَى كِتَابِكُمْ، وَوَصَلَ صُحْبَتَهُ رَسُولُكُمْ الحظِيُّ لَدَيْكُمْ المُكَرَّمُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ رمُونُ بيل[1]، وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ. وَأَوْصَلَ هَدِيَّتَكُمْ إِلَى مَوْلاَيَ، ووَقَفَ عَلَيْهَا وَاسْتَحْسَنَهَا وَوَقَعَتْ عِنْدَهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ، وَشَكَرَ قَصْدَكُمْ فِي ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ وَصَلَ مَا تَفَضَّلْتُمْ بإِهْدَائِهِ إِلَيَّ مُعَظِّمِ مَجْدِكُمْ، فَقَابَلْتُ سُلْطَانَكُمْ بالشُّكْرِ الجزِيلِ وَالثَّنَاءِ الجمِيلِ، وَسَرَّتْنِي عِنَايَتُكُمْ وَحُسْنُ اعْتِقَادِكُمْ. وَمَا مُعَظِّمُكُمْ إلاَّ عَلَى مَا يُرْضِيكُمْ مِنَ الاعْتِقَادِ فِيكُمْ، فَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِين. وَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِكُمْ المَذْكُورِ مَا يُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ فِي هَذَا المَعْنَى. وَاللَّهُ تَعَالَى يَصِلُ عِزَّكُمْ بتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُ سُلْطَانَكُمْ بطَاعَتِهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

---

(1) - رمون بيل: السّفير والرّسول الذي سبق أن قام بمهمّات عديدة بغرناطة.

كُتِبَ فِي السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِذِي [الـ]ـقَعْدَةَ[1] مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَةَ اخْتِتَامِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

صَحَّ هَذَا.

[1] ـ أضيف ما بين معقّفين ليستقيم التّركيب.

- التّحليل

كان ألفونسو الرّابع، بعد ثمانية أيّام من عقد الصّلح وجّه رسوله رمون بيل إلى غرناطة مصحوبا بهديّة سنيّة للسّلطان يوسف الأوّل وهديّة هامّة للوزير رضوان، وكذلك رسالة مع القائد أبي الحسن بن كماشة رسول السّلطان للوزير رضوان[1]، يشكره فيها على مواقفه وعمله، ليَتمّ إبرام الصّلح بين البلدين. فقام رضوان بتوجيه هذه الرّسالة لألفونسو الرّابع يعلمه فيها بتلقّي السّلطان الهديّة وباغتباطه بها، ويشكره على مشاعره نحوه والهديّة التي بعث بها إليه، مؤكّدا له صداقته ووفاءه للمودّة القائمة بينهما ومواصلة الاجتهاد للمحافظة على هذه الصّداقة والعلاقة الطّيّبة القائمة بين البلدين.

- التّعليق

نلاحظ دور الوزراء والحجّاب في تحديد هذه العلاقة وتحقيق التّقارب بين غرناطة وأرغون. وندرك من خلال الرّسالة الطّرق المستعملة لتليين المواقف وضمان الأنصار مثل الهدايا وغيرها، على كلٍّ تبدو العلائق بين غرناطة وأرغون طيّبة وعلى أحسن حال. وكلّ الظّروف سامحة بضمان سلم حقيقيّ للبلدين وصلح يسمح للتّجارة بالازدهار وللرّعايا بالتّنقّل في أمن واطمئنان ! !

---

[1] - حاجب صاحب غرناطة ووزيره الأوّل.

35°) ـ الوثيقة رقم 42

ـ التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة رقم 42 رسالة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون وجّهها يوسف الأوّل صاحب غرناطة بتاريخ 4 ذي الحجّة سنة 755هـ الموافق لـ 26 جويلية سنة 1335م حول بعض الانتهاكات للصّلح.

ـ نصّ الرّسالة

وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَكُمْ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ.

أَلْقَى إِلَيْنَا رَسُولُكُمْ رِمُونُ بيلُ الشِّكَايَاتِ التِي لأَهْلِ أَرْضِكُمْ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا قَضِيَّةُ الغَيْلُوطِ[1] الذِي أَخَذَهُ أَهْلُ الْمَرِيَةَ فِي العَامِ الفَارِطِ. وَقَدْ خَلُصَتْ قَضِيَّتُهُ، وَرُدَّ إِلَيْكُمْ بآلاتِهِ كُلِّهَا، وَكُلُّ مَا كَانَ فِيهِ مَنْ سِلَعٍ كَانَتْ قَدْ بِيعَتْ بِالْمَرِيَةَ، فَنُقِدَ لِصَاحِبِهَا ثَمَنُهَا بِدِيوَانِ الْمَرِيَةَ، وَتَخَلَّصَ مِنْهُ. وَقَضِيَّةُ ابْنِ الأَحْسَنِ صَاحِبِ الشِّيطِي[2] الذِي ذَكَرْتُمْ أَنَّهُ تَعَرَّضَ لِأَرْضِكُمْ فِي الصُّلْحِ فَقَدْ بُحِثَ عَنْ جَمِيعِ مَا أَوْصَلَهُ، وَذَلِكَ جَفْنَانِ اِثْنَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ اسْتَقَرَّ بِمَالِقَةَ وَالآخَرُ بِبِيرَةَ. وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُمَا الوَاصِلُونَ عَنْهُمَا. وَاسْتُقْصِيَ البَحْثُ عَنْ كُلِّ مَا أَوْصَلَهُ مِنَ النَّصَارَى، وَكَانُوا سَبْعَةَ عَشَرَ وُجِّهُوا كُلُّهُمْ بِجُمْلَتِهِمْ مَعَ رَسُولِكُمْ، وَهُمْ يَصِلُونَكُمْ. وَقَدْ قَبَضَهُ أَصْحَابُهُ الوَاصِلُونَ مِنْ قِبَلِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّايِسَ ابْنَ الأَحْسَنَ الذِي صَدَرَ عَنْهُ مَا ذَكَرْتُمْ كَانَ قَدْ كُتِبَ فِي شَأْنِهِ مَحَلُّ أَبِينَا

[1] ـ الغيلوط: مَركَبٌ بحريٌ خفيف قطلانيّ.

[2] ـ شيطي : مركب بحريّ سريع.

السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ الأَوْحَدِ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِـي الحَسَـنِ[1] أَيَّـدَهُ اللَّهُ، لِيُوَجِّهَ إِلَيْهِ هُوَ وَكُلُّ مَا وَصَـلَ بِـهِ. وَقَـدْ وُجِّـهَ إِلَيْـهِ هُـوَ وَالأَعْلاَجُ[2] الذِيـنَ أَوْصَلَهُـمْ فِـي حَرَكَتِـهِ الأَخِـيرَةِ وَجَمِيـعُ مَـا أَوْصَلَهُ فِيهَا. فَإِنْ كَانَ نَقَصكُمْ شَيْءٌ مِمَّـا أَخَـذَهُ فَـأَنْتُمْ تَكْتُبُـونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الـمَقَامِ[3] العَلِيِّ أَسْمَاهُ اللَّهُ، وَنَظَـرُهُ أَجْمَـلُ. وَمَـا أَوْجَبَ الإِبْطَاءَ بِتَوْجِيهِ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ إِلاَّ أَنَّـهُ قُـرِّرَ عِنْدَنَـا أَنَّ الأَعْلاَجَ الـمَذْكُورِينَ وَالسِّلَعَ مِنْ أَرْضِ الحَـرْبِ[4]، فَلَمَّا وَصَلَ كِتَـابُكُمْ صَدَّقْنَـاكُمْ فِـي ذَلِـكَ وَأَمَرْنَـا بِـرَدِّ جَمِيـعِ ذَلِـكَ كُلِّـهِ وَتَسْرِيحِهِ بِجُمْلَتِهِ تَصْدِيقًا لِقَوْلِكُمْ وَتَوْفِيَةً لِقَصْدِكُمْ. وَاللَّهُ يَصِـلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ. وَمُعَادُ السَّلاَمِ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الرَّابِعِ لِذِي الحَجَّةِ مُخْتَتَمِ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِـينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ أبو الحسن: سلطان فاس المرينيّ وصاحب تلمسان المتوفّى سنة 752 هـ.

(2) ـ الأعلاج: العُلُوج جمع عِلْج: عبد أبيض.

(3) ـ المقام العليّ: السّلطان أبا الحسن المرينيّ.

(4) ـ أرض الحرب: أرض العدوّ الذي لم يبرم معه صلح.

ـ التّحليل

بادَر يوسف الأوّل في هذه الرّسالة مباشرة من البداية بإعلام ألفونسو الرّابع بوصول رسوله رمون بيل وإطلاعه على شكايات أهل أرضه والانتهاكات الحادثة للصّلح منها الغليوط الذي أخذه أهل المرية في العام الفارط الذي أُرجع إلى أرغون بما فيه من سلع مع غرامة دفعت لتعويض ما فقد منها.

كما ذكّره بأنّه أذن بردّ الجفنيْن القطلانيّين اللّذيْن اختطفهما ابن الأحسن صاحب الشّيطي الأندلسيّ، وكذلك بتسريح سبعة عشر نصرانيًا مع سلعهم كانوا على الجفنين.

وبيّن في هذه الرّسالة موقفه ممّا قام به الرّايس ابن الأحسن من قَطع وأسر للنّصارى زمن الصّلح. فقام بردّ السّبعة عشر عِلْجًا الذين تمّ اختطافهم وبمكاتبة والده الخليفة المرينيّ أبي الحسن سلطان فاس بالبحث عن الرّايس أبي الحسن الذي التجأ إلى مالقة وتوجيهه بكلّ ما أخذه في حركة القطع الأخيرة.

وذَكّر في الآخر أنّه وإن كان عمل ابن الأحسن تمّ في أرض الحرب[1] حسبما قرّره حضرة السّلطان الخليفة أبو الحسن المرينيّ

---

(1) ـ أرض الحرب: أرض العدوّ الغير داخلة في صُلح.

فلقد استجاب لطلب ألفونسو الرّابع وأذن بتسريح جُملةٍ من أُخِـذُوا مع رَدِّ سلعهم وغيرها إرضاء له وتصديقا لقوله ووفاء للصّداقة القائمة والـمصالحة المعلنة.

ـ التّعليق

نلاحظ القائمة الطّويلة لشكايات ملك أرغون والعدد الكبـير مـن النّصارى الواقعين في الأسر، وحرص صاحب غرناطة علـى إرضائـه والاستجابة لطلباته الخاصّة بتسريح الأسرى وردّ سلعهم.

ونستنتج أنّ ضحايا القطع هم غالبا من التّجّار الذيـن يطمئنّـون إلى عقود الصّلح ويُبادرون بالسّفر والمخاطرة للاتّجار والرّبح.

ونسـتخلص الـدّور الـذي كـان للدّولـة المرينيّـة في هـذه العلاقـة القائمة بين أرغون وغرناطة والمساندة الـتي كـانت تقدّمهـا لغرناطـة ولمسـلمي الأندلـس عامّـة، ممّـا وفّـر لهـا القوّة والطّمأنينـة وحرّيّـة التّصرّف والمبادرة مع أرغون.

غـير أنّ هـذا الوضـع لم يكـن ممكنـا إلاّ مـع الخلفـاء المرينيّـين الأقوياء العظماء مثـل أبـي الحسـن ووالـده أبـي سـعيد وجـدِّه أبـي يعقوب يوسف.

°36) - الوثيقة رقم 34

- التّقديم

هذا كتاب من الحاجب عليّ بن كماشة[1] بغرناطة إلى الأفنت دون بترو بن ألفونسو الرّابع ملك أرغون حول المفاوضات الجارية بتاريخ الخامس لشهر ذي الحجّة سنة 735هـ الموافق لـ29 جويلية سنة 1335م.

[1] - هذا الحاجب كان قائدا ووزيرا وسفيرا قام بسفارات عديدة لدى التّاج الأرغونيّ ومفاوضات في مناسبات متعدّدة.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ الأَفَنْتُ[1] الكَبِيرُ الأَعَزُّ الـمُرَفَّعُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ دُنْ بِتْرَهْ، أَدَامَ اللَّهُ لَنَا أَيَّامَكُمْ وَوَصَلَ هِدَايَتَكُمْ وَإِكْرَامَكُمْ يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ مُقَبِّلُ يَدَيْكُمْ وَخَدِيمُكُمْ عَلِيُّ بْنُ كَمَاشَةَ مِنْ بَابِ مَوْلاَنَا أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ، وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ بِبَرَكَةِ أَيَّامِ مَوْلاَنَا أَدَامَهَا اللَّهُ إلاَّ الخَيْرُ وَاليُسْرُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا.

وَالـذِي وَجَبَ بِهِ تَعْرِيفُكُمْ أَنَّهُ وَصَلَ خَدِيمُكُمْ رِمُونُ بُويلُ[2]، وَقَضَى رِسَالَتَهُ كَمَا يَجِبُ وَعَمَلَ أَعْمَالَ الفُرْسَانِ الجِيَادِ، وَأَدْخَلَنِي فِي مَحَبَّتِكُمْ وَخِدْمَتِكُمْ. وَأَنَا يَا مَوْلاَيَ عَمِلْتُ فِي خِدْمَتِكُمْ مَا يُعَرِّفُكُمْ بِهِ خَدِيمُكُمْ رِمُونُ بُويلُ. وَتَكَلَّمَ أَيْضًا رِمُونُ بُويلُ مَعَ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ فِي حَقِّ صُحْبَتِكُمْ مَعَ مَوْلاَنَا نَصَرَهُ اللَّهُ وَفِي حَقٍّ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الدَّارُ وَهَذِهِ الدَّارُ وَاحِدَةً، فَتَرَى يَصِلُكُمْ كِتَابُ مِنْ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ وَهُوَ كِتَابُ مَحَبَّةٍ وَصُحْبَةٍ وَتَرَى يَصِلُكُمْ يَا مَوْلاَيَ قَوْسُ افْرَنْجِيٌّ. وَكَذَلِكَ

---

(1) ـ الابن دون بترو. ابن الملك ألفونسو Al Infante D. Pedro خَلَفَ أباه ألفونسوو سنة 1335 م الموافق لسنة 735 هـ.

(2) ـ رمون بيل : السّفير المفاوض القطلانيّ المعروف كلّفه ملك أرغون بمهمّات عديدة بغرناطة.

يَا مَوْلاَيَ نُقَبِّلُ بيَدِ مَوْلاَيَ الأَفَنْتَ أَخِيكُمْ دُنْ جيـ[ـقْـ]ـمَه[1]. وَكَذَلِكَ يَصِلُ لَهُ قَوْسٌ إِفْرَنْجِيٌّ. وَذَلِـكَ يَـا مَـوْلاَيَ فِـي حَقِّكُـمْ وَمُعَادُ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَهِدَايَتُهُ.

وَكُتِبَ بِتَارِيخِ ذِي [الـ]ـحَجَّةَ مِـنْ عَـامِ خَمْسَـةٍ وَثَلاَثِـينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

---

(1) - زيد ما بين معقفين لإتمام الاسم العلم.

ـ التّحليل

هذه رسالة من الفارس الحاجب ابن كماشة لابن ملك أرغون الأفنت[1] دون بترو يعلمه فيها بوصول رسوله رمون بيل الذي كان قام بالمفاوضات الخاصّة بعقد الصّلح وقضى على أحسن وجه الرّسالة التي كُلّف بها وكان تصرّفَ تصرُّف الفرسان الجياد بما أرضى صاحب غرناطة وعمّق مودّته للأفنت بترو. وأخبره أنّه وجّه له ولأخيه الأفنت جاقمو قوسين إفرنجيّيْن إكراما لهما وتأكيدا لمودّته لهما.

ـ التّعليق

تؤكّد هذه المُراسلة بين الحاجب ابن كماشة والأفنت بترو ـ الملك المنتظر لأرغون ـ عُمق العلاقة القائمة بينهما والمكانة المتميّزة التي يحرص ابن كماشة على أن تكون له لدى الأفنت بترو.

وأمّا الهدايا فهي ولا شكّ ردّ على الهدايا الثّمينة التي كان بعث بها الملك ألفونسو ليوسف الأوّل ووزيره ورجال بلاطه.

فنرى أنّ مثل هذه المساعي تترك أثرها ومفعولها لدى رجالات الدّولة سواء بغرناطة أو أرغون.

---

[1] ـ دون بترو. وليّ عهد ألفونسو الرّابع وبعد شهر هلك وخلفه ابنه بترو الرّابع.

37°) ـ الوثيقة رقم 36 (غير مؤرّخة)[1]

ـ التّقديم

هذه رسالة من سلطان ابن عثمان بن إدريس بن أبي العلاء وزير صاحب غرناطة بعث بها في العاشر من ذي الحجّة سنة 735هـ الموافق لسنة 1335م إلى ملك أرغون في أمر شخصيّ ! !

(1) ـ يبدو أنّ هذا الكتاب أُرسل في السّداسية الثّانية سنة 1335 م الموافق لسنة 735هـ أيّام الملك ألفونسو الرّابع الذي هلك في هذه السّنة وخلفه ابنه بترو الرّابع في مستهلّ سنة 1336 م الموافق لسنة 736 هـ.

ـ نصّ الرّسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيــمِ. [وَ]صَلَّـى[1] اللَّـهُ عَلَـى جَمِيـعِ أَنبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

إِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ الـمَلِكِ الأَقْدَمِ الأَفْخَمِ الأَضْخَمِ الأَسْمَى الرَّفِيعِ الأَعْلَى دُونْ أَلْفُنْشُ[2] مِلِكُ أَرَغُونَ، وَصَـلَ اللَّـهُ تَعَالَى كَرَامَتَهُ وَإِعَانَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَيُسْرِهِ مِنْ صَالِحِ العَمَلِ لِمَا يُحِبُّـهُ وَيَرْضَاهُ. سَلاَمٌ كَرِيمٌ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ مِنْ مُعَظِّمِ قَدْرِكُمْ وَمُوفِي مَا يَجِـبُ مِـنْ بِرِّكُـمْ وَشُكْرِكُمْ، الكَثِيرِ الثَّنَـاءِ عَلَـى حَضْرَتِكُـمُ السُّلْطَانِيَّةِ الـمُتَشَيِّعِ فِي جِهَتِكُمْ بِمَاضِي العَزِيمَةِ وَكَرِيمِ النِّيَّـةِ، [الـ]ـسُّلْطَانِ[3] بْنِ عُثْمَانَ مِنْ غَرْنَاطَةَ حَرَسَــهَا اللَّـهُ. وَجَـانِبُكُمُ السُّلْطَانِيُّ مَقْصُودٌ بِكَرِيمِ الثَّنَـاءِ، وَمَحْمُـودٌ بِمَـا يَجِـبُ لَـهُ مِـنْ جَزِيلِ الحَمْدِ وَجَمِيلِ الاِعْتِنَاءِ. وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكُمْ.

وَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ السُّلْطَانِيُّ وَقَابَلْنَا مُضَمَّنَهُ بِجَزِيلِ الشُّـكْرِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، وَأَعْظَمْنَا جَانِبَهُ وَوَفَّيْنَا حَقَّـهُ وَوَاجِبَـهُ، وَوَقَفْنَـا

---

(1) ـ زيد ما بين معقّفين ليستقيم الكلام.

(2) ـ دون ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

(3) ـ زيد ما بين معقّفين ليستقيم الكلام.

عَلَى مَا أَنْعَــمَ بِــهِ كَرِيـمُ سُـلْطَانِكُمْ. وَقَـدْ اجْتَمَعْنَـا مَـعَ رَسُـول حَضْرَتِكُمْ سَلَّمَهُ اللَّهُ، مُوصِلِ هَذَا إِلَى حَضْرَتِكُمْ. وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ عَنَّا بَيْنَ يَدَيْ جَلاَلِكُمْ السُّلْطَانِيِّ مُشَافَهَةً. وَلاَ قَصَدْنَـا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ أَمْرُكُمْ الكَرِيمُ يَصِلُنَا بِعَزِيمَةٍ أَلاَّ نَخَافَ مَعَهُ رَدًّا وَلاَ مَا عَسَى أَنْ يَتَعَذَّرَ مَعَهُ غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ وَأَنْ نَمْشِي فِي جَمِيعِ البِلاَدِ الرُّومِيَّةِ بِعَلاَمِ مَنْشُور[1]، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ بِحَوْلِ اللَّهِ. وَلِجَلاَلِكُمْ عَلَيْنَا فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ إِخْلاَصُ النِّيَّةِ فِـي خِدْمَتِكُـمْ وَالاِنْقِطَـاعِ الصَّرِيـحِ إِلَـى جِهَتِكُـمْ. وَاللَّـهُ عَـزَّ وَجَــلَّ يُجَازِي بِالرِّضَا أَفْعَالَكُمْ وَيُسْنِي فِي مَا مَرْضَاتِهِ آمَالَكُمْ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا. وَالرَّحْمَةُ وَالبَرَكَةُ.

(1) - يلتمس ظهيرا ملكيًا يسمح له بالتّنقّل ببلاد وأرغون أبـي تأشيرة رسميّـة بلغـة اليوم.

ـ التّحليل

أبدى ابن الوزير السّابق عثمان بن إدريس بن أبي العلاء صديق أرغون تشكّراته لألفونسو الرّابع ووافر تقديره له واستعداده لخدمته. وطلب منه تمكينه من علامة خاصّة أو كتاب عن طريق رسوله رمون بيل ليمكن له التّنقّل في بلاده الرّوميّة ــ أرغون ــ بكامل الحرّيّة. ووعده بردّ هذا الجميل استعداده لخدمته والانقطاع إلى جهته.

ـ التّعليق

إنّ هذا الوزير الغرناطيّ وابن الوزير السّابق والصّديق الحميم لملك أرغون يبالغ في إطراء ألفونسو الرّابع والتّذلّل له مثل ما كان فعل أبوه في رسالة سابقة[1] مع الملك جاقمو الثّاني. ويبدو في هذه الرّسالة خادما مطيعا وذليلا لسيّده ملك أرغون.

ونتساءل هل كان السّلطان يوسف الأوّل على علم بما كان يفعله هذا الوزير وهل هو منقطع لخدمة مولاه صاحب غرناطة أو منقطع لخدمة ملك أرغون والسّهر على شؤونه بهذه المملكة الإسلاميّة الأندلسيّة ؟؟

---

(1) ـ أُنظر الوثيقة رقم 17.

38°) - الوثيقة رقم 38

- التّقديم

هذه رسالة من عامر بن عثمان بغرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 11 ذي الحجّة سنة 735هـ الموافق لـ2 أوت سنة 1335م حول علاقته بملك أرغون.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الأَعْلَى الأَشْهَرُ الأَوْفَى الأَظْهَرُ الأَكْبَرُ الأَسْمَى الأَصْعَدُ الأَرْقَى دُونْ أَلْفُنْشُو[1] سُلْطَانُ أَرْغُونَ وَطَرْطُوشَةَ[2] وَبَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَأَعَزَّهُ بِنَيْلِ رِضَاهُ، مُعَظِّمُ سُلْطَانَتِهِ الكَبِيرَةِ العَارِفُ بِقَدْرِ بَيْتَتِهِ الشَّهِيرَةِ عَامِرُ بنُ عُثْمَانَ بنُ إِدْرِيسَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الحَقِّ. سَلاَمٌ كَرِيمٌ يُرَاجِعُ سَلاَمَ سَلْطَنَتِكُمْ العَلِيَّةِ. مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ. وَلِلَّهِ الحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا وَعَنِ الذِي يَجِبُ مِنْ تَعْظِيمِ سُلْطَانِكُمْ وَشُكْرِ وَفَائِكُمْ وَإِحْسَانِكُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَى مَآثِرِكُمْ الكَرِيمِ وَخِلاَلِكُمْ. وَاللَّهُ يُسْعِدُكُمْ بِمَنِّهِ.

وَإِلَى هَذَا أَسْعَدَكُمْ اللَّهُ وَأَعَزَّكُمْ فَإِنَّ خَدِيمَكُمْ الفَارِسَ الـمُكَرَّمَ الـمَبْرُورَ الـمَشْكُورَ دُونَ رَمُونَ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَصَلَ لِهَذِهِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ، وَأَلْقَى إِلَيْنَا مَا عِنْدَكُمْ لِجِهَتِنَا مِنَ الـمَبَرَّةِ وَالإِكْرَامِ وَالرَّعْيِ وَالاحْتِرَامِ، وَقَرَّرَ خُلُوصَكُمْ فِي الوِدَادِ وَمَا

---

[1] - دون ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

[2] - صارت طرطوشة منذ سنة 734هـ تابعة لأرغون.

لَدَيْكُمْ مِنْ جَمِيلِ الاعْتِقَادِ، فَشَكَرْنَا بَيْتَكُمْ الكَبِيرَةَ وَأَثْنَيْنَا عَلَى مآثِركُمْ الشَّهِيرَةِ، وَعَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الاعْتِقَادَ الجَمِيلَ لاَ يَصْدُرُ إلاَّ عَنْ مَنْصِبِكُمْ الكَبِيرِ وَمَجْدِكُمْ الأَثِيلِ. وَهَذَا الاعْتِقَادُ وَخُلُوصُ الوِدَادِ الذِي نَحْنُ نُبْرِمُ عَقْدَهُ وَنُؤَكِّدُ عَهْدَهُ لَيْسَ بِحَادِثٍ الآنَ، بَلْ هُوَ مُتَوَارَثٌ عَنْ سَلَفِنَا وَسَلَفِكُمْ بَلْ [لَمْ][1] يَزَلْ آبَاؤُنَا وَأَسْلاَفُنَا رَحِمَهُمْ اللَّهُ يَعُدُّونَ مَحَلَّكُمْ الكَبِيرَ مِنْ أَوْثَقِ الأَرْكَانِ وَيَلْجَؤُونَ إلَيْهِ عِنْدَ حَوَادِثِ الأَزْمَانِ، وَلَمْ يَصْدُرْ لَهُمْ مِنْ ذَلِكُمْ المَحَلِّ العَلِيِّ إلاَّ الوَفَاءُ المَشْهُورُ وَالكَرَمُ المَأْثُورُ. وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَجْرِيَ عَلَى جَرْيِهِمْ وَأَنْ نُرَبِّي عَلَى فِعْلِكُمْ. وَقَدْ أَلْقَيْنَا لِخَدِيمِكُمْ المُكَرَّمِ الفَارِسِ المُعَظَّمِ دُونْ رَمُونَ مَا عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ[2] وَمَا لَدَيْنَا مِنَ الشُّكْرِ لِوَفَايِكُمْ وَالثَّنَاء عَلَى حَسَبِكُمْ البَاهِرِ وَسَنَائِكُمْ، وَقَرَّرْنَا لَدَيْهِ وِدَّنَا وَجَمِيلَ قَصْدِنَا، فَصَدِّقُوهُ فِيمَا يُلْقِيهِ إلَيْكُمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُسْعِدُكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُعِزُّكُمْ بِنَيْلِ رِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ الكَرِيمُ الطَّيِّبُ العَمِيمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَ سُلْطَانِكُمْ.

كُتِبَ فِي الحَادِي عَشَرَ لِذِي الحَجَّةَ مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

(1) - زيد ما بين معقّفين ليستقيم الكلام.

(2) - أي خدمة ملك أرغون وتأكيد انقطاعه إلى جهته.

ـ التّحليل

هذه الرّسالة من ابن عثمان بن إدريس يؤكّد فيها صاحبها صداقته الموروثة عن آبائه للملك أرغون ووصول السّفير رمون بيل واستماعه لرسالة الملك الشّفاهيّة وتحميله إياه ردّه الشّفاهيّ المؤكّد لمودّته وحسن علاقته بالملك ألفونسو الرّابع وخلوص ودّه له. وطلب من ألفونسو الرّابع تصديق الرّسول رمون في كلّ ما يقوله عنه ويُلقيه إليه حول وفائه وحسن قصده.

ـ التّعليق

إنّ هذه الرّسالة تؤكّد لنا كسابقتها العلاقة المشبوهة القائمة بين هذا الوزير وملك أرغون واستعداده لخدمته والدّفاع عن مصلحته وقضاء ما له من حوائج بغرناطة.

ويعتبر مثل هذا السّلوك خيانة للبلد وتآمرا عليه وتجسّسا لفائدة دولة منافسة معادية ! فبمثل هذا التّصرّف يتحدّد مصير البلد ويكون لاحقا سقوط غرناطة وأفول نجم الإسلام والمسلمين بها ! !

39°) - الوثيقة رقم 39

- التّقديم

هذا كتاب من عليّ بن يوسف بن كماشة قائد السّلطان يوسف الأوّل ورسوله إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 15 ذي الحجّة سنة 735هـ الموافق لـ5 أوت سنة 1335م حول المفاوضات الجارية.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُكَرَّمُ المُعَظَّمُ المُرَفَّعُ المَبْرُورُ الأَوْفَى المَشْكُورُ الشَّهيرُ الكَبيرُ الخَطِيرُ دُونْ أَلْفُنْشَه[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ إعْزَازَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، مُعَظِّمُ جَانِبِهِ وَمُجِلُّ سُلْطَانِهِ البَاذِلُ فِي خِدْمَتِهِ جُهْدَ إمْكَانِهِ الشَّاكِرُ لِنِعْمَتِهِ العَارِفُ بِسُمُوِّ مَمْلَكَتِهِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ كَمَاشَةَ[2]. كَتَبَهُ إلَيْكُمْ مِنْ بَابِ مَوْلاَنَا أَيَّدَهُ اللَّهُ بحَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ بِنِعْمَةِ مَوْلاَيَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَتَمُّ وَاليُسْرُ الأَعَمُّ، وَعَنِ التَّعْظِيمِ لِمَمْلَكَتِكُمْ وَالمُسَارَعَةِ لِخِدْمَتِكُمْ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَتِكُمْ.

وَإلَى هَذَا، فَإنَّهُ وَصَلَ صُحْبَةَ مُعَظِّمِ مُلْكِكُمْ رَسُولُكُمْ وَخَدِيمُكُمْ المُكَرَّمُ رِمُونُ بيلُ[3]، إلَى حَضْرَةِ مَوْلاَنَا أَيَّدَهُ اللَّهُ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَدَّى رِسَالَتَهُ وَأَظْهَرَ مِنْ حُسْنِ آدَابِهِ

(1) ـ دون ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

(2) ـ علي بن يوسف بن كماشة: القايد الوزير المتنقّل والسّفير لدى أرغون لصاحب غرناطة.

(3) ـ رمون بيل: التّاجر القطلانيّ سفير ملك أرغون ورسوله إلى صاحب غرناطة.

وَمَقَاصِدِهِ فِي خِدْمَتِكُمْ مَا هُوَ اللاَّئِقُ بِأَمْثَالِهِ مِمَّنْ تَرَبَّى فِي دَارِكُمْ وَنَشَأَ فِي خُدَّامِكُمْ. وَاسْتَحْسَنَ مَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ قَصْدَهُ فِي ذَلِكَ وَجَدَّدَ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَصُحْبَتِكُمْ مَا تَقِفُونَ عَلَى شَرْحِهِ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ فِيهِ مِنَ المَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ، وَشَكَرَهَا لَكُمْ أَتَمَّ الشُّكْرِ. وَعَمِلْتُ أَيْضًا فِي خِدْمَةِ وَلَدِكُمْ مَوْلاَيَ الأَفَانْتَ المُعَظَّمِ دُونَ بطْرَهْ[1] الكَبِيرِ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ مَا يَجِبُ. وَقَدْ كَتَبَ لَهُ مَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ كِتَابًا بِالصُّحْبَةِ وَالمَوَدَّةِ. وَمِنْ خَدِيمِكُمْ رمُونَ المَذْكُورِ تَتَعَرَّفُونَ مَا عَمِلْتُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمِنْهُ تَتَعَرَّفُونَ أَيْضًا جَمِيعَ الأَخْبَارِ وَكَرَامَةَ مَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللَّهُ لَهُ وَعِنَايَتَهُ بِهِ.

وَمِمَّا أُعَرِّفُ بِهِ سُلْطَانَكُمْ أَنِّي طَلَبْتُ مِنْ إِنْعَامِكُمْ كُسْوَةً مِنْ لِبَاسِكُمْ، وَأَخْبَرَنِي الزَّعِيمُ المُكَرَّمُ بَرْنَاطُ شَرِيَانُ[2] أَنَّكُمْ أَصْدَرْتُمْ أَمْرَكُمْ بِذَلِكَ وَأَنْعَمْتُمْ بِهِ. وَمُعَظِّمُ جَانِبِكُمْ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ. وَأَخْبَرَنِي أَيْضًا أَنَّكُمْ أَمَرْتُمْ لِي بِبَازٍ[3]، وَأَنَا أَنْتَظِرُ ذَلِكَ أَيْضًا وَأُذَكِّرُكُمْ إِلَيْهِ.

---

(1) ـ الأفانت ذون بطره: ابن الملك ألفونسو الرّابع الذي خلف أباه سنة 1336م وأصبح بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ برناط شريان: رسول ملك أرغون إلى غرناطة وتاجر كبير وصديق ألفونسو الرّابع.

(3) ـ البازُ: الطّائر الجارح المستعمل للصّيد.

وَيَصِلُكُمْ يَا مَوْلاَيَ القَوْسَانِ اللَّذَانِ قُلْتُ لَكُمْ عَنْهُمَا صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ رمُونَ بيلَ المَذْكُورِ. وَمَا أَنَا إلاَّ خَدِيمُكُمْ وَمُقِرٌّ بِنِعْمَتِكُمْ. فَمَا[1] كَانَ لِجَانِبِ سُلْطَانِكُمْ أَعْمَلُ فِيهِ مَا يَجِبُ عَلَيَّ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ إعْزَازَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَ مَوْلاَيَ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ الخَامِسِ عَشَرَ لِذِي الحَجَّةِ مُخْتَتَمِ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

(1) ـ في الأصل: فَمَا فَإِنَّ = [فما كان].

ـ التّحليل

كان القائد عليّ بن يوسف بن كماشة قـام بالسّـفارة لـدى ملـك أرغون بترو[1] الأكبر مؤسّس دولة أرغون وابنه جاقمو الثّاني وكذلـك لدى الحفيد ألفونسو الرّابع ولقد أبدى من الكياسة والإخلاص لمولاه صاحب غرناطة ما جعله يواصل هذه المهمّة ويُحرز علـى ثقـة ملـك أرغون ألفونسو الرّابع وأبيه جاقمو من قبل.

وقد قام في هذه الرّسالة بإعلام الملك بوصول رسـوله رمـون بيـل إلى مولاه السّلطان. وقـد التقـى بـه وأدّى رسـالته علـى أحـن وجـه بأدب وكياسة وحسن سـلوك وتصـرّف، الأمـر الـذي نـال إعجـاب السّلطان صاحب غرناطة. وكان هذا الرّسول شاهدا على ما قـام بـه ابن كماشة لفائدة أرغون ولدعم روابط الودّ القائمة بين الملكين.

ورجا ابن كماشة في الآخر مـن ألفونسـو الرّابـع أن يُرسـل إليـه الكُسوة الإفرنجيّة التي وعده بها والباز الذي كـان أمـر بـه حسـبما أخبره الزّعيم خادمه برناط شريان وشكره على هذا الإنعـام وأخـبره أنه وجّه إليه القوسين اللّذيْن كان وعد بهما الملـك ببرشـلونة وذلـك مع السّفير ريمون بيل.

---

(1) ـ بترو الأكبر: جدّ ألفونسو الرّابع ووالد جاقمو الثّاني.

وعبّر في الختام عن استعداده لمواصلة خدمة الملك وقضاء حوائجه بما يسرّه ويسعده.

ـ التّعليق

نرى عمق العلاقة القائمة بين ملك أرغون ووزراء صاحب غرناطة ورُسُله. وصارت العلاقات شخصيّة وحميميّة تسمح بتبادل الهدايا والأسرار وبالتّالي تبادل الخدمات وقضاء الحوائج الخاصّة والعامّة إلى درجة أنّه يحقّ لطرف ثالث أن يشكّ في مصداقيّة هذه العلاقات وسلامتها وأن يعتبرها مشبوهة تخدم طرفا على حساب طرف آخر، بل تنال من غرناطة وما تخطّطه لضمان هيبتها وقوّتها وسلامة أهلها وبلادها. فيبدو أنّ ما لم يستطع ملوك أرغون تحقيقه بالقوّة والحرب والقطع، خطّطوا للوصول إليه عن طريق مثل هذه العلاقات المريبة !!

40°) ـ الوثيقة رقم 37

ـ التّقديم

هذا كتاب من إبراهيم بن عثمان بن إدريس بن أبي العلاء وزيــر ملك غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغـون بتـاريخ 16 ذي الحجّـة سنة 735هـ الموافق لـ7 أوت سنة 1335م حول مرض ألفونسو !

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الكَبِيرُ الشَّهِيرُ الأَوْحَدُ الأَوْفَى الأَطْهَرُ الأَظْهَرُ الأَسْنَى الأَمْجَدُ الأَنْجَدُ الأَسْمَى الأَحْفَلُ الأَفْضَلُ الأَسْعَدُ الأَصْعَدُ الأَحْظَى الأَكْبَرُ الأَشْهَرُ الـمُوَقَّرُ السَّعِيدُ الفَاضِلُ ذَلِكَ السُّلْطَانُ الكَبِيرُ دُونْ أَلْفُنْشُو[1] ابْنُ السُّلْطَان الـمُعَظَّمِ الأَكْمَلِ الأَفْضَلِ الأَشْهَرِ الأَكْبَرِ الأَسْنَى الأَطْهَرِ الأَظْهَرِ الأَسْمَى الهُمَامِ الأَوْحَدِ الـمَاجِدِ النَّاجِدِ السَّعِيدِ الفَاضِلِ الحَافِلِ السُّلْطَان الـمُعَظَّمِ دُونْ جيـ[قـ]ـمَى[2] أَكْرَمَهُمْ اللَّـهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ. مِنْ مُحِبِّكُمْ البَـ[ـا]رِّ بِكُمْ الـمُثْنِي عَلَى سِيَرِكُمْ العَارِفِ بِكَبِيرِ حَقِّكُمْ الدَّاعِـي إِلَى اللَّـهِ فِـي دَوَامِ بَقَائِكُمْ، مُحِبُّكُمْ إِبْرَاهِيمُ[3] بنُ عُثْمَانَ بنُ أَبِي العُلاَ[ء]، مِنَ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ غَرْنَاطَةَ مَهَّدَهَا اللَّهُ.

وَبَعْدُ، أَبْقَى اللَّهُ أَيَّامَكُمْ، إِنَّهُ بَلَغَنِي مَرَضُكُمْ، وَعَزَّ عَلَيَّ ذَلِكَ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى. وَعَلِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ خَفَّ بِكُمْ ذَلِكَ الـمَرَضُ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى صِحَّتِكُمْ. وَالـمُرَادُ مِنْ جَلاَلِكُمْ أَنْ

---

(1) ـ دون ألفونسو الرّابع ابن جاقمو الثّاني.

(2) ـ هو جاقمو الثّاني ابن بترو الأكبر مؤسّس مملكة أرغون.

(3) ـ وزير صاحب غرناطة من عائلة أبي العلاء بن عبد الحقّ.

تَكُونَ الـــمُرَاعَاةُ مُتَدَاومَـةً بَيْنِـي وَبَيْنَكُـمْ مُتَوَالِيَـةً عَلَـى الـدَّوَامِ وَالاسْتِمْرَارِ، كَمَا كَانَتْ بَيْنَ السُّلْطَانِ[1] الـــمُعَظَّمِ وَالِدِكُـمْ وَبَيْـنَ وَالِدِي. فَأَنَا أَرْغَبُ مِنْ سَرَاوَتِكُمْ[2] أَنْ نَكُونَ تَحْتَ حِمَائِكُمْ[3].

وَبَلَغَنِـي مَـوْتُ الزَّعِيـمِ الـــمُكَرَّمِ الأَسْـنَى الصَّـاحِبِ الأَوَدِّ الأَخْلَص الصَّفِيِّ دُونْ جيـ[ـقْـ]ـمَى[4]. وَمَـا لَحِقَنِـي عَلَيْـهِ مِـنَ الغَيْرِ إلاَّ مِثْلُ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَانَ لِي الصَّاحِبَ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُدِيمُ أَيَّامَكُمْ وَيُطِيلُ بَقَـاءَكُمْ. وَالسَّـلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ فِي يَوْمِ الأَحَدِ السَّادِسِ عَشَرَ لِشَهْرِ ذِي الحَجَّةَ عَـامَ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

---

(1) ـ السّلطان المعظّم هو جاقمو الثّاني.يد ما بين معقّفين ليستقيم الكلام.

(2) ـ سراوتكم: سُمُوكم.

(3) ـ في الأصل: حمائكم : حمايتكم.

(4) ـ دون جيقمى: هو شقيق ألفونسو الرّابع دون جاقمو وقد توفّى والوزير إبراهمي بن عثمان نراه يقدّم له التّعزية فيه.

ـ التّحليل

هذه رسالة أخرى تخصّ العلاقات الشّخصيّة القائمة بين التّاج الأرغونيّ ووزراء صاحب غرناطة وخاصّة عثمان بن إدريس وجّهها أحد أبناء هذا الوزير السّابق إبراهيم بن عثمان بن إدريس بن أبي العلاء إلى ملك أرغون ألفونسو الرّابع لمواساته لما أصابه من مرض خطير كاد يقضي عليه ويعزّيه في موت أخيه جاقمو الصّاحب الشّخصيّ لهذا الوزير إبراهيم بن عثمان. فهو يقول في رسالته: "إنَّهُ كَانَ لِي الصَّاحِبَ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ".

ـ التّعليق

تبدو العلاقات بين أسرة أبي العُلاء وملوك أرغون حقيقة ذاتيّة وعميقة شخصيّة منذ عهد الأجداد الأُوَل.

فكأنّ هذه الأسرة وضعت نفسها على ذمّة ملوك أرغون تخدمهم بصدق وجدّ. وكأنّ مهمّتهم في بلاط غرناطة لا تتمّ إلاّ بمباركة التّاج الأراغونيّ وخدمته وقضاء شؤونه.

ونرى هذا الوزير يطلب صراحة أن يدخل في حماية الملك ألفونسو الرّابع فيقول له: "فَأَنَا أَرْغَبُ مِنْ سَرَاوَتِكُمْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ حِمَائِكُمْ" !؟

ونلاحظ أنّ هذه العلاقة الشّخصيّة الذّاتيّة لم ينفرد بها أحد من أبناء العائلة بل كان جميعهم منشغلا بالتّعبير عن ولائه للتّاج الأراغونيّ وهم: الجدّ إدريس بن أبي العلاء والابن عثمان وابناه سلطان وإبراهيم وكذلك عامر بن عثمان. ذلك هو نوع الحجّاب والوزراء الذين كانوا يعملون ببلاط غرناطة وموكول إليهم مهمّة الدّفاع عن مصالحها !! فهذا الوضع يساعد على فهم الخطر الذي كان محدقا بها دوما !

°41) ـ الوثيقة رقم 43

ـ التّقديم

هذه رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 3 محرّم سنة 736هـ الموافق لـ23 أوت سنة 1335م حول أسير مسلم.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الأَجَلُّ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الشَّهِيرُ الأَخْلَصُ دُونْ أَلْفُنْشَه[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَعَزَّهُ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ جَانِبِهِ الـمُثْنِي فِي الوَفَاء عَلَى مَذَاهِبِهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الشَّاكِرُ لِغَرَضِهِ فِي الصُّحْبَةِ وَقَصْدِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] بْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنُ فَرَجِ بْنُ نَصْرِ، كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ بِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الذِي أَوْضَحَ بُرْهَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُ سُلْطَانِكُمْ مُكَرَّمٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاء مَعْلُومٌ مَشْكُورٌ وَقَدْرُكُمْ فِي الـمُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ القَصَّارَ مِنْ أَهْلِ الْـمَرِيَةَ أُخِذَ أَسِيرًا فِي الصُّلْحِ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. وَمُوصِلُ هَذَا إِلَيْكُمْ تَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ. فَالقَصْدُ مِنْكُمْ أَنْ تَأْمُرُوا بِإِعَانَتِهِ عَلَى الوُصُولِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ

(1) ـ دون ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ الأمير عبد الله يوسف: السّلطان يوسف الأوّل صاحب غرناطة.

ذَكَرَ أَنَّهُ يَعْرِفُ حَيْثُ اسْتَقَرَّ مِنْ بِلاَدِكُمْ، فَعَسَى أَنْ تَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ وَفَائِكُمْ وَقَصْدِكُمْ الحَقَّ. وَنَحْنُ نَشْكُرُكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَتَمَّ الشُّكْرِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الأَرْبَعَاء الثَّالِثِ لِشَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ فَاتِحِ عَامِ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

طلب يوسف الأوّل صاحب غرناطة من ألفونسو الرّابع العمل على أن يتمّ تسريح الأسير المسلم من أهل المرية، إبراهيم القصّار الذي أُخذ في عهد الصّلح وأن يقع توجيهه إلى غرناطة مع حامل الرّسالة فيكون ذلك وفاء منه للصّلح وتأكيدا لمكانته وسمعته بين الملوك !

ـ التّعليق

كان القطع وأسر الأهالي والتّجّار يمثّلان الانتهاك الدّائم لعقود الصّلح والسّمة السّائدة للظّروف المتّصلة بها وطلب تسريح هؤلاء الأسرى المأخوذين زمن السّلم هو الموضوع المتكرّر لطلبات الملوك.

ونلاحظ أنّ مرسى المرية كان يتعرّض دوما لقطع القراصنة وغاراتهم وكثيرا ما كان الأسرى ينتمون لأهلها أو للتجّار المتوقّفين بها وكانت محاولات النّصارى القطلانيّين والقشتاليّين متواصلة للاستيلاء على المرية كما كان تمّ الاستيلاء على بلنسيّة وإشبيلية ومرسية فالقادسيّة وأليكنت لذلك كانت المرية تتعرّض دوما لهجومات القراصنة وإغاراتهم بتحريض من الملوك النّصارى وأحيانا تلقائيّا ومباشرة لثراء هذا المرسى الهامّ وحركيّته !

42°) ـ الوثيقة رقم 44

ـ التّقديم

تتمثّل هذه الوثيقة في رسالة موجّهة بتاريخ 29 جمادى الثّانية سنة 736هـ الموافق لـ 11 فيفري سنة 1336م من يوسف الأوّل ملك غرناطة إلى بطرو الرّابع ملك أرغون الجديد.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَكْرَمُ المُرَفَّعُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ مُكَرِّمُ جَانِبِهِ وَشَاكِرُ مَقَاصِدِهِ فِي الصُّحْبَةِ وَمَذَاهِبِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا لَكُمْ فِي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مِنَ القَدْرِ المَشْهُورِ وَالوَفَاءِ المَشْكُورِ، وَنُقَابِلُ جَانِبَكُمْ مِنَ الكَرَامَةِ بِالحَظِّ المَوْفُورِ.

وَقَدْ وَصَلَنَا الكِتَابُ الذِي وَجَّهْتُمْ إِلَيْنَا الذِي يَتَضَمَّنُ تَثْبِيتَ العَهْدِ وَتَوكِيدَ الودِّ وَتَصْحِيحَ العَقْدِ وَإِخْلاَصَ الصَّفَاءِ وَتَجْدِيدَ الوَفَاءِ فَقَابَلْنَا ذَلِكَ بِشُكْرِ تَجُدُّدِهِ لِمَمْلَكَتِكُمْ وَإِخْلاَصٍ صَادِقٍ فِي صُحْبَتِكُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ وَالِدَكُمْ السُّلْطَانَ المُرَفَّعَ دُونْ

---

[1] ـ الأفانت ذون بطره: ابن الملك ألفونسو الرّابع الذي خلف أباه سنة 1336م وأصبح بترو الرّابع ملك أرغون.

[2] ـ الأمير عبد الله يوسف: السّلطان يوسف الأوّل صاحب غرناطة.

أَلْفُنْشَه[1] مَاتَ، وَأَنَّكُمْ ورِثْتُـمْ مَمْلَكَتَـهُ التِي أَنْتُمْ أَحَـقُّ بهَـا، فَرَأَيْنَا أَنْ وَجَّهْنَا كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكُمْ نُعَزِّيكُمْ فِي الوَالِـدِ وَنُهَنِّيكُـمْ بالـمُلْكِ حَسْبَمَا يَقْتَضِيهِ حَقُّ الصُّحْبَـةِ التِـي بَيْنَنَـا التِـي تَـأَكَّدَ رَسْمُهَا. وَنُعَرِّفُكُمْ أَنَّنَا مَا عِنْدَنَـا إلاَّ مَـا يُرْضِيكُـمْ مـنَ الاعْتِقَـادِ فِيكُمْ وَالحِفْظِ لِعَهْدِكُمْ وَالشُّكْرِ لِقَصْدِكُمْ فَكُونُـوا مِـنْ ذَلِـكَ عَلَـى يَقِينٍ. وَمِمَّا نُعَرِّفُكُمْ بِـهِ أَنَّ خَدِيمَنَـا بشْـقَلِينَ شَـرِيجَةَ[2] كَتَـبَ إِلَيْنَا فِي أُمُورٍ مِمَّا تَخُصُّ جِهَتَكُمْ. وَقَدْ كَتَبْنَا إِلَيْهِ فِـي جَوَابِهَـا مَا تَتَعَرَّفُونَهُ مِنْ قِبَلِهِ، فَصَدِّقُوهُ فِيمَا يُلْقِيهِ عَنَّا إِلَيْكُـمْ. وَاعْلَمُـوا أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَنَا خَبَرُ مَـوْتِ وَالِدِكُـمْ كَتَبْنَـا إِلَـى بِلاَدِنَـا الشَّـرْقِيَّةِ كُلِّهَا أَنْ لاَ سَبِيلَ أَنْ يَتَطَرَّقَ لِجِهَةِ أَرْضِكُمْ أَحَـدٌ بِضَـرَرٍ. وَاللَّـهُ تَعَالَى يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْـعِدُكُمْ بِرِضَـاهُ. وَالسَّـلاَمُ يُرَاجِـعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي السَّابِعِ وَالعِشْـرِينَ لِجُمَـادَى الآخِـرَةِ عَـامَ سِـتَّةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ دون ألفونسو الرّابع هلك سنة 1336م الموافق لسنة 736هـ.

(2) ـ بشقلين شريجة: تاجر قطلانيّ صديق يوسف الأوّل وسفير ملك أرغون ورسوله إلى صاحب غرناطة.

ـ التّحليل

وجّهَ صاحبُ غرناطة عبد الله يوسف الأوّل ابن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر هذه الرّسالة إلى بترو الرّابع الملك الجديد لأرغون يُعلمُه فيها باتّصاله بالكتاب الذي أرسله إليه لتثبيت العهد وتصحيح العقد وتجديد الوفاء والصّحبة بينهما وقدّم له بالمناسبة التّعزية في وفاة والده ألفونسو الرّابع والتّهنيئة لوراثته المُلك من بعده مؤكّدًا استعداده للتّصرّف بما يرضيه ويحفظ عهده وعزمه على معالجة المشاكل التي أثارها الخادم بشقلين شريجة في كتابه إليه بالكيفيّة المرضية وطمأنَه بأنّه أرسل عند سماعه خبر موت أبيه إلى جميع أهل البلاد الشّرقيّة بالمملكة بأن لا يتطرّق لجهة أرض أرغون أحد بضرر وفي هذا السّلوك دليل على حسن نيّة غرناطة ومصداقيّتها وحسن ظنّها بالملك الجديد !

ـ التّعليق

إنّ هذه الرّسالة تؤكّد صفاء العلاقة القائمة بين البلدين وملكي الدّولتين بغرناطة وأرغون. ونلاحظ مبادرة يوسف الأوّل بالعمل على إيجاد المناخ المناسب لدعم الصّلح بين البلدين وربط علائق مودّة عميقة مع الملك الجديد ولا سيّما أنّه كان على صلة حميمة به في عهد والده ألفونسو الرّابع. فنتساءل هل سيواصل بترو الرّابع سياسة المهادنة والسّلم التي افتتحها وخطّط لها جدّه جاقمو الثّاني!

°43) ـ الوثيقة رقم 45

ـ التّقديم

هذه رسالة من عامر بن عثمان بن إدريس وزير صاحب غرناطـة إلى بترو الرّابع بتاريخ فاتح رجب سنة 736هـ الموافق لـــ 14 فيفـري سنة 1336م حول موت الملك ألفونسو.

- نصّ الرّسالة

إلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ المُعَظَّمِ وَالمَلِكِ الذِي وَاجِبُهُ عَلَى مُهِمَّاتِ الأُمُورِ لَدَيْنَا مُقَدَّمٌ الهُمَامُ الأَصْعَدُ الأَرْقَى الأَوْحَدُ الأَرْفَعُ الأَشْهَرُ الأَكْبَرُ الأَظْهَرُ الأَخْطَرُ العَلَمُ الأَسْمَى الأَبَرُّ الأَصْدَقُ الأَوْفَى الأَفْخَمُ الأَضْخَمُ الأَسْدَى دُونُ بِطْرَه[1] وَلَدُ السُّلْطَانِ المُعَظَّمِ الجَلِيلِ الرَّفِيعِ المَثِيلِ الكَبِيرِ المَلِكِ الشَّهِيرِ الخَطِيرِ الأَعْلَى الأَفْخَمِ الأَضْخَمِ الأَبَرِّ الأَصْدَقِ الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْشُ[2] مَلِكُ أَرْغُونَ وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى كَرَامَتَهُ وَمَبَرَّتَهُ وَرِعَايَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَيُسْرِهِ مِنْ صَالِحِ العَمَلِ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَحَرَسَ مَوَدَّتَهُ وَأَعْلَى فِي الدَّوْمِ دَرَجَتَهُ بِمَنِّهِ سَلاَمٌ كَرِيمٌ يَخُصُّ بِهِ حَضْرَتَهُ السُّلْطَانِيَّةَ المُعَظَّمَةَ الكَبِيرَةَ الشَّهِيرَةَ، مُعَظِّمُ جَانِبِهَا الأَعْلَى وَمُقَدِّمٌ وَاجِبِهَا الأَكْبَرُ وَأَنَّهُ لِمَنْ أَحَقِّ مَا يُقَدَّمُ وَأَوْلَى المُثْنِي عَلَى جَلاَلِهَا وَالشَّاكِرِ لِمَنِيعِ كَمَالِهَا عَامِرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ أَبِي العُلاَ مِنْ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الرَّاكِبِ السِّلْسَالِ وَاليُسْرِ

(1) - دون بطرو: الملك الجديد بطرو الرّابع.

(2) - دون ألفونسو: الملك المتوفّي ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

الفَسِيحِ الـمَجَالِ وَالنِّعَمِ الـمُشَامَاةِ[1]، الـمُتَفَيِّئَةِ الظِّلاَلِ وَجَانِبُكُمْ السُّلْطَانِيُّ الأَعْلَــى مُقَـدَّمُ الوَاجِـبِ مَشْـكُورُ الـمَنَاجِي الكَرِيمَـةِ وَالـمَذَاهِبِ وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكُمْ وَإِنَّهُ أَعَزَّ اللَّهُ جَانِبَكُمْ وَوَفَّـى عَنَّـا فِي الخُلُوصِ وَاجِبَكُمْ فَوَصَلَنَا أَيُّهَـا السُّـلْطَانُ الـمُعَظَّمُ كِتَـابُكُمُ الـمَبْرُورُ وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا كَرِيمَ مَـا لَدَيْـهِ وَمَضْمَنُـهُ مَـا يَلِيـقُ بِمَجْدِكُمْ الشَّهِيرِ وَسُلْطَانِكُمْ الكَبِيرِ مِنْ دَعِيِّ الوِدِّ وَتَأْكِيدِ العَهْـدِ وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الـمُعَظَّمِ السُّلْطَانِ[2] وَالِدِكُمْ عَهْـدٌ أَكِيـدٌ وَمَـوَدَّةٌ خَالِصَةٌ تَتَضَمَّنُ بِالـمُتَاتِ الصَّرِيحِ وَالـمُرِيدِ وَظَنُّنَا إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ بِكَرِيمِ سُلْطَانِكُمْ أَنَّكُـمْ تُرَاعُـونَ ذَلِـكَ مُرَاعَـاةَ الـمُلُوكِ أَمْثَـالِكُمْ وَتُرَبُّونَ عَلَى الغَايَةِ الــمَطْلُوبَةِ بِحَـوْلِ اللَّـهِ فِـي كُـلِّ أَحْوَالِكُـمْ فَاعْتِنَاؤُكُمْ أَنْتُمْ وَالأَكَابِرُ أَسْلاَفُكُمْ بِجَانِبِنَا مَعْلُومٌ وَنَحْـنُ بِشُـكْرِهِ فِي كُلِّ الحَـالِ نَقْعُدُ وَنَقُـومُ وَتَعَرَّفْنَـا بَعْـدَ وُصُولِ كِتَـابِكُمْ أَنَّ وَالِدَكُمْ السُّلْطَانَ الـمُعَظَّمَ[3] تُوفِّيَ وَمُصَابُنَا بِـهِ وَمُصَـابُكُمْ وَاحِـدٌ وَغَيَّرَنَا ذَلِكَ[4] عَلِمَ اللَّهُ كَثِيرًا فَإِنَّهُ كَانَ لَنَا عُدَّةً لِلزَّمَانِ وَمَعْقِـلاً

---

(1) ـ النِّعم المشاماة: النِّعم الواسعة الوفيرة من أشَامَ فِي الشّيْء: دخل فيـه. أشـامَتْ النِّعمة: دخلت فيه وغلبت عليه.

(2) ـ والدكم : الملك ألفونسو الرّابع.

(3) ـ السّلطان المعظّم: بترو الرّابع الذي خلف أباه ألفونسو الرّابع.

(4) ـ وغيّرنَا ذلك: بدّلَ حالنا وآسَفنا وحزّ في نفوسنا.

لِضُرُوبِ طَوَارِق الحَدَثَان فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَهبُ الصَّبْرَ عَلَيْهِ وَمَا سِوَى عَنَّا مَا رَجَوْنَا مِنَ التَغَيُّرِ[1] إلاَّ انْفِرَادُكُمْ بَعْدَهُ بِالـمُلْكِ وَحُلُولِكُمْ مَحَلَّ وَالِدِكُمْ مِنَ السَّلْطَنَةِ التِي لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مَعَهُ فِيهَا شِرْكٌ فَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ أَقَامَكُمْ مَقَامَ وَالِدِكُمْ وَأَنْعَمَ بِانْفِرَادِكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ[2] بِالـمُلْكِ وَاسْتِبْرَادِكُمْ[3] فَنَحْنُ نُهَنِّي جَلاَلَكُمْ بِذَلِكُمْ وَنَجْرِي فِي مُصَافَاةِ جَانِبِكُمْ الـمُلُوكِيِّ عَلَى أَوْضَحِ الـمَنَاهِجِ وَالـمَسَالِكِ وَمُرَادُنَا مِنْ كَبِيرِ جَلاَلِكُمْ أَنْ يَكُونَ العَهْدُ مَحْفُوظًا لَدَيْكُمْ كَعَهْدِ أَسْلاَفِكُمْ الأَكَابِرِ الـمُلُوكِ الـمَشَاهِيرِ الفَضَايِلِ وَالـمَآثِرِ وَظَنُّنَا بِسُلْطَانِكُمْ أَنَّكُمْ تَرْبُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الـمَقْصُودِ وَالغَرَضِ وَتَكُونُونَ بِحَوْلِ اللَّهِ فِي حِفْظِ العَهْدِ وَتَأْكِيدِ الوِدِّ خَيْرَ عِوَضٍ وَلِجَلاَلِكُمْ عَلَيْنَا أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ مِمَّا كُنَّا نُوجِبُهُ لِجَانِبِ الـمُعَظَّمِ وَالِدِكُمْ رَعْيًا لِلْوِدِّ السَّلِيمِ وَالـمُتَاتِ القَدِيمِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُجْرِيكُمْ مِنْ أَفْعَالِ الخَيْرِ عَلَى سُنَنِ أَسْلاَفِكُمْ وَتَحَقُّقِ مَا نَظُنُّ بِجَانِبِكُمْ السُّلْطَانِيِّ

---

(1) ـ التَّغَيُّر: تبدّل الحال. من تغيَّرَ.

(2) ـ السّلطان المعظّم: بترو الرّابع الذي خلف أباه ألفونسو الرّابع.

(3) ـ استبرادكم : من الغنيمة الباردة: المكتسبة الهنيئة. الملك المكتسب بدون عناء ومشاكل.

مِنْ تَمَيُّزِكُمْ بِالحُرْمَةِ المَعْلُومَةِ وَإِنْصَافِكُمْ وَيَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَهَبُكُمْ الجَزِيلَ مِنْ رِضَاهُ فِيمَا يَرْضَاهُ بِمَنِّهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا وَالرَّحْمَةُ وَالبَرَكَةُ.

وَكُتِبَ فِي الغُرَّةِ لِرَجَبِ الفَرْدِ عَامَ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ لِتَارِيخِ الهِجْرَةِ المُبَارَكَةِ وَقَدْ أَلْقَيْنَا لِمُوصِلِهِ وَلَدِ بَشْقَلِين[1] خَدِيمِكُمْ وَرَاجُلِكُمْ مَا يُلْقِيهِ لِجَلاَلِكُمْ عَنَّا فَصَدِّقُوهُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ وَالسَّلاَمُ مُعَادٌ.

---

(1) ـ ابن بشقلين شريجة السّفير المعروف والتّاجر والقائد الرّسول إلى صاحب غرناطة وقد حمّله الوزير عامر بن عثمان رسالةً شفاهيّة للملك أرغون.

ـ التّحليل

أرسل عامر بن عثمان بن إدريس بن أبي العلاء وزير يوسف الأوّل هذه الرّسالة ردّا على كتاب بترو الرّابع مع رسوله بشقلين شريجة السّفير والخديم المعروف لأرغون يؤكّد فيها وفاءه للتّاج الأرغونيّ وابتهاجه بتولّي بترو الرّابع الملك بعد أبيه ألفونسو راجيا تواصل العلاقة بينهما وحفظ الملك الجديد لِلعهد وصداقته معربا عن استعداده لمواصلة رعاية الودّ الذي أقامه والده ومزيد دعمه لصالح العلاقة بينهما كما يفسّره له شفاهيّا الخديم بشقلين شريجة حامل هذا الكتاب.

ـ التّعليق

يحاول عامر بن عثمان وزير يوسف الأوّل ربط علاقة جيّدة مع الملك الشّابّ الجديد بترو الرّابع وضمان مصلحته ومكانته لدى هذا الملك وهو لا يتردّد في توجيه رسالة شفاهيّة مع خديم الملك ورسوله بشقلين شريجة بدون علم مولاه صاحب غرناطة ولا شكّ !

فنرى هذه العلاقة المريبة الذي يربطها الوزراء الغرناطيّون مع التّاج الأرغونيّ تتواصل ونتساءل: هل تخدم مثل هذه العلاقات مصلحة غرناطة أو المصلحة الشّخصيّة لهؤلاء الوزراء من هذه العائلة الأندلسيّة بغرناطة عائلة أبي العلاء بن يعقوب ! !

44°) - الوثيقة رقم 46

- التّقديم

هذا كتاب من رضوان بن عبد الله وزير سلطان غرناطة إلى بـترو الرّابع حول معاهدة الصّلح بتاريخ 4 ذي الحجّة سنة 736هـ الموافـق لـ 14 جويلية سنة 1336م.

ـ نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانَ الـمُعَظَّمَ الأَجَلَّ الـمُكَرَّمَ الـمُرَفَّعَ الأَوْفَى الأَشْهَرَ المَبْرُورَ المَشْكُورَ دُونْ بطْرَهْ[1] سُلْطَانَ أَرَغُونَ وَبلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْط بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرضَاهُ، مُعَظِّمُ مُلْكِكُمْ الشَّهيرُ الذِّكْرِ القَائِمُ لِجَانِبكُمْ الـمُعَظَّمُ بمَوْصُول الثَّنَاء وَمُسْتَمِرِّ الشُّكْر، وَزِيرُ السُّلْطَان، رِضْوَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كَتَبَهُ إلَيْكُمْ مِنْ بَابِ مَوْلاَهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ بحَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلاَ جَدِيدَ بفَضْل اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ ببَرَكَةِ هَذَا الأَمِيرِ الكَرِيم أَيَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ وَاليُسْرُ وَالحَمْدُ للَّهِ. وَعَن العِلْمِ بمَا لَكُمْ مِنَ الـمُلْكِ الـمُرَفَّعِ الجَانِبِ وَالشُّكْرِ لِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ الوَفَاء الذِي حَصَلْتُمْ مِنْهُ عَلَى أَجَلِّ المَوَاهِبِ وَاخْتَصَصْتُمْ مِنْهُ بأَكْرَمِ المَذَاهِبِ.

وَوَصَلَ كِتَابُكُمْ الـمُكَرَّمُ صُحْبَةَ كِتَابكُمْ إلَى مَوْلاَيَ السُّلْطَان أَيَّدَهُ اللَّهُ بتَجْدِيدِ الصُّلْحِ الذِي كَانَ بَيْنَ أَسْلاَفِهِ وَأَسْلاَفِكُمْ،

[1] ـ دون بطره: هو بترو الرّابع حفيد جاقمو الثّاني وابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون السّابق.

الذِي عَقَدَهُ عَلَيْهِ خَدِيمُهُ بَشْقَلِينُ شَرِيجَةُ[1]، وَقَدْ أَنْعَمَ بِكَتْبِ عَقْدٍ عنْ مَقَامِهِ بِنَصِّ العَقْدِ الذِي وَجَّهْتُمْ وَعَلَى حَسَبِ فُصُولِهِ وَمَا عِنْدَهُ، أَيَّدَهُ اللَّهُ، إلاَّ الحِفْظُ لِعَهْدِكُمْ وَالارْتِبَاطُ لِصُحْبَتِكُمْ. فَكُونُوا مِنْ ذَلِكَ علَى يَقِين. وَاعْلَمُوا أَنَّنِي لاَ أَزَالُ أَعْمَلُ فِي تَوْفِيَةِ حِفْظِ ذَلِكَ الصُّلْحِ وَتَكْمِيل أُمُورِهِ مَا هُو الوَاجِبُ عَلَيَّ فِي خَدْمَةِ مَوْلاَيَ أَيَّدَهُ اللهُ حَتَى تَتَمَشَّى الأُمُورُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الحَقُّ وَيُوجِبُهُ الوَفاءُ. وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ اعْتِقَادِكُمْ الجَمِيلِ وَكَرَامَتِكُمْ وَذَلِكَ فَضْلٌ مِنْكُمْ أَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ. وَمِثْلُكُمْ مِنَ المُلُوكِ الكِبَار مَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ قَوْلُ الخَيْر وَفِعْلُهُ. وَاللَّهُ تعَالَى يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ لِذِي الحِجَّةَ عَامَ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

---

[1] ـ بشقلين شريجة هو سفير ألفونسو الرّابع والذي عقد باسمه الصّلح مع صاحب غرناطة.

ـ التّحليل

قام الوزير رضوان في هذه المراسلة بإعلام بطرو الرّابع بوصول كتابه الخاصّ بالصّلح واطّلاع مولاه السّلطان عليه وموافقته على شروطه وأسسه المسايرة لما كان تمّ بين الملوك الأجداد وإذنه لخديمه بشقلين شريجة بكتابة نصّ للعقد المرسل وتفضّله بالتّوقيع عليه وعقده. وأكّد الوزير في الآخر وفاءه للعهد وحرصه على دعم الثّقة القائمة والعلاقات الطّيّبة التي أقامنها الأجداد واحترمها بترو الرّابع لمكانته وعلوّ همّته بين ملوك النّصارى العظام.

ـ التّعليق

قام الوزير رضوان ببعث هذا الكتاب بإذن من مولاه السّلان يوسف الأوّل، مؤكّدا موافقته على الصّلح وإمضاءه العقد ومعربا عن وفائه له وللعلاقات الحسنة القائمة بين البلدين وعاملا جهوده على دعمها وتوطيدها. وبدا ـ في مراسلته ـ الخادم المطيع لسيّده السّلطان وللصّلح المبرم بين البلدين وغير متجاوز لصلاحيّاته كزميله عامر بن عثمان بن أبي العُلاء، مثلما اتّضح في الوثيقة السّابقة رقم 45.

45°) - الوثيقة رقم 51

- التّقديم

هذه رسالة من السّلطان يوسف الأوّل صاحب غرناطة بتاريخ 24 محرّم سنة 737هـ الموافق لـ 23 أوت سنة 1336هـ حول أعمال القرصنة مدّة الصّلح.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُرَفَّعُ المُكَرَّمُ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرضَاهُ، مُكَرِّمُ جَانِبِهِ وَشَاكِرُ مَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسفُ ابْنُ أَمِير المُسْلِمينَ أَبِي الوَلِيدِ إسْمَاعِيلَ بْن فَرَجٍ بْن نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إلَيْهَا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّا كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَعَنْ العِلْمِ بمَحَلِّكُمْ فِي المُلُوكِ الأَوْفِيَاءَ وَالشُّكْرُ لِمَا لَكُمْ فِي الصُّحْبَةِ مِنَ المَذَاهِبِ وَالأَنْحَاء. وَإلَى هَذَا فَمُوجبُهُ إلَيْكُمْ هُوَ أَنَّهُ حَدَثَتْ شِكَايَاتٌ فِي هَذَا الصُّلْحِ، رَفَعَ إلَيْنَا فِيهَا أَهْلُ بلاَدِنَا، وَطَلَبُوا خَلاَصَهَا فَاقْتَضَى نَظَرُنَا أَنْ وَجَّهْنَا إلَيْكُمْ كِتَابَنَا هَذَا صُحْبَةَ تَفْسِير بهَا. وَمِنْ هَذِهِ الشِّكَايَاتِ مَا صَدَرَ عَنْ أَهْل بِلاَدِكُمْ مِنْ أَخْذِ الأَسَارَى وَحَمْلِهِمْ

---

[1] ـ دون بترو الرّابع.

إِلَى أَرْض غَيْرِ أَرْضِكُمْ وَبَيْعِهِمْ لَهُمْ بِهَا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ أَوْفَى مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ وَأَنَّ تِلْكَ الدَّارَ مَا عُرِفَتْ إِلاَّ بِالوَفَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا. فَقَصْدُنَا مِنْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِي هَذِهِ الحَالِ مَا تَقْتَضِيهِ غِيرَتُكُمْ عَلَى عَهْدِكُمْ وَمَحَلِّكُمْ فِي الوَفَاءِ وَتَأْمُرُوا بِخَلاَص الشِّكَايَاتِ عَلَى الوَجْهِ الذِي يَقْتَضِيهِ نَظَرُكُمْ. وَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا نَشْكُرُهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَنَزْدَادُ بِهِ عِلْمًا بِوَفَائِكُمْ وَحُسْنِ مُصَادَقَتِكُمْ.

وَقَدْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ بِرَسْمِ هَذِهِ الشِّكَايَاتِ مَمْلُوكَ جَانِبِنَا القَائِدَ[1] بَشِيرًا وَمَعَهُ لُقِينُ[2] وَلَدُ خَدِيمِنَا، وَخَدِيمَكُمْ التَّاجِرَ بِشْقَلِينَ شَرِيجَةَ. وَأَنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ اعْتِقَادُنَا فِيكُمْ وَمَا نَعْلَمُهُ مِنْ مَقَاصِدِكُمْ فِي الوَفَاءِ وَمَنَاجِبِكُمْ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِشَهْرِ مُحَرَّمٍ مُفْتَتَحَ عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَهُ. صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ في الأصل: القايد: قائد الحرس المسيحيّ ببلاط غرناطة.

(2) ـ بشقلين شريجة: رسول ملك أرغون وسفيره المشار إليه في الوثيقة السّابقة.

ـ لقين: ابن الخادم السّفير بشقلين شريجة.

ـ التّحليل

حدثت انتهاكات لعهد الصّلح المبرم وقام قراصنة من أرغون بالإغارة على جهات في مملكة غرناطة وأسّر بعض الأهالي من المسلمين وبيعهم خارج أرغون فبادر يوسف الأوّل بمكاتبة بترو الرّابع وتوجيه قائمة في الشّكايات التي قدّمها أهل غرناطة وطالبه بالعمل على البحث على هؤلاء الأسرى وتسريحهم وفاء منه للصّلح وغيرة منه على عهده والتزاماته. وذكر صاحب غرناطة أنّه أرسل لهذا الغرض قائده المملوك بشير ومعه لُقين بن خديمه والرّسول التّاجر بشقلين شريجة السّفير المعروف.

ـ التّعليق

عادت القرصنة بعد سنة تقريبا من عقد الصّلح سنة 735هـ وأشهر من اعتلاء بترو الرّابع[1] عرش أجداده فنرى القطع يتواصل رغم التزام الملوك وتعهّداتهم بالصّلح. ونلاحظ وُقُوعَ الأبرياء والأسياد ضحيّة لهذه الأعمال وتَحوُّلَهم من وضعيّة الأسياد إلى وضعيّة العبيد فالإنسان مع الأسف في هذه الظّروف وهذا التّاريخ لا قيمة له ولا حقوق. ولا يمكن أن نتحدّث عن مكانته وحقوقه وقداسة إنسانيّته !!

---

(1) ـ دون بترو الرّابع: توفّي سنة 736هـ الموافق لسنة 1336م.

46°) ـ الوثيقة رقم 48

ـ التّقديم

هذا كتاب من الوزير عامر بن عثمان بن إدريس بن أبــي العُـلاء إلى بترو الرّابع بتاريخ 22 محرّم سنة 737هـ الموافق لـ 31 أوت سـنة 1336 حول مهمّة التّاجر والسّفير بشقلين شريجة بغرناطة.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ الأَوْفَى الأَشْهَرُ الأَظْهَرُ الأَسْمَى الأَكْبَرُ الأَصْعَدُ الأَرْقَى الحَافِلُ البَاسِلُ الأَمْضَى دُونْ بطْرَهْ[1] ابْنُ السُّلْطَان الأَعْلَى الأَكْبَرِ الأَسْمَى الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَرْقَى الأَوْحَدِ الحَافِلِ البَاسِلِ الأَمْضَى دُونْ أَلْفَنْشُو[2] سُلْطَان أَرَغُونَ أَعَزَّهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بنَيْل رضَاهُ، مُعَظِّمُ سَلْطَنَتِهِ الشَهيرَةِ وَشَاكِرُ بَيْتِهِ الكَبيرَةِ عَامِرُ بنُ عُثْمَانَ بنُ إدْريسَ. سَلاَمٌ كَرِيمٌ يُرَاجِعُ سَلاَمَ سَلْطَنَتِكُمْ العَلِيَّةِ، مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّـهُ عَنِ الخَيْرِ وَاليُسْرِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ. وَعَنِ الذِي يَجِبُ لِسَلْطَنَتِكُمْ العَلِيَّةِ مِنَ الشُّكْرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالثَّنَاءِ المُتَّصِلِ حَدِيثُهُ بِالقَدِيمِ.

وَإِلَى هَذَا أَسْعَدَكُمْ اللَّـهُ بِنَيْلِ رضَاهُ فَإِنَّ التَّاجِرَ المُكَرَّمَ بَشْقَلِينَ[3] وَصَلَنَا بِظَهِيرِكُمْ وَطَابَعِكُمْ، فَشَكَرْنَا اعْتِنَاءَكَ بِنَا وَإِخْلاَصَكَ لِجِهَتِنَا. وَأَلْقَى إِلَيْنَا التَّاجِرُ المُكَرَّمُ بَشْقَلِينُ مَا أَلْقَيْتُمْ لَهُ وَمَا عِنْدَكُمْ لَنَا مِنْ خُلُوصِ الودَادِ وَجَمِيلِ الاعْتِقَادِ. وَهَذَا الفِعلُ الجَمِيلُ هُوَ المَعْهُودُ مِنْ بَيْتِكُمْ الكَبِيرَةِ وَالمَأْلُوفُ

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ دون ألفنسو الرّابع ملك أرغون السّابق.

(3) ـ بشقلين شريجة سفير بترو الرّابع.

مِنْ سَلْطَنَتِكُمْ الشَّهِيرَةِ. لَمْ يَزَلْ هَذَا الاعْتِقَادُ وَالودَادُ بَيْنَ الآبَاء وَالأَجْدَادِ. فَالحَمْدُ لِلَّهِ الذِي أَرْبَيْتُمْ[1] فِي جَمِيعِ الأَفْعَالِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبَائِكُمْ. وَلَهُ الشُّكْرُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْ أَرَانَا الذِي كُنَّا نُؤَمِّلُهُ مِنْ تِلْقَائِكُمْ. وَاللَّـهُ تَعَالَى يُسْعِدُكُمْ بتَقْوَاهُ وَيُعِزُّكُمْ بنَيْلِ رضَاهُ. وَمَا لَكُمْ لِهَذِهِ البِلاَدِ مِنْ جَمِيعِ الـمَطَالِبِ فَوَجِّهُو[ه إلَيْنَا][2]. وَيَصِلُكُمْ إنْ شَاءَ اللَّـهُ وَمُوصِلَ هَذِهِ [الرِّسَالَةِ][3] إلَيْكُمْ التَّاجِرَ الـمُكَرَّمَ لَقِينَ بْنَ بَشْقَلِينَ، يُلْقِي إلَيْكُمْ مَا عِنْدَنَا. وَالسَّلاَمُ الكَرِيمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَ سَلْطَنَتِكُمْ العَلِيَّةِ.

كُتِبَ فِي الثَّانِي وَالعِشْرِينَ لِمُحَرَّمٍ عَامَ سَبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ.

---

(1) ـ أربيتم: واصلتم سلوك من تقدّم من الآباء وتجاوزتهم.

(2) ـ زيد ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

(3) ـ زيد ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

ـ التّحليل

وجّه الوزير عامر بن عثمان هذه الرّسالة إلى بترو الرّابع للتّزلّف إليه ولمزيد التّقرّب من هذا الملك الجديد وتأكيد صداقته ومودّته له وأعلمه بالمناسبة باتّصاله بالظّهير[1] المرسل إليه وعليه توقيعه وطابعه، شاكرا فضله واعتناءه به وبيّن له وصول سفيره التّاجر بشقلين شريجة وإعلامه بما كان ألقاه إليه شفاهيّا وعبّر عن استعداده لقضاء كلّ حوائجه ومطالبه بغرناطة وذاكرا توجيهه هذا الكتاب وردّه على ما طلبه منه مع ابن بشقلين التّاجر لُقين.

ـ التّعليق

يحاول هذا الوزير عامر بن عثمان بهذه الرّسالة المحافظة على مكانته المتازة في التّاج الأرغونيّ في عهد ألفونسو الرّابع واكتساب ثقة هذا الملك الجديد مواصلا ربط هذه العلاقات المريبة مع أرغون من وراء ظهر مولاه السّلطان يوسف الأوّل والنّسج على منوال أجداده وكامل أفراد أسرته !

---

(1) ـ كان طلب منه أن يرسل إليه ظهيرا يسمح له بالدّخول بحرّيّة إلى كامل أراضي أرغون: نوعا من التّأشيرة أو التّرخيص الدّائم.

47°) ـ الوثيقة رقم 49

ـ التّقديم

هذا كتاب من عليّ بن يوسف بن كماشة[1] إلى بترو الرّابع حول وفاة والده ألفونسو الرّابع وبعث به يوم 14 محرّم سنة 737هـ الموافق لـ 8 سبتمبر سنة 1336م.

(1) ـ يوسف بن كماشة: قائد ووزير بغرناطة كلّفه صاحب غرناطة بمهامّ عديدة بأرغون.

- نصّ الرّسالة

مَوْلاَيَ السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ الجَلِيلُ المَلِكُ المُرَفَّعُ الأَصِيلُ الذِي لَهُ الذِّكْرُ الشَّهِيرُ وَالبَيْتُ الكَبِيرُ وَالمُلْكُ الأَثِيلُ مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَدَانِيَةَ[1] وَقُرْسِقَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَسَرْدَانِيَةَ دُونْ بطْرَهْ، وَصَلَ اللَّهُ إعْظَامَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِرضَاهُ. كَتَبَهُ إلَيْكُمْ خَدِيمُكُمْ المُعْتَرِفُ بِإنْعَامِكُمْ القَائِمُ[2] عَلَى قَدَمِ الخِدْمَةِ لِمَقَامِكُمْ، المُقِرُّ بِخَيْرِكُمْ وَخَيْرِ سَلَفِكُمْ عَلِيُّ بْنُ كَمَاشَةَ، كَتَبَهُ إلَيْكُمْ مِنْ بَابِ مَوْلاَهُ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَحْرُوسَةِ غَرْنَاطَةَ عَنِ الخَيْرِ الأَتَمِّ وَاليُسْرِ الأَعَمِّ. شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى. يُقَبِّلُ يَدَيْكُمْ[3] وَيُقَرِّرُ مَا عِنْدَهُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِكُمْ وَالقِيَامِ بِوَاجِبِ خِدْمَتِكُمْ[4].

وَإنَّ الخَدِيمَ بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ الجَلِيلِ وَالِدِكُمْ. وَأَصَابَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَصَابَ أَقْرَبُ رِجَالِهِ وَنَاسِهِ،

---

(1) - دانية: استولى بترو الرّابع حديثا على هذه المدينة الأندلسيّة "دانية" التي كانت تابعة إلى مملكة مرسية الصّغيرة !

(2) - في الأصل: القايم. القائم هو القائد الغرناطيّ علي بن كماشة الوزير بغرناطة.

(3) - وزير السّلطان يوسف الأوّل يخاطب ملك أرغون العدوّ بهذا الخطاب المذلّ المشين.

(4) - التّعليق نفسه.

لَكِنَّ[1] قَدَرُ اللَّهِ لاَ يُدْفَعُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ الـذِي أَسْعَدَ بِكُمْ نَاسَهُ وَأَبْقَى حُرْمَتَهُ بِكُمْ وَصَيَّرَ مُلْكَهُ لِأَحَقِّ النَّـاس بـهِ وَلِمَنْ يَجْـرِي عَلَى طَرِيق أَبِيهِ فِي عَمَلِ الخَيْر وَالوَفَـاء وَلِمَا يَعْرِفُ الخَدِيـمُ ذَلِكَ، وَجَّهْتُ بِهَذَا الكِتَابَ مَنْ يَنُوبُ عَنِّي فِـي تَقْبِيـل يَدِكُـمْ وَالعَزَاء فِيهِ، وَيُقَرِّرُ مَا عِنْـدِي مِـنَ الخِدْمَـةِ. وَخَدِيمُكُـمْ وَاقِـفُ عَلَى قَدَمٍ لِكُلِّ مَنْ يَرِدُ مِنْ بَابِكُمْ وَفِي الـمُشَارَكَةِ لِمَا يَقْتَضِيـهِ نَصْرُكُمْ.

وَمِمَّا[2] أُعَرِّفُ بِهِ مَوْلاَنَا أَنَّ مَوْلاَنَا وَالِدَكُمْ قَبْلَ مَوتِهِ كَانَ قَدْ وَعَدَنِي بِبَازٍ[3] عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ مِنَ الإحْسَانِ لِخَدِيمُكُمْ. وَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاس أَنْ تُوفُوا بِمَا عَاهَدَ بِهِ ذَلِكَ الـمَوْلَى الكَبِيرُ. وَمَا زِلْتُ[4] فِي إِحْسَانِكُمْ قَدِيمًـا وَحَدِيثًـا. وَمُـرَادُ خَدِيمِكُـمْ يَـا مَوْلاَيَ أَنَّ جَمِيـعَ مَـا يَكُـونُ لَكَـمْ مِـنْ حَاجَـةٍ فِـي دَار مَوْلاَنَـا السُّلْطَان وفِـي هَـذِهِ البِـلاَدِ تَـأْمُرُونَ[5] بِهَـا لِفَارِسِـي وَخَدِيمِـي الوَاصِلِ إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكَتْبِ وَهُوَ مُحَمَّدُ الجَيَّانِي. وَتَصِلُكُمْ عَلَـى

---

(1) ـ في الأصل: لاكنّ. ويعني وفاة ألفونسو الرّابع والد بترو الرّابع.

(2) ـ في الأصل: ومن ما : وممّا.

(3) ـ الباز: البازي: طائر من الجوارح تصاد به الطّيور.

(4) ـ في الأصل: وما زلت: ما زلت [معتقدا].

(5) ـ في الأصل: تأمروا.

أَبَرِّ الـمَرْغُوبِ إنْ شَاءَ اللَّهُ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُطِيلُ حَيَاتَكُمْ وَيُعِينُ عَلَـى خِدْمَتِكُـمْ. وَالسَّـلاَمُ عَلَـى مَقَـامِكُمْ الكَرِيـمِ وَرَحْمَـةُ اللَّــهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكُتِـبَ فِـي الرَّابِـعِ وَالعِشْـرِينَ لِمُحَـرَّمٍ مُفْتَتَـحَ عَـامِ سَـبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ، عَرَّفَنَا اللَّهُ خَيْرَهُ.

ـ التّحليل

بادر القائد علي بن كماشة والسّفير السّابق بتقديم التّعازي لبترو الرّابع وتهنئته بخلافته لوالده ألفونسو الرّابع وأبلغه أنّه كان أرسل خديمه ليقدّم التّعزية نيابة عنه ويقبّل يديه باسمه وذكّره بأنّ والده كان وعده بأن يُهديه بازا لكنّ المنيّة عاجلته ولم يتمكّن من توجيهه فرجاه الإيفاء بهذا الوعد والتّعجيل بإرسال الباز معربا عن استعداده لخدمته ببلاط غرناطة وقضاء كلّ الحوائج التي يطلبها منه فعليه فحسب أن يطلب منه ما يريد حتّى يتحقّق من وفائه وإخلاصه له.

ـ التّعليق

في هذه الرّسالة نرى علي بن يوسف القائد الغرناطيّ يتذلّل لبترو الرّابع ويقدّم له شواهد الإخلاص في مهانة وحطّ من الكرامة ودوس لكلّ القيم فيسمح لنفسه بـ"الخنوع" أمامه وتكليف خديمه بتقبيل يديه نيابة عنه ويطلب هدية كان وعد بها والده ألفونسو والإعراب عن تمثيله ببلاط غرناطة له واستعداده لخدمته والدّفاع عن قضاياه وقضاء حوائجه !

فيبدو هذا القائد والوزير خائنا لمولاه وبلده وحريصا على استغلال منصبه لمآربه الشّخصيّة دون أيّ شعور بالكرامة أو التّفكير في عواقب تصرّفه ونرى مثل هذا السّلوك المشين ميزة لجلّ وزراء بلاط غرناطة وطبيعة لهم فكانوا يتنافسون في خدمة ملك أرغون والتّقرّب منه ! وكان هذا الأمر ولا شكّ سببا من أسباب تآكل الدّولة وضعفها وانخرامها وبالتّالي سقوطها في أواخر القرن الخامس عشر ! !

ما أشبهَ الأمس باليوم ! !

48°) ـ الوثيقة رقم 47

ـ التّقديم

هذه الرّسالة من سلطان بن عثمان بن إدريس بن أبي العُلاء الوزير بغرناطة إلى بترو الرّابع يعزّيه فيها في والده ألفونسو الرّابع بتاريخ الفاتح من رجب سنة 736هـ الموافق لـ14 فيفري سنة 1337م.

ـ نصّ الرّسالة

إِلَـى حَضْـرَةِ السُّـلْطَان الـمُعَظَّم الـمُوَقَّر الـمَبْرُور الأَسْـنَى الـمَلِكِ الأَشْهَر الأَكْبَر الأَمْثَل الأَبَرِّ الأَصْـدَق الأَوْفَـى دُونْ بطْـرَهْ ابْن السُّلْطَان الـمُعَظَّم الشَّـهير الكَبـير الأَسْمَى الـمَلِكِ الأَفْخَـم الأَضْخَم الأَصْدَق الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْشُو[1] ملِكِ أَرْغُونَ، وَصَلَ اللَّـهُ تَعَالَى كَرَامَتَهُ وَمَبَرَّتَهُ بتَقْـوَاهُ وَيَسَّـرَهُ لِمَـا يَرْضَـاهُ. سَـلاَمٌ كَريـمٌ يَخُصُّ حَضْرَتَهُ السُّلْطَانِيَّةَ كَثِيرًا [أَثِيرًا] مُعَظِّـمُ جَلاَلِكُـمْ وَمُوَقِّـرُ سُلْطَانِكُمْ الأَشْهَر وَكَمَالِكُمْ، العَارِفُ بكَبير حَقِّكُمْ، سُـلْطَانُ بْـنُ عُثْمَانَ[2]، مِنْ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بفَضْل اللّـهِ إلاَّ كُـلُّ خَـيْر. والحَمْـدُ للّـهِ. وَعَـنِ الشُّـكْرِ لِجَلاَلِكُـمْ والـمَعْرِفَةِ بِكَبـير حَقِّكُمْ.

وَعَزَّ عَلَيْنَا مُوْتُ وَالِدِكُـمْ السُّـلْطَان الـمُعَظَّم. وَنَحْـنُ نُعَـزِّي جَلاَلَكُمْ الأَعْلَى فِيهِ عَزَاءَ الأَودَّاء وَخُلَصَاء الأَصْفِيَاء. وَكُنَّا نُؤَمِّـلُ الوُصُولَ إلَى حُرْمَتِهِ والانْقِطَاعَ إِلَـى جهَتِـهِ. وَلَـمْ يُـردِ اللَّـهُ إلاَّ نُفُوذَ قَدْرِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَكِنْ حَمَدْنَا اللّهَ وَشَـكَرْنَاهُ عَلَـى أَنْ أَقَـامَ

---

(1) ـ دون ألفنسو الرّابع المتوفّي سنة 1336م الموافق لسنة 736هـ والد بترو الرّابع الذي خلفه.

(2) ـ حفيد الوزير الأوّل والحاجب أبي العلاء وابن الوزير عثمان.

اللَّهُ جَلاَلَكُمْ الأَعْلَى فِي مَقَامِ وَالِدِكُمْ وَوَرِثْتُمْ الـمُلْكَ وَكُنْتُمْ بِهِ أَحَقَّ وَأَوْلَى، فَنَحْنُ نُهَنِّئُكُمْ بِذَلِكَ عَلَى قَدْرِ مَا سُرِرْنَا فِي حُلُولِكُمْ مَحَلَّ وَالِدِكُمْ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ. وَمُرَادُنَا مِنْ جَلاَلِكُمْ وَحُرْمَتِكُمْ أَنْ يَكُونَ وِدُّنَا فِيكُمْ مَعْلُومًا لَدَيْكُمْ وَمَحَبَّتُنَا فِي وَالِدِكُمْ مَصْرُوفَةً إِلَيْكُمْ، وَعَلَى أَنْ تَكُونُوا لَنَا عُدَّةً لِلزَّمَانِ وَمَعْقَلاً لِطَوَارِقِ ضُرُوبِ الحَدَثَانِ، وَتَبْعَثُوا إِلَيْنَا كِتَابَكُمْ الـمُعَظَّمَ بِطَابَعِكُمْ الـمَعْلُومِ لَكُمْ بِعَهْدٍ نَصِلُ بِهِ إِلَى خِدْمَتِكُم[1] وَنَكُونُ فِي جُمْلَةِ مَنْ هُوَ تَحْتَ حُرْمَتِكُمْ. فَإِنَّ كِتَابَ وَالِدِكُمْ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ وَصَلَنَا مِنْ بَرْجَلُونَةَ بِكُلِّ مَا نُسَرُّ بِهِ مِمَّا كَانَ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ مِنَ الفَضْلِ وَالخَيْرِ، وَلَكِنْ مَنَعَنَا مِنَ الوُصُولِ وَاعْتَذَرَ بِبُعْدِ الطَّرِيقِ لِئَلاَّ نَتَكَلَّفَ الـمَشَقَّةَ فِي الطَّرِيقِ. جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَنَحْنُ حَفِظَكُمْ اللَّهُ مَا عَلَيْنَا إِذَا وَصَلْنَاكُمْ مِنْ مَشَقَّةِ طَرِيقٍ وَلاَ غَيْرِهِ، لأَنَّ قَصْدَنَا إِنَّمَا هُوَ فِي الوُصُولِ إِلَيْكُمْ وَالقُدُومِ عَلَيْكُمْ. وَجَلاَلُكُمْ كَفِيلٌ بِتَوْفِيَةِ هَذَا الغَرَضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَهَبُ لَكُمْ الجَزِيلَ مِنْ رِضَاهُ فِيمَا يُحِبُّهُ

[1] ـ يريد هذا الوزير وحفيد الحاجب أن يكون في جملة من هو تحت حرمة ملك أرغون. إنّه لسلوك غريب !! فهو يطلب القدوم إليه والحصول على إذن لذلك.

وَيَرْضَاهُ بِمَنِّهِ. وَالسَّلَامُ يَخُصُّ جَلَالَكُمْ السُّلْطَانِيَّ كَثِيرًا، والرَّحْمَةُ وَالبَرَكَةُ.

وَكُتِبَ بِتَارِيخِ الغُرَّةِ لِرَجَبَ الفَرْدِ عَامَ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ لِتَارِيخِ الهِجْرَةِ المُبَارَكَةِ.

ـ التّحليل

وجّه هذا الوزير سلطان بن عثمان من أسرة أبي العلاء هذه الرّسالة لبترو الرّابع ملك أرغون الجديد لتعزيته في والده ألفونسو الرّابع وتقديم شواهد الإخلاص إليه والإعراب عن استعداده الكامل لقضاء حوائجه بغرناطة والدّخول في خدمته والقدوم إليه إلى برشلونة ليكون في جملة من هو تحت حرمته ورجاه أن يوجّه له كتابا يسمح له بالقدوم إلى بلاطه والتّنقّل في بلاده مثل الكتاب الذي كان أرسله له والده ألفونسو الرّابع ولم يتمكّن من استعماله وتحقيق غرضه في الوصول إلى التّاج الأرغونيّ وتقديم خدماته له. وعبّر عن أمله في الآخر أن يُحقّق له هذه الأمنية فيستطيع الوفود إليه وتحمُّل عناء الطّريق ومشقّته من أجله.

ـ التّعليق

تمثّل هذه الرّسالة وصمة عار سجّلها التّاريخ لهؤلاء الوزراء من عائلة إدريس بن أبي العلاء وفضيحة من فضائحهم وخياناتهم وقبولهم خدمة عدوّهم والتّضحية بمصالح بلادهم غرناطة آخر الممالك الإسلاميّة بالأندلس.

فبهذا التّصرّف عجّل هؤلاء الوزراء بتداعي قوّة دولة غرناطة وسقوطها.

49°) ـ الوثيقة رقم 50

ـ التّقديم

هذا كتاب من عامر بن عثمان بن إدريس بن أبي العلاء[1] الوزير بغرناطة إلى بترو الرّابع بتاريخ غرّة شعبان سنة 737هـ الموافق لمارس سنة 1337م.

---

(1) ـ هو أخو الوزير سلطان بن عثمان الوارد ذكره في الوثيقة السّابقة.

ـ نصّ الرّسالة

المَحَلُّ السَّامِي العَالِي السُّلْطَانِيُّ الرَّفِيعُ الهُمَامِيُّ، مَحَلُّ السُّلْطَان المُعَظَّم المَلِكِ الشَّهير الأَعْلَى الكَبير المَاجِدِ الأَسْرَى الصَّدْر الأَوْحَدِ الهُمَامِ الأَفْخَم الأَضْخَم العَالِي المِقْدَار الكَريم الآثَار العَلَم الأَسْمَى دُونْ بطْرَه(1) وَلَدِ السُّلْطَان الكَبير العَلَم الشَّهير المَثِيل الخَطِير الجَلِيل الأَمْجَدِ الأَوْحَدِ صَدْر مُلُك الرُّومِ وَمِنَ الأَكَابر بشُكْرِهِ وَالثَّنَاء عَلَيْه تقْعُدُ وتَقُومُ، المَبْرُور المُوَقَّر الأَعْلَى الأَصْدَق الأَوْفَى دُونْ أَلْفُنْش(2) مَلِكِ أَرَغُونَ، وَصَلَ اللَّهُ لَهُ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ بتَقْوَاهُ وَأَنَالَهُ الغَايَةَ المَطْلُوبَةَ وَالعِزَّةَ المَوْهُوبَةَ باتِّبَاعِ رِضَاهُ وَاقْتِفَاء سَبيل توفِيقِه وَهُدَاهُ بمَنِّهِ. سَلاَمٌ كَريمٌ يَخُصُّ بهِ مَحَلَّهُ السُّلْطَانِيَّ، نَاشِرُ مَفَاخِرِهِ وَذَاكِرُ سَجَايَاهُ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَآثِرهِ، المُثَابرُ فِي شُكْرِ جَانِبِه وَتَوْفِيَةِ حَقِّهِ الأَكِيدِ وَوَاجبهِ، عَامِرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ إدْرِيسَ. مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَأَلْسِنَتُنَا بشُكْر جَلاَلِهِ السُّلْطَانِيِّ قَدْ ذَلَّلَتْ مَنِيعَ الثَّنَاء وَمَهَّدَتْ سَبيلَ الإعَادَةِ فِي وَصْفِ مُلْكِهِ المَدِيدِ الأَفْيَاء وَفَضْلِهِ عَلَى سَائِر مُلُوكِ الرُّوم وَتَقَدُّمِهِ فِي حَالَيْ

(1) ـ دون يترو الرّابع ابن ألفنسو الرّابع.

(2) ـ دون ألفنسو الرّابع المتوفّي سنة 1336م الموافق لسنة 736هـ.

الإِعَادَةِ وَالإِمْرَاء، فِعْلَ مَنْ يَعْرِفُ مِنْ حَقِّهِ كَثِيرًا وَيَرِدُ مِنْ صَفْوِ خُلُوصِهِ الـمَشْكُورِ وَمَحَبَّتِهِ عَذْبًا نَمِيرًا. وَيَعْلَمُ مَـا لِمَمْلَكَتِـهِ مِـنَ الرُّسُوخِ فِي قَوَاعِدِ الـمُلْكِ الثَّابِتِ الأَسَاس أَوَّلاً وَأَخِـيرًا، فَلَكُـمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ لَدَيْنَا حُبٌّ قَدِيمٌ [وَمَقَامٌ][1] صَرِيحٌ سَلِيمٌ. وَكَذَلِكَ نَعْتَقِدُ بِمَا بَانَ لَنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ السُّلْطَانِيَّةِ وَالجَرْيِ عَلَى أَعْرَاقِـكُمْ الـمُلُوكِيَّةِ وَأَفْعَـالِكُمْ الـمَرْضِيَّةِ فِـي إِيثَـارِ جَانِبِنَـا وَالاهْتِمَامِ[2] بِجِهَتِنَا مَا اسْتَوَى فِـي مَعْرِفَتِـهِ الظَّاعِنُ وَالـمُقِيمُ. فَنَحْنُ أَنْصَارُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ عَلَى مَنْ نَاوَأَهَا وَالطَّاعِنُونَ فِـي نُحُـورِ مَنْ رَمَقَهَا بِعَيْنِ احْتِقَارٍ أَوْ مُكَابَرَةٍ فِي فَخَارٍ أَوْ عَادَاهَا.

وَقَدْ وَصَلَتْنَا الهَدِيَّةُ الـمَشْكُورَةُ البَغْلَةُ الـمُبَارَكَةُ وَمَـا مَعَهَـا. بَـارَكَ اللَّـهُ لَنَـا فِـي سُلْطَانِكُمْ وَصَرَفَ قُلُوبَ قَيَـاصِرَةِ الـرُّومِ وَأَكَابِرِهَا إِلَى التَّعَلُّقِ بِحُرْمَةِ إِيوَانِـ[ـكُمْ][3] فَأَذَعْنَا شُـكْرَهَا فِـي مَجَالِسِ الـمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاء وَبَيَّنَّا أَنَّـ[ـهُ] بِحَـقٍّ يَجِـبُ أَنْ يُثْنَـى عَلَى مَا لَدَيْكُمْ مِـنْ شِيَمِ الـمُلُوكِ آبَـائِكُمْ فِـي مَصَـافِّ أَعْيَـانِ الفُرْسَانِ وَكُـبَرَاءِ الزُّعَمَـاءِ، فَـأَنْتُمْ فِـي الـمُلُوكِ وَارِثُـو الشَّـرَفِ

(1) ـ في الأصل: متات وهو مقام.

(2) ـ في الأصل: التهمّم والحقيقة الاهتمام.

(3) ـ في الأصل: إيوان: ديوان. وقعت إضافة ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

وَالكِرَامُ الأَحْسَابِ وَالسَّلَفِ، فَمَا لِأَحَدٍ مَعَكُمْ فِي هَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ شِرْكٌ وَلاَ مَنْ يُمَاثِلُكُمْ وَيُضَاهِيكُمْ فِي الـمُلْكِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَهَبُ لِجَلاَلِكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ مَا تَحْمَدُونَ عَاقِبَتَهُ وَتَجِدُونَ مَعَ الأَنَاءِ بَرَكَتَهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِنَيْلِ رِضَاهُ وَيُسْنِي لَكُمْ الغَايَةَ الـمَطْلُوبَةَ مِنْ هُدَاهُ. وَالسَّلاَمُ يَخُصُّ مَقَامَكُمْ السُّلْطَانِيَّ مِنَّا كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي الغُرَّةِ لِشَعْبَانَ الـمُكَرَّمِ عَامَ سَبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

- التّحليل

يقدّم عامر بن عثمان بن إدريس الوزير بغرناطة شواهد الإخلاص والشّكر والامتنان لملك أرغون بترو الرّابع للهديّة التي أرسلها إليه المتمثّلة في بغلة وحوائج أخرى ثمينة وهو كبقيّة أفراد أسرته يبالغ في التّذلّل لبترو الرّابع والتّعبير عن وفائه له ولبلاده أرغون واستعداده الدّائم لخدمته وعمل ما يرضيه وخاصّة أنّه لا يوجد من بين الملوك من يماثله ويضاهيه.

- التّعليق

وثيقة أخرى تدين هذه العائلة الحاكِمة وخيانتها لمولاها السّلطان يوسف الأوّل ولغرناطة القلعة الأخيرة للإسلام بالأندلس.

50°) ـ الوثيقة رقم 29

ـ التّقديم

هذا كتاب من عامر بن عثمان بغرناطة إلى بترو الرّابع بن الملـك ألفونسو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 17 شوّال سنة 737هـ الموافق لـ 19 ماي سنة 1337م.

ـ نصّ الرّسالة

الحَضْرَةُ السُّلْطَانِيَّةُ الـمُعَظَّمَةُ الـمَشْكُورَةُ حَضْرَةُ السُّلْطَان الهُمَام الكَبِير الـمُعَظَّم الشَّهير الأَعْلَى الأَضْخَم الأَفْخَم الأَسْمَى دُونْ بطْرَهْ[1] وَلَدِ السُّلْطَانِ الأَعْلَى الـمَلِكِ الأَفْخَم الأَضْخَم الأَصْدَق الأَوْفَى العَلَم الصَّدْر الأَوْحَدِ الأَسْرَى دُونْ أَلْفَنْش[2] مِلِكِ أَرَغُونَ، وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِنَيْلِ رِضَاهُ وَبُلُوغِ الغَايَةِ الـمَقْصُودَةِ مِنْ هُدَاهُ. سَلاَمٌ كَرِيمٌ يَخُصُّ بِهِ جَانِبَهُ الكَبِيرَ وَالسُّلْطَانَ الشَّهيرَ، مُحِبُّهُ ومُبِرُّهُ وَشَاكِرُهُ كَمَا يُرْضِيهِ وَيُيَسِّرُهُ البِرُّ بِهِ، العَلِيمُ بِوَاجِبِهِ عَامِرُ بْنُ عُثْمَانَ، مِنْ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَشُكْرِي لِجَلاَلِكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ، شُكْرٌ يَتَجَدَّدُ مَعَ الأَنَاءِ وَالأَوْقَاتِ وَيَشْهَدُ بِصِدْقِ الـمَحَبَّةِ وَالخُلُوصِ الصَّرِيحِ وَالـمُتَاتِ[3].

وَكِتَابُنَا هَذَا إِلَيْكُمْ، أَبْقَاكُمُ اللَّهُ مَحْرُوسَ الجَانِبِ مِنَ الآفَاتِ، فِي حَقِّ خَدِيمِكُمْ الفَارِسِ الفَرْجَانِي الـمُسَمَّى

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ دون ألفنسو الرّابع والد بترو الرّابع المتوفّي سنة 1336م الموافق لسنة 736هـ.

(3) ـ المتات: المقام.

بَاشْطِيبَانَ جِنْجَس[1]، إِذْ هُـوَ مِـنْ مَعَارِفِنَـا قَدِيمًـا وَقَصَـدَ إِلَـى حُرْمَةِ بَابِكُمْ وَتَعَلَّقَ بِجَنَابِكُمْ، وَحَصَلَ فِي دَارِ الحُرْمَةِ دَارِكُـمْ، وَهُوَ دُونَ تَقْسِيطٍ وَلاَ شَـيْءٍ يَتَعَيَّـشُ بِـهِ لِخِدْمَتِكُـمْ. فَعَسَـى أَنْ تَنْعَمُوا عَلَيْهِ بِمَا يُعِينُهُ عَلَى الخِدْمَـةِ وَيُنْهِضُـهُ عَلَـى التَّصَـرُّفِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي الأُمُورِ الـمُهِمَّةِ، فَإِنَّهُ عَظُمَ عَلَيْنَا أَنْ يَحِلَّ عِنْـدَ سُلْطَـانٍ مِثْلِكُمْ فَتَسْمُوهُ حَالَهُ وَتَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ آمَالُـهُ، وَمَـا عُرِفَـتْ دَارُكُمْ السُّلْطَانِيَّةُ إِلاَّ بِالجُودِ وَالكَرَمِ عَلَى مَـرِّ القِدَمِ. وَالحَاجَـةُ إِنَّمَـا هِـيَ لِجَانِبِنَـا إِذْ نَحْـنُ الشُّـفَعَاءُ فِيهَـا، وَعَلَيْنَـا لِلْجَـانِبِ السُّلْطَانِيِّ مَا يَجِبُ مِنَ الشُّكْرِ الجَزِيلِ وَالثَّنَاءِ الحَسَنِ الجَمِيلِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ بِتَقْوَاهُ كَرَامَتَكُمْ وَإِعَـانَتَكُمْ بِمَنِّـهِ. وَالسَّـلاَمُ يَخُصُّ حَضْرَتَكُمْ الـمُبَارَكَةَ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي [الـ]ـسَّابِعِ عَشَـرَ [مِـن] شَـوَّالَ [سَـنَةَ][2] سَـبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

---

(1) ـ باشطيبان Bastien: فارس قطلانيّ كان في خدمة التّاج الأرغونيّ.

(2) ـ أضيف ما بين معقّفين ليستقيم المعنى.

ـ التّحليل

يُؤكّد هذا الوزير عامر بن عثمان من عائلة أبي العُلاء إخلاصه وصداقته للملك أرغون ويتدخّل في هذا الكتاب لفائدة أحد أصدقائه ومعارفه القطلانيّين الفَارِس الفَرْجَانِي "بَاشْطِيبَانَ جِنْجَسَ" كي يقبله بترو في جملة فرسانه ومن هم في خدمته ويذكر له أنّ مكانته لدى الملك بترو تشفع لهذا الفارس وتجعله يؤمّل في كرمه وإلحاقه لخدمته.

ـ التّعليق

نستنتج من هذه الرّسالة وهذه الوساطة المكانة التي كانت لعامر بن عثمان بالتّاج الأرغونيّ والعلاقة الحميمة الوطيدة التي كانت تربط بين هذا الوزير والملك بترو ممّا حمل الوزير الغرناطيّ عامر بالتّوسّط لهذا القطلانيّ لديه فخدماته لأرغون سمحتْ له بالتّدخّل وبالقيام بمثل هذه الوساطات. فتبدو علاقاته بالتّاج الأرغونيّ في رأينا مشبوهة !

51°) ـ الوثيقة رقم 52

ـ التّقديم

هذا كتاب من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 13 محرّم سنة 738هـ الموافـق لـ 13 أوت سـنة 1337م تخصّ أعمال القطع[1] والقرصنة!

[1] ـ حدثت هذه الأعمال مدّة الصّلح المبرم بين البلدين.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَصَاحِبُ سَرْدَانِيَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ جَانِبِهِ وَشَاكِرُ مَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِهِ، حَافِظُ عَهْدِهِ البرُّ بِهِ العَارِفُ مَحَلَّهُ فِي الـمُلُوكِ وَمَنْصَبِهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] بْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجٍ بْنُ نَصْر.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ واليُسْرُ الأَشْمَلُ.

وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَعَن الحِفْظِ لِعَهْدِكُمْ وَالثَّنَاء عَلَى مَذْهَبِكُمْ فِي الوَفَاءِ وَقَصْدِكُمْ وَالعِلْمِ بِمَنْصِبِكُمْ فِي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ وَمَجْدِكُمْ.

وَإِلَى هَذَا فَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ جَوَابًا عَمَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ فِي شَأْنِ الضَّرَرِ الذِي لَحِقَ بِلاَدَنَا مِنْ أَرْضِكُمْ، تَذْكُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ

---

(1) - دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون .

(2) - السّلطان يوسف الأوّل صاحب غرناطة.

الضَّرَرَ لاَ عِلْمَ عِنْدَكُمْ بِهِ. وَحَاشَى اللَّهُ أَنْ نَعْتَقِدَ فِيكُمْ إِلاَّ الوَفَاءَ الذِي يَلِيقُ بِمَمْلَكَتِكُمْ وَسَلَفِكُمْ. فَمِثْلُكُمْ مِنَ الـمُلُوكِ الكِبَارِ لاَ يُعْتَقَدُ فِيهِ إِلاَّ الوَفَاءُ وَالصِّدْقُ. وَمَا ذَلِكَ الضَّرَرُ إِلاَّ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَأَكْثَرُهُ مِنَ النَّاسِ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِكُمْ مِنْ لَقَنْتَ وَالـمِدْوَرِ وَأَرْيُولَةَ[1] وَالأَرْضِ التِي لِنَظَرِ بِطْرَهْ[2] شَارِقَةَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ ضَرَرٌ كَبِيرٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مِنَ البِلاَدِ التِي تَحْتَ طَاعَتِكُمْ. وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ أَضَرَّ بِهَذِهِ السَّوَاحِلِ شِيطِي[3]، وَحَمَلَ مِنَ الـمُسْلِمِينَ جُمْلَةً، حَتَّى أَخَذَ وَأَقَرَّ نَاسُهُ أَنَّهُ عُمِّرَ بِبَلَنْسِيَةَ. وَالقَصْدُ مِنْكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا فِي هَذِهِ الحَالِ بِمَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْ وَفَائِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ عَلَى عَهْدِكُمْ حَتَّى تَجْبُرُوا مَا أُخِذَ مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَتَكُفُّوا الأَيْدِي العَادِيَةَ. وَعَرِّفُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ فِي قَضِيَّةِ تِلْكَ البِلاَدِ التِي خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِكُمْ لِنَعْلَمَ مَذْهَبَكُمْ فِي ذَلِكَ وَنَبْنِيَ عَلَيْهِ. وَعَرَفْتُمْ بِأَنَّكُمْ قَدْ كَتَبْتُمْ إِلَى مَيُورْقَةَ لِيُوصِلَ إِلَيْكُمْ مِنْهَا الـمُفْسِدُونَ الذِينَ خَرَجُوا عَلَى

---

(1) ـ لقنت ومدور وأريولة : مدن أندلسيّة تحت سيطرة أرغون.

(2) ـ دون بترو شارقة : حاكم قطلانيّ خرج عن طاعة ملك أرغون وهو Pedro de Xerica.

(3) ـ شيطي: مركب بحريّ سريع جدًّا.

عهْدِكُـمْ وَأَضَـرُّوا بالـمُسْلِمِينَ لِتَعْلَمُـوا فِـي قَضِيَّتِهِـمْ الوَاجِـبَ. وذَلِكَ هُوَ الذِي يَلِيقُ بكُمْ. وَنَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ.

وَوَقَفْنَا فِـي آخِرِ كِتَـابكُمْ عَلَـى فَصْلِ طَلَبْتُـمْ مِنَّـا فِيـهِ أَنْ نعرِّفَكُمْ بمَذْهَبنَا فِي الصُّلْحِ، فَـإِنَّكُمْ صَعْـبٌ عَلَيْكُـمْ مَـا تَضَمَّنَـهُ كتابُنَا مِنْ أَنَّهُ لاَ صَبْرَ عَلَى هَذَا الضَّرَر، فَاعْلَمُوا أَنَّ قَصْدَنَا بمَـا كتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مَا هُوَ، إلاَّ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا فَيُسْتَرْهَنُ فِـي ذَلِـكَ الضَّرَر.

وَأَمَّا مَا عَقَدْنَا مِنَ الصُّلْحِ، فَنَحْـنُ نُوفِـي بِـهِ عَلَـى حَسْبمَا اشْتَرَطْنَاهُ مَا وَفَّيْتُمْ لَنَا أَيُّهَا السُّـلْطَانُ، فَكُونُـوا مِـنْ ذَلِـكَ عَلَـى يَقِين. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُـمْ بتَقْـوَاهُ وَيُسْـعِدُكُمْ بطَاعَتِـهِ وَرِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الخَمِيـس الثَّـالِثِ وَالعِشْـرِينَ لِشَـهْرِ مُحَـرَّمٍ مُفْتَتَحَ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

- التّحليل

قام السّلطان يوسف الأوّل ملك غرناطة بتوجيه هذه الرّسالة إلى بترو الرّابع ردّا على كتابه الذي كان وصله في خصوص شكاياته من الضّرر الذي لحق أرضه والمسلمين الذين أسّرهم قُطّاع قطلانيّون من لقنت[1] والمدور وأريولة التي يتولّى أمرها بترو شارقه[2] وكانوا مارقين خارجين عن طاعة بترو الرّابع وشكره على موقفه من قراصنة ميورقة الذين أضرّوا بأرض غرناطة وكان يوسف الأوّل اشتكى منهم وعرّفه في الختام بأنّه لا يزال على وفائه للصّلح حسب الشّروط التي اتّفقا عليها وإنْ كان أظهر تبرّمه وضجره فلقد فعل ذلك رغبة منه في أن يتمّ أنصاف بلاده دون أن يقصد التّنكّر للسّلم المبرم.

- التّعليق

نرى انتهاكات القراصنة تتجدّد والإغارة على السّواحل تتكرّر بعد سنة من اعتلاء بطرو عرش أجداده ويبادر سلطان غرناطة

---

(1) Alicante . Almolovar . Orihuela. لقنت ومدور وأريولة : مدن أندلسيّة تحت سيطرة أرغون.

(2) Pedro de Xerica.

بالتّشكّي والمطالبة بإيقاف الضّرر وتسـريح الأسـرى ويتواصـل هكذا المسلسل المعهود: سعي لإبرام الصّلح وإمضـاء الصّلح فانتهـاك لـه وقرصنة وشكايات ترفـع وتسـريح للأسـرى أو لبعضهـم ومفاوضـات وسفارات وأنْفُسٌ بريئة تزهق وأحرار يتحوّلـون عبيـدا مـن المسلمين والنّصارى على السّواء وكأنّ تلك هي ميزة هذه العلاقـات القطلانيّـة الإسلاميّة بين غرناطة وأرغون أو قلْ ذلـك هـو قدرهـا: وهـي دوما بين مدّ وجزر !!

52°) ـ الوثيقة رقم 53

ـ التّقديم

هذه الرّسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطـة إلى بـترو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ 15 رجب سنة 739هـ الموافق لـ 27 جـانفي سنة 1339م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُرَفَّعُ المُعَظَّمُ الوَفِيُّ المَبْرُورُ المَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ المُثْنِي عَلَى مَذْهَبِهِ فِي الوَفَاء وَصِدْقِ مَوَدَّتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنُ فَرَجِ بْنُ نَصْرٍ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَسْعَدَ عَصْرَهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنِ الخَيْرِ الأَكْمَلِ وَاليُسْرِ الأَشْمَلِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعٌ مَبْرُورٌ وَوَفَاؤُكُمْ مَشْهُورٌ وَمِقْدَارُكُمْ فِي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَذْكُورٌ. وَإِلى هَذَا فَإِنَّ مِمَّا نُعَرِّفُكُمْ بِهِ أَنَّهُ حَدَثَتْ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ بِسَاحِلِ القَبْطَةَ مِنْ أَحْوَازِ الْمَرِيَةَ أَنْ غَرَقَتْ قَرْقُورَةٌ[2] كَانَتْ خَارِجَةً مِنَ الْمَرِيَةَ مُتَوَجِّهَةً إِلَى العَدْوَةِ[3]. وَلَمَا قَضَى الأَمْرُ بِغَرَقِهَا كَانَتْ [عَلَى] مَقْرُبَةٍ[4] مِنَ السَّاحِلِ فَخَرَجَ الذِينَ نَجَوْا

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ قرقورة: مركب بحريّ Carraca.

(3) ـ العدوة: السّاحل المغربيّ.

(4) ـ في الأصل: كانت مقربة: كانت [على] مقربة.

مِنَ الغَرَق إِلَى السَّاحِل فَصَادَفُوا بِهَا جَفْنَيْـن اثْنَيْن حَرْبِيَّيْـن. تَعَرَّفْنَا أَنَّ عِمَـ[ـا]رَتَهُمَا[1] مِنْ أَهْل أَرْضِكُـمْ بِتَعْرِيـفِ النَّصَـارَى الذِيـنَ اجْتَمَعُـوا بِـأَهْل الأَجْفَان وَعَرَفُوهُـمْ، فَـأَخَذَ النَّصَـارَى أَصْحَابُ الجَفْنَيْن جَمِيعَ الـمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى الذِينَ سَلِمُوا مِنَ الغَرَق، فَسَرَّحُوا النَّصَارَى بَعْدَمَا جَرَّدُوهُمْ، وَاحْتَمَلُوا الـمُسْلِمِينَ أَسَارَى. وَكُلُّ مَنْ أَخَذُوهُ مِنَ الـمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ القَضِيَّـةِ كَـانُوا مِنْ أَهْل بِلاَدِنَا مَالِقَةَ وَالْـمَرِيَةَ وَغَيْرِهِمَا. وَعَلَى الأَثَر يَصِلُكُمْ فِي ذَلِكَ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِنَا بِعُقُودٍ مُخْلِصَـةٍ. وَلَكِـنْ[2] رَأَيْنَـا أَنْ قَدَّمْنَـا هَذَا الكِتَابَ لِتَكُونُوا عَلَى عِلْـم مِـنْ ذَلِكَ وَتَعْمَلُـوا فِيـهِ مَـا هُـوَ الـمَعْرُوفُ مِنْ وَفَائِكُمْ، فَإِنَّهُ مَا فِي النَّصْرَانِيَّةِ دَارٌ أَشْهَرُ بِالوَفَاء مِنْ دَار مَلِكِ أَرَغُونَ. وَنَحْنُ نُؤَكِّدُ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ القَضِيَّـةِ عَلَـى أَنَّ وَفَاءَكُمْ لاَ يَحْتَاجُ فِيهَـا إِلَـى تَوْكِيـدٍ. وَاللَّـهُ سُبْحَانَهُ يَصِـلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْـوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَـا يُحِبُّـهُ وَيَرْضَـاهُ بِمَنِّـهِ وَكَرَمِـهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الخَامِسِ عَشَرَ لِرَجَبٍ الفَرْدِ عَـامَ تِسْـعَةٍ وَثَلاَثِـينَ وَسَبْعِمَايَةٍ، عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ. صَحَّ هَذَا.

---

[1] ـ في الأصل: عمرتهما.

[2] ـ في الأصل: ولاكن.

ـ التّحليل

كانت غرقت بساحل القبطة بأحواز مدينة الـمرية قرقورة[1] لأهل غرناطة وهي مغادرة مرسى الـمرية ومتوجّهة للعدوة (السّاحل المغربيّ) فنجا أصحابها من الغرق والتقى بهم جفنان حربيّان قطلانيّان بهما نصارى من أرغون اجتمعوا بالمسلمين والرّكّاب النّصارى النّاجين من الغرق فاحتملوا المسلمين وأسّروهم وسرّحوا النّصارى وكان جميع الأسرى المحتجزين من الـمرية ومالقة من أرض مملكة غرناطة فبادر يوسف الأوّل بالاحتجاج ومطالبة بترو الرّابع بالعمل على تسريح هؤلاء الأسرى والتّصرّف بما عرف عنه من صدق ووفاء.

ـ التّعليق

نلاحظ تعرّض أجفان الـمرية ومالقة دوما للقطع وجلّ الشّكايات الصّادرة عن غرناطة تخصّ القطع بهذين المرسيين كما أنّ القراصنة المسلمين بالأندلس هم غالبا ما يكونون أصيلي الـمرية أو مالقة وتكون عمارتهم بمرسى الـمرية. فالعلاقات بين البحّارة وقراصنة البلدين هي دوما متوتّرة وخاضعة للمصلحة والابتزاز وتتسبّب في تعكير الجوّ بين البلدين والإضرار بالعلاقات الرّسميّة.

---

(1) ـ قرقورة: Carraca وهو جفن سريع كبير.

53°) - الوثيقة رقم 60

- التّقديم

هذه الرّسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطـة إلى بـترو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ 10 شعبان سنة 745هـ الموافق لـ17 سـبتمبر سـنة 1344م حول انتهاكات الصّلح.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورَقَةَ[2] وَقُمْطُ بَرْجَلُونَـةَ، وَصَلَ اللّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَةِ اللّهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَحَافِظُ عَهْدِهِ الشَّاكِرُ لِمَذْهَبِهِ فِي الوَفَاءِ وَقَصْدِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللّهِ يُوسفُ ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْـمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ[3] وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللّهُ، وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا. وَمَمْلَكَتُكُمْ مُرَفَّعَةُ الجَانِبِ، مَعْلُومٌ مَا لَهَا فِي الوَفَاءِ مِنْ حُسْنِ الـمَذَاهِبِ.

---

(1) - دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) - ميورقة: صارت ولاية قطلانيّة تابعة لأرغون بعد أن كانت يحكمها بني غانية ثمّ حكام مستقلون من أرغون.

(3) - استولى الخليفة المرينيّ السّلطان أبو الحسن علي وادي آش ومالقة ووهبهما لصاحب غرناطة بعد تخلي ابن اشقيلولة عن مالقة. وكان سلطان فاس مكنه منها أوّلا.

وَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ تُجَّارًا مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ أَوْسَقُوا[1] بِأَنْفَا مِنَ العَدْوَةِ قَمْحًا فِي جَفْنِ النَّصْرَانِيِّ بُونْ نَاطْ بِشْكْ، مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ التَّارِيخِ الـمُوَافِقِ لِشَهْرِ يُولِيَه الـمُتَّصِلِ بِأَغُشْتَ[2]. وَاشْتَرَطُوا مَعَهُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى مَالِقَةَ فِي جُمْلَةِ مَا أَوْسَقَ أَهْلُ العَدْوَةِ، فَخَرَجَ عَلَى الجَفْنِ الـمَذْكُورِ، وَهُوَ قَدْ قَارَبَ مَرْسَى مَالِقَةَ ثَلاثَةُ أَجْفَانٍ لِلنَّصْرَانِيِّ قَلِيمَ قَحَالَهْ مِنْ أَرْضِ بَرْجَلُونَةَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الجَفْنِ بِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الجَفْنِ لِنَاسِنَا أَهْلِ مَالِقَةَ مَا يَصِلُكُمْ بِهِ التَّفْسِيرُ طَيَّ هَذَا الذِي عَلَيْهِ عَلامَتُنَا. فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ أَنْ تَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْ وَفَائِكُمْ وَتَأْمُرُوا بِأَنْ يُصْرَفَ عَلَى نَاسِنَا طَعَامُهُمْ أَوْ قِيمَتُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أُخِذَ لَهُمْ حَسْبَمَا يَقْتَضِيهِ التَّفْسِيرُ الـمَذْكُورُ. وَاعْلَمُوا أَنَّنَا مَا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ فِي هَذِهِ القَضِيَةِ إِلاَّ مَا أَثْبَتَتِ العُقُودُ[3] بِمِقْدَارِ الطَّعَامِ الذِي أُخِذَ لِنَاسِنَا بِالشَّهَادَةِ عَلَى بُونْ نَاطْ أَنَّهُ قَبَضَهُ وَعُقُودُ بِتَارِيخِ أَخْذِهِ، وَأَنَّهُ فِي وَسَطِ الصُّلْحِ[4]. وَنَحْنُ

---

(1) ـ أوسقوا: شحنوا.
(2) ـ في الأصل: بأغشت: بأغسطس: بأوت.
(3) ـ العقود هي رسوم شراء الطعام والحبوب.
(4) ـ حدث القطع مدّة الصّلح المبرم.

نَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِنْ عَمَلِكُمْ فِي الإِنْصَافِ مِنْ ذَلِكَ، فَنَشْكُرُهُ لَكُمْ أَبْلَغَ الشُّكْرِ. وَقَدْ قَدَّمَ أَصْحَابُ الطَّعَامِ الوَاصِلِ بِهَذَا الكِتَابِ إِلَيْكُمْ بِرَسْمِ قَبْضِ طَعَامِهِمْ. وَهَذَا قَصْدُنَا مِنْكُمْ. وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِيهِ مَا يَلِيقُ بِسُلْطَانِكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي العَاشِرِ لِشَعْبَانَ المُكَرَّمِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ، عَرَّفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ. صَحَّ هَذَا.

- التّحليل

تهمّ هذه الوثيقة كذلك القطع والقرصنة على أجفان المسلمين أو ما يكترونه من أجفان لحمل سلعهم وبضائعهم. ويتمثّل الوَسْقُ هذه المرّة في الطّعام والحبوب من العدوة شاطئ أنفة المغربيّ إلى مالقة. فلقد قام تجّار من أهل مالقة بوسق القمح من العدوة على جفن قطلانيّ على ملك النّصْرَانِيِّ بُونْ نَاطْ بشْكْ[1] مِنْ أَهْل بَلَنْسِيَةَ كي يوصله إلى مالقة في جملة ما أوسقه أهل العدوة وحين قارب الجفن مرسى مالقة هجمتْ عليه ثلاث أجفان نصرانيّة يمتلكها قَلِيم قَحَالَه[2] من برشلونة[3]. واستولت على الجفن بما فيه من طعام أو غيره. وكان أهل مالقة التّجّار يملكون كلّ الوثائق والعقود المثبتة لوسقهم وقيمته فطالب السّلطان إسماعيل الأوّل الملك بترو بالعمل على إنصاف أهله وإرجاع القمح أو قيمته وما أخذ من الجفن وفاء منه للصّلح ووضّح السّلطان بأنّ هذا القطع تمّ مدّة الصّلح المبرم وأنّه ينتظر إنصاف أهله وعمل ما يفرضه عليه واجبه وما عرف عنه من وفاء وإخلاص للعهود والعقود.

---

(1) - بون ناط بشك: Bonanat Bosch.

(2) - قليم قحاله : Guill'cm Cohcllo.

(3) - برشلونة: Barcelonc وهي عاصمة أرغون.

ـ التّعليق

يتواصل القطع رغم الصّلح المبرم ويتمّ هذه المرّة الاستيلاءُ على بضاعة ثمينة تتمثّل في القمح والحبوب والملاحظ أنّه مُحجّرٌ الاتّجار في الحبوب مع دول أخرى فالدّول المغاربيّة: الحفصيّون وبنو عبد الواد والمرينيّون لا يستطيعون الاتّجار في هذه البضاعة سواء استيرادها أو تصديرها لأرغون. أمّا أهل غرناطة وأرغون فمسموح لهم الاتّجار بصفة خاصّة في هذه المادّة حسبما تقرّر في عهود الصّلح المبرمة سواء سنة 1321م أو سنة 1328م أو سنة 1333م.

ونرى في هذه الوثيقة حزم يوسف الأوّل ومبادرته بالدّفاع عن أهله والمطالبة في لهجة صارمة إرجاع القمح أو قيمته والعمل على إيقاف هذا الضّرر.

54°) - الوثيقة رقم 58

- التّقديم

هذه الرّسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 23 جمادى الأولى سنة 745هـ الموافق لـ 22 سبتمبر سنة 1344م حول معاهدة الصّلح المقترحة.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُكَرَّمُ الـمُرَفَّعُ الأَوْفَى الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورقَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ بِرضَاهُ وَيَسَّرَ لَهُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ البَرُّ بِجَانِبِهِ الشَّاكِرُ لِمَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاءِ وَمَذَاهِبِهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْـمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ. كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَمَمْلَكَتُكُمْ مَشْهُورَةٌ وَمَقَاصِدُكُمْ فِي الوَفَاءِ مَشْكُورَةٌ.

وَإِلَى هَذَا، فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَيْنَا خَدِيمُنَا بَشْقَلِينُ شَرِيجَةُ[3] بِعَقْدِ الصُّلْحِ الذِي عَقَدَهُ مَعَكُمْ عَلَى جَانِبِنَا بِمَا أَعْطَيْنَاهُ مِنَ الـمَقْدُرَةِ فِي ذَلِكَ عَلَى فُصُولِ الصُّلْحِ الذِي تَقَدَّمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَشُرُوطِهِ كُلِّهَا إِلَى أَقْصَاهَا، فَوَقَفْنَا عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمْضَيْنَا حُكْمَهُ

(1) ـ دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ يوسف الأوّل بن إسماعيل صاحب غرناطة.

(3) ـ بشقلين شريجة: فارس قطلانيّ رسول ملك غرناطة إلى بترو الرّابع.

اغْتِبَاطًا بِصُحْبَتِكُمْ وَتَجْدِيدًا لِمَا سَلَفَ بَيْنَ الأَسْلاَفِ مِنَ الـمُصَادَقَةِ. وَكُنَّا قَدْ عَزَمْنَا عَلَى أَنْ نُعِيدَ إِلَيْكُمْ بَشْقَلِينَ بِجَوَابِ كِتَابِكُمْ وَعَهْدٍ بِإِمْضَاءِ الصُّلْحِ، فَقَضَى اللَّهُ أَنْ مَاتَ بَشْقَلِينُ قَبْلَ خَلاَصِ هَذِهِ الحَالِ، وَنَحْنُ نَاظِرُونَ فِيمَنْ نَبْعَثُهُ إِلَيْكُمْ بِجَوَابِ الكُتُبِ وَالأَعْقُدِ[1]. وَلَكِنْ[2] أَوْجَبَ كَتْبُ هَذَا إِلَيْكُمْ أَنَّ عِقْدَ الصُّلْحِ الذِي أَوْصَلَهُ بَشْقَلِينُ هُوَ مُؤَرَّخٌ بِالرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُونِيَةَ الـمُتَّصِلِ بِمَايُه[3] الفَارِطِ قَرِيبًا، وَمِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ إِلَى الآنَ مَا زَالَتِ الأَجْفَانُ التِي مِنْ بِلاَدِكُمْ تَتَرَدَّدُ عَلَى هَذِهِ السَّوَاحِلِ بِالضَّرَرِ حَتَّى فُقِدَ فِي هَذِهِ الـمُدَّةِ القَرِيبَةِ جُمْلَةٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثُرَتْ شَكْوَى أَهْلِ بِلاَدِنَا إِلَيْنَا مِنْ هَذِهِ الحَالِ. وَرُفِعَتْ إِلَيْنَا عُقُودٌ ثَابِتَةٌ مِنْ جُمْلَتِهَا مَا يَصِلُكُمْ بِهِ التَّفْسِيرُ طَيَّ هَذَا بِمَنْ أُخِذَ مِنَ النَّاسِ وَتَوَارِيخِ أَخْذِهِمْ. فَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الكِتَابَ نُعَرِّفُكُمْ بِذَلِكَ وَنَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ يَعِزَّ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الحَالُ وَتَغَارُوا عَلَيْهِ غَيْرَةَ مِثْلِكُمْ مِنَ الـمُلُوكِ الأَوْفِيَاءِ وَتَعْمَلُوا فِي جَبْرِ هَؤُلاَءِ الـمُسْلِمِينَ الـمَأْسُورِينَ فِي الصُّلْحِ مَا نَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ أَبْلَغَ

(1) ـ في الأصل: الأعقد: العقود.

(2) ـ في الأصل: ولاكن.

(3) ـ في الأصل: بمايه: بماي : شهر ماي.

الشُّكْرِ وَمَا يَلِيقُ بكُمْ مِنْ حِفْظِ العَهْدِ وَتوفِيَةِ الشُّرُوطِ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ الأَوَّل[1] الذِي جَدّدْنَاهُ الآنَ أَنَّهُ إذَا اسْتَوْلَتْ أَجْفَانُ بلاَدِكُمْ عَلَى جَفْنٍ مِنْ أَجْفَانِ المُسْلِمِينَ الذِينَ لَيْسُوا فِي صُلْحٍ مَعَكُمْ. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الجَفْنِ نَاسٌ مِنْ بلاَدِنَا فَإِنَّهُمْ يُسَرَّحُونَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي الحِين. وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ حَدَثَ مِثْلُ هَذَا وَأَكْثَرُ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ نَاسُكُمْ إنَّمَا كَانَتْ أَجْفَانُ بِلاَدِنَا وَنَاسِنَا.

وَهَذِهِ شِكَايَاتُ البَحْرِ، وَأَمَّا شِكَايَاتُ البَرِّ فَهِيَ أَيْضًا شَكَايَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَعَلَى الإِثْرِ يَصِلُكُمْ الكَتْبُ بِهَا وَكَذَلِكَ شِكَايَاتُ البَحْرِ بَعْدَ هَذَا يَصِلُكُمْ مَكْتُوبٌ بِهَا مَعَ الشَّاكِينَ إلَيْنَا، كَمَا كُتِبَ لِهَؤُلاَءِ الوَاصِلِينَ إِلَيْكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ وَالعِشْرِينَ لِشَهْرِ جُمَادَى الأُولَى عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

[1] ـ الصّلح الأوّل: الصّلح الذي أبرم سنة 733هـ الموافق لسنة 1333م.

ـ التّحليل

أرسل يوسف الأوّل سلطان غرناطة خادمه القائد بشقلين شريجة وصديق الملك بترو ليفاوض ملك أرغون في المعاهدة الجديدة المزمع عقدها محمّلا بتكليف رسميّ لإمضاء المعاهدة التي يتوصّل إليها حسب الشّروط المتّفق عليها فرجع هذا القائد القطلانيّ بنصّ المعاهدة الممضى فوقّع عليه السّلطان يوسف الأوّل ووضع عليه طابعه وقرّر توجيهه لبترو الرّابع مع قائمة من الشّكايات تهمّ الانتهاكات الحاصلة من تاريخ إمضاء المعاهدة في الرّابع عشر من شهر جوان سنة 1344 إلى يوم التّاريخ 22 سبتمبر 1344 وكان ينوي إرسال العقد والكتاب مضمّنا الشّكايات مع الخديم بشقلين لكنّه في الأثناء مرض وتوفّي فبعثه مع رسول آخر وحمّله قائمة الانتهاكات والأضرار الحاصلة سواء البضائع المحتجزة أو التّجّار المسلمين الذين تمّ أسّرهم في مدّة الصّلح الوجيزة هذه ورجا السّلطان بترو الرّابع بأن يسرّح الأجفان والتّجّار بأموالهم في الحين وأن يتصرّف تصرّفا يليق به وبمكانته وأن ينصف النّاس سواء الذين كانوا في البحر أو البرّ فالقطع كان برّا وبحرا والشّكايات تهمّ الجهتين.

ـ التّعليق

إنَّ انتهاك الصّلح متواصل والقطع مستمرّ رغم عقد الصّلح الجديد المبرم مع بترو الرّابع، فالقطع عمل حربيّ ولا شكّ ولكنّه عمل تجاريّ كذلك يدرّ الأرباح الطّائلة وهو إن كان مشروعا مدّة الحرب فهو محجّر زمن السّلم لكنّه يحدث دوما ويلجأ إليه أصحابه لجمع الأموال ولإضعاف العدوّ المعلن حتّى وإن كان في هدنة رسميّة وموافقا على عقد صلح مشهود به فالكلمة الأخيرة دوما للأقوى زمن السّلم أو الحرب.

ويبقى القانون المسلّط هو قانون الغاب في هذا العصر الذي لا يعطي فيه معنى لكرامة البشر ولحقوق الإنسان التي نراها في الواقع تنتهك في كلّ مكان وزمان وهي دوما مع الأسف مرعيّة للأقوى في غالب الأحوال قديما وحديثا ! !

55°) - الوثيقة رقم 61

- التّقديم

هذه قائمة الانتهاكات الحاصلة زمن عقد الصّلح المبرم وجّهها السّلطان يوسف الأوّل ملك غرناطة لبترو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 23 جمادى الأولى سنة 745هـ الموافق لـ 2 أكتوبر سنة 1344م.

ـ نصّ الرّسالة

تَفْسِيرُ الشِّكَايَاتِ التِي تَضَمَّنَهَا الكِتَابُ المُدْرَجُ هَذَا طَيُّهُ:

سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الفَخَارُ مِنْ أَهْلِ اَلْمَرِيَةَ: أَسَّرَتْهُ أَجْفَانُ بِلاَدِ أَرَغُونَ فِي اليَوْمِ الخَامِس عَشَرَ لِصَفَرَ العَرَبِيِّ فِي جَفْنِ الزَّجَاجِ، وَاسْتَقَرَّ بِبَلَنْسِيَةَ، وَتَارِيخُ عَقْدِ الصُّلْحِ المَذْكُورِ هُوَ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ يُونِيه، فَكَمُلَ فِي يَوْمِ التَّارِيخِ مِنْ مُدَّةِ عِقْدِ الصُّلْحِ مِائَةُ يَوْمٍ وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ، وَكَمُلَ مِنْ تَارِيخِ أَخْذِهِ وَهْوَ مُنْتَصَفُ صَفَرِ إِلَى يَوْمِ التَّارِيخِ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ يَوْمًا، فَظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أُخِذَ بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. انْتَهَى.

وَكَذَلِكَ اسْتُظْهِرَ لَنَا بِعَقْدٍ يَقْتَضِي أَنَّ شَخْصًا مِنْ أَهْلِ اَلْمَرِيَةَ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمْرِيش الشَّكَّازِ التُّرْجُمَانِ بِالْمَرِيَةَ، أُخِذَ فِي جَفْنِ الزَّجَاجِ المَذْكُورِ وَاسْتَقَرَّ بِبَلَنْسِيَةَ. وَأُخِذَ فِي التَّارِيخِ المَذْكُورِ. انْتَهَى.

وَاسْتُظْهِرَ لَنَا بِعَقْدٍ آخَرَ يَقْتَضِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَحْمَدَ خَرِيصَةَ المَعْرُوفَ بِشِبْرِينَ العِكْرِيش مِنْ أَهْلِ اَلْمَرِيَةَ أُسِّرَ فِي الجَفْنِ المَذْكُورِ فِي التَّارِيخِ المَذْكُورِ، وَحُمِلَ إِلَى بَلَنْسِيَةَ. انْتَهَى.

وَاسْتُظْهِرَ لَنَا أَيْضًا بِعَقْدٍ آخَرَ يَقْتَضِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنَ عُمَرَ مِنْ الْمَرِيَةَ أُسِّرَ فِي جَفْنِ الزَّجَاجِ الْمَذْكُورِ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ، وَحُمِلَ إِلَى بَلَنْسِيَةَ، وَأَنَّهُ وَصَلَ بِهِ نَصْرَانِيٌّ يُسَمَّى بِشْلِيرُ مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ إِلَى الْمَرِيَةَ، وَافْتَكَّ بِهِ مِنْهُ بِمَالٍ قَدْرُهُ.... [1].

انْتَهَتْ الشِّكَايَاتُ، وَكُتِبَ ذَلِكَ عَنِ الأَمْرِ الأَعْلَى الْمُؤَيِّدِ السَّعِيدِ السُّلْطَانِيِّ النَّصْرِيِّ، وَصَلَ اللَّهُ عَلاَءَهُ، وَوَالَى مَضَاهُ فِي الثَّالِثِ وَعِشْرِينَ لِشَهْرِ جُمَادَى الأُولَى عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ لَم تذكر قيمة المبلغ.

ـ التّحليل و قائمة الشّكايات

1 ـ أسّرت أجفان بلاد أرغون في اليوم الخامس عشر لصفر الخير سنة 745هـ سعد بن محمّد الفخار من أهل السمرية بعد عقد الصّلح بأربعة عشر يوما.

2 ـ أخذ في التّاريخ المذكور محمّد بن عبد الله بن عمريش الشَكّازِ التُرْجُمَان من أهل السَمرِيَةَ في جفن الزجاج واستقرّ ببلنسية.

3 ـ أسّر كذلك في هذا الجفن، جفن الزّجاج هذا، أحمد بن عمر من أهل المرية وحُمل إلى بلنسية واشتراه نصرانيّ بشلير من أهل بلنسية بمبلغ من المال[1].

ـ التّعليق

نرى قائمة الشّكايات طويلة وعدد الأسرى المحتجزين كبيرا في مدّة قصيرة بعد إبرام الصّلح سنة 745هـ. وهذا دليل على أنّ السّلم لا يمكن أن يتحقّق عمليّا بين غرناطة وأرغون رغم أنّها معلنة رسميّا.

---

[1] ـ لَم تذكر قيمة المبلغ.

56°) ـ الوثيقة رقم 67

ـ التّقديم

هذه الرّسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطـة إلى بـترو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ 7 جمادى الثّانية سنة 745هـ الموافق لـ 16 أكتوبر سنة 1344م حول أسير من الـمرية.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى الـمَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرُهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، أَسْعَدَهُ اللَّهُ بطَاعَتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَوَصَلَ لَهُ بِهمَا أَسْبَابَ إِحْسَانِهِ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ البَرُّ بجَانِبِهِ الـمُثْنِي عَلَى مَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاءِ وَمَذَاهِبِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْن فَرَج بْن نَصْر سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ الـمُسْلِمينَ، كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ عَن الخَيْر الأَكْمَل وَاليُسْر الأَشْمَل. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعُ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاء مَشْكُورٌ.

فَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُسِّرَ بَعْدَ عَقْدِ صُلْحِنَا مَعَكُمْ شَخْصًا مِنْ أَهْل الْمَرِيَةَ يُعْرَفُ بسَعِيدٍ بْن حَسَن الـمَقَّاق. وَقَدْ أثْبَتَ عَقْدًا صَحِيحًا أَنَّهُ أُسِّرَ بَعْدَ عَقْدِ صُلْحِنَا مَعَكُمْ فِي لَبْرَكَةَ القَادِسِي فِي أَوَاسِطِ صَفَرٍ القَرِيبِ، وَوَصَلَ الآنَ إِلَى

(1) ـ دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ يوسف الأوّل ابن السّلطان إسماعيل.

اَلْمَرِيَةَ مَعَ نَصْرَانِيٍّ زَعَمَ أَنَّهُ اشْتَرَاهُ وَقَاطَعَهُ بِاثْنَيْن وَثَلاَثِينَ[1] دِينَارًا مِنَ الذَّهَبِ العَيْن، فَرَأَيْنَا أَنَّ مِنَ الوَفَاء مَعَكُمْ وَالثِّقَةِ بِعَهْدِكُمْ أَنْ حَكَمْنَا عَلَى الـمُسْلِمِ أَنْ يُخَلِّصَ النَّصْرَانِيَّ مِنْ تِلْكَ الفِدْيَةِ، وَقَدْ خَلَّصَهُ مِنْهَا. وَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَنَا هَذَا نَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا فِي القَضِيَّةِ[2] وَتُنَفِّذُوا الحُكْمَ لَهُ بِالإِنْصَافِ مِمَّا دَفَعَ، فَإِنَّهَا أُخِذَتْ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقٍّ لِكَوْنِهِ أُسِّرَ بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الـمَضْمُونُ مِنْ وَفَائِكُمْ، وَنَحْنُ نَشْكُرُكُمْ عَلَى مَا تَعْمَلُونَهُ فِي ذَلِكَ. وَاللَّهُ يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ بِرِضَاهُ وَيُوَالِي عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي السَّابِعِ لِجُمَادَى الآخِرَةِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ، عَرَفَ اللَّهُ خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنِّهِ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ ثمن الشّخص العادي في ذلك الوقت حوالي 30 دينارا ذهبا.

(2) ـ يُطالب باسترجاع الثّمن الذي دفعه: 32 دينارا ذهبا.

ـ التّحليل

وجّه يوسف الأوّل هذا الكتاب إلى بترو الرّابع يُبلّغه فيه أنّه تمّ أسّر شخص من المرية فيمن وقع أسّرهم بعد عقد صلح سنة 1344م، وهو سعيد بن حسن المقّاف. ولقد اشتراه نصراني باثنين وثلاثين دينارا ذهبا عينا، وافتُديَ الأسير ودُفِع له المبلغ المطلوب وهو ما يتعارض وعقد الصّلح المبرم.

فطالب سلطان غرناظة بإنصاف المسلم وإرجاع ما دفعه لأنّ ذلك أُخذ بغير حقّ فالأسْرُ حدث بعد عقد الصّلح، وناشده بأن يتصرّف بما تمليه عليه عزّته وشهامته.

ـ التّعليق

نلاحظ وقوع حادثة القطع هذه بمرسى المرية بعد أشهر من عقد الصّلح. لذلك طالب يوسف الأوّل بتسريح الأسير المسلم وإنصافه لأنّ الأسر حدث بعد إبرام الصّلح. فلو تمّ قبله لسُمِح به ولكانت العمليّة مقبولة وتقدّم السّلطان بمثل هذا الطّلب. لأنّ القطع حدث مدّة السّلم والعمليّة مدّة الحرب في عُرف العصر كان يعتبر أمرا مقبولا. وكذلك بيع الأسرى واسترقاقهم! ذاك هو القانون السّائد في القرون الوسطى. وإن كانت الأديان السّماويّة تعارضه ولا سيّما الإسلام !! ولِنُذَكِّرْ هنا بقولة عمر بن الخطّاب الشّهيرة لعمرو ابن العاص والي مصر: "كَيْفَ استعْبدتُمْ النّاسَ وقدْ ولدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أحرارًا".

57°) - الوثيقة رقم 57

- التّقديم

هذ كتاب من يوسف الأوّل من غرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 25 جمادى الثّانية سنة 745هـ الموافق لِـ 24 أكتوبر سنة 1344م حول القطع.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُرَفَّعُ المُكَرَّمُ الأَوْفَى المَشْكُورُ المَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورقَةَ وَقُمْط بَرْجَلُونَةَ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بطَاعَتِهِ ورضَاهُ وَيَسَّرَ لَهُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الشَّاكِرُ لِمَذْهَبهِ فِي الوَفَاء وَقَصْدِهِ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ المُسْلِمينَ أَبي الوَلِيدِ إسْمَاعِيلَ بْن فَرَج بْن نَصْر سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَريَةَ وَوَادِي أَشْ وَأَمِيرُ المُسْلِمينَ. كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْس بفَضْل اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ واليُسْرُ الأَشْمَلُ. والحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعُ مَبْرُورُ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاء مَشْكُورٌ وَقَدْرُكُمْ فِي كِبَارِ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَمُوجِبُهُ إلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ البُحَانَسْنِي مِنْ وُزَرَاء الْمَريَةَ شَكَى إلَيْنَا بأَنَّهُ كَانَ لَهُ شَبَاكٌ[3]، أُخِذَ بسَاحِلِ عَدْرَةَ بجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِيهِ مِنَ العمَارَةِ، وَأَوْصَلَ عَقْدًا مُخَاطِبًا بأَنَّ الذِينَ أُخِذُوا

---

(1) - دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) - يوسف الأوّل: صاحب غرناطة.

(3) - شَبَاكٌ: مركب بحري.

فِيهِ هُمْ الرَّايِسُ أَحْمَدُ الفَرَسُ وَسَعْدُ الأَفْطَسُ الشَّهِيرُ بالوَقَّادِ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ النَّغْلَتِي وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ اليَصِيلِي وَعَبْدُ اللّهِ العَرَبي وَقَاسِمُ الشَرْقِي، وَأَنَّهُمْ أُخِذُوا فِي العَشْرِ الأَوَل لِجُمَادَى الأَوَّل بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ بأَزْيَدَ مِنْ شَهْرَيْن، وَحُمِلُوا إلَى مَيُورقَة. وَتَعَرَّفْنَا أَنَّ أَهْلَ مَيُورْقَةَ وَقَفُوا الحَالَ فِي أَمْرِهِمْ. فَعَرَّفْنَاكُمْ بذَلِكَ لِتُنَفِّذُوا أَمْرَكُمْ لأَهْلِ مَيُورَقَةَ بتَسْرِيحِ الشُّبَّاكِ وَالعِمَارَةِ الـمَذْكُورِينَ، يَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا نَشْكُرُهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَوَفَائِكُمْ بالعَهْدِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْكُمْ وَالـمَضْمُونُ عَنْكُمْ. وَاللّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَكُمْ بطَاعَةِ اللّهِ وَرِضَاهُ بمَنِّهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الخَامِس وَ[الـ]ـعِشْرِينَ لِجُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ، عَرَفَ اللّهُ بَرَكَتَهُ بمَنِّهِ صَحَّ بِهِ فِي تَارِيخِهِ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

بعد شهرين تقريبا من إبرام عقد الصّلح سنة 1344م وقعت الإغارة على مرسى عَذْرة قرب المرية واختُطف شَبَاكٌ وهو مركب لوزير من وُزراء المرية بمن فيه من العمارة وهم: الرَّايسُ أَحْمَدُ الفَرَسُ وَسَعْدُ الأَفْطَسُ الشَّهيرُ بالوَقَّادِ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ النَّغْلَتِي وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ اليَصِيلِي وَعَبْدُ اللَّهِ العَرَبِي وَقَاسِمُ الشَرْقِي وكانوا أُخذُوا جميعا بعد عقد الصّلح بأكثر من شهرين وحُملوا إلى ميورقة[1]. فطلب يوسف الأوّل من بترو الرّابع بأن يأذن أهل ميورقة بتسريح الشّباك وعمارته والتّصرّف تصرّف الأوفياء الملتزمين بما أمضوا عليه وتعهّدوا به.

ـ التّعليق

كان القراصنة هذه المرّة قطلانيّين ميورقيّين من جزيرة ميورقة الرّاجعة بالنّظر لملك أرغون. والملاحظ أنّ هؤلاء من أكثر القطلانيّين نشاطا وقطعا بالبحر سواء على سواحل الأندلس أو سواحل إفريقيّة والمغرب. وكانوا غالبا لا يلتزمون بعقود الصّلح ويتصرّفون حسبما

---

[1] ـ ميورقة: كان يحكم الجزيرة والٍ قطلانيّ نائب ملك أرغون.

تمليه عليهم مصلحتهم الخاصّة أو تعليمات نائب الملك، صاحب ميورقة[1].

ونؤكّد ما كنّا لاحظناه من أنّ أكثر المتضرّرين بالبحر كانوا من أهل المرية، ونرى أنّ مراكب الوزراء أنفسهم لم تسلم.

ونلاحظ أخيرا كيف كان الملوك والوزراء من المسلمين والنّصارى على السّواء يتاجرون ولا ينقطعون لخدمة الدّولة والتّفرّغ لشؤونها بل يهتمّون في المقام الأوّل بمصالحهم وأموالهم الخاصّة.

---

(1) ـ أُنظر عمر سعيدان: علاقات القطلانيّين مع الحفصيّين وكذلك علاقات القطلانيّين مع تلمسان. ط. منشورات سعيدان. سوسة. 2002.
ـ أُنظر كذلك: دراسة دوفرك: القطلانيّون والمغرب في النّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر. ط. باريس سنة 1970.

58°) - الوثيقة رقم 65

- التّقديم

هذه الرّسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطـة إلى بـترو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ 28 رجب سنة 745هـ الموافق لِـ 5 ديسـمبر سـنة 1344 حول الأسرى المسلمين.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَوْفَى الأَخْلَصُ الـمَبْرُورُ الـمَشْكُورُ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّـهُ عِزَّتَـهُ بتَقْـوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ البَرُّ بجَانِبِهِ الشَّاكِرُ لِمَقَاصِدِهِ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] ابْـنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَى ذَلِكَ وَأَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَمَاهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ واليُسْرُ الأَشْمَلُ. والحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ. وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا فَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ شَخْصَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةَ يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا بعَلِيٍّ بْنِ بَكْرُونَ الصَّايغَ وَالآخَرُ بسَعِيدٍ بْنِ أَحْمَدَ الحَجَّامِ أُخِذَا فِي جَفْنِ الزَّجَاجِ، وَهُمَا خَارِجَانِ مِنْ مَالِقَةَ. وَثَبَتَ عِنْدَنَا عَقْدٌ صَحِيحٌ أَنَّهُمَا أُخِذَا فِي نِصْفِ شَهْرِ

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع بن جاقمو الثّاني ملك أرغون.

(2) ـ السّلطان يوسف الأوّل.

صَفَرَ الفَارِطِ قَرِيبًا وَنِصْفِ صَفَرَ مُوَافِقٌ لِلسَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِيُونِيِه الـمُتَّصِلِ بِشَهْرِ مَايَةَ، وَصُلْحُنَا مَعَكُمْ عُقِدَ بِتَارِيخِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ العَجَمِي الـمَذْكُورِ، فَظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمَا أُخِذَا بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ بِاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا. وَهَذَانِ الـمُسْلِمَانِ وَصَلَ بِهِمَا إِلَى الْمَرِيَةَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ بَلَنْسِيَةَ يَرُومُ فِدَاهُمَا فَرَفَعَ إِلَيْنَا قَرَابَتُهُمَا وَعَرَّفُونَا أَنَّهُمَا أُخِذَا فِي الصُّلْحِ، فَرَأَيْنَا أَنَّ حُكْمَنَا عَلَى قَرَابَتِهِمَا بِأَدَاءِ الفِدْيَةِ لِلنَّصْرَانِيِّ ثِقَةً بِأَنَّكُمْ تُخَلِّصُونَ القَضِيَّةَ وَتَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ اشْتَرَاهُمَا أَوْ بَاعَهُمَا بَعْدَ أَخْذِهِمَا فِي الصُّلْحِ بِغَرْمِ مَا يَجِبُ فِي ذَلِكَ. فَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِي هَذِهِ القَضِيَةِ مَا هُوَ الـمَعْلُومُ مِنْ وَفَائِكُمْ، حَتَّى يُخَلِّصَ قَرَابَةَ الأَسِيرَيْنِ مِنَ الفِدْيَةِ التِي غُرِّمُوهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ، تَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ وَاجِبَ الوَفَاءِ الذِي نَشْكُرُهُ لَكُمْ. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الثَّامِنِ وَعِشْرِينَ لِشَهْرِ رَجَبَ الفَرْدِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَايَةٍ.

وَالفِدْيَةُ[1] التِي افْتُكُّوا بِهَا وَحُكْمُنَا عَلَيْهِمْ بَغَرْمِهَا لِلنَّصْرَانِيِّ الذِي أَوْصَلَهُمْ هِيَ اثْنَان وَخَمْسُونَ دِينَارًا مِنَ الذَّهَبِ العَيْنِ، سَوَاءٌ بَيْنَهُمَا. فَعَرَّفْنَاكُمْ بِذَلِكَ بَعْدَ الوُقُوفِ عَلَى عُقُودِ الفِدْيَةِ بِذَلِكَ، وَمُعَادُ السَّلاَمِ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا وَفِي تَارِيخِهِ. صَحَّ هَذَا.

[1] - متوسّط سعر الفدية للرّجل الواحد أو ثمن الشّخص الذي يباع بسوق النّخاسين ثلاثون دينارا ذهبا. (انُظر دراسة دوفرك: "القطلانيّون والمغرب...". باريس 1970. وعمر سعيدان: "العلاقات الحفصيّة والقطلانيّة". منشورات سعيدان 2002).

- التّحليل

بعد أيّام من عقد الصّلح في 14 ماي سنة 1344 م أغار القراصنة القطلانيّون على جفن الزّجاج الذي سبق أن رأيناه يتعرّض لإغارات وحوادث قطع، وأخذوا منه شخصين من أهل المرية هما علي بن بكرون الصّايغ وسعيد بن أحمد الحجّام واشتراهما نصرانيّ من بلنسية وفداهما باثنين وخمسين دينارا ذهبا عينا. فطالب يوسف الأوّل بترو الرّابع بإنصاف الأسيرين وإرجاع الفدية المقبوضة والمحدّدة باثنين وخمسين دينارا من الذّهب العين. ورجاه التّصرّف كالمعتاد بما تفرضه كرامته وعزّته وما عرف به من وفاء.

- التّعليق

نرى أهل المرية يتعرّضون دوما للقطع والأسر ونلاحظ هشاشة هذه العقود وأخلاق القوم في هذا العصر وهو ما من شأنه النّيل من التّجارة والحدّ من ازدهارها وتطوّرها بين البلدين. ونستنتج أخيرا قيمة الفدية للشّخص الواحد أو ثمن شخص عادٍ أسّر بيعَ فقيمته بلغت ما بين 28 و 32 دينارا ذهبا إذ في الوثيقة 67 باع النّصرانيّ التّاجر المسلم بـ 32 دينارا ذهبًا. وفي هذه الوثيقة بيعَ الشّخصان بـ 28 دينارا ذهبًا. فالاتّجار في الأحرار المسترقّين سيمة هذا العصر وميزة هذه العلاقة المتوتّرة وإن كانت تتمّ بدون موافقة الملوك أنفسهم! !

59°) ـ الوثيقة رقم 64

ـ التّقديم

هذه رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون حول الأسرى المسلمين، وذلك بتاريخ فاتح شعبان سنة 745 هـ الموافق لـ 8 ديسمبر سنة 1344 م.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُرَفَّعُ الـمُكَرَّمُ الـمَبْرُورُ الأَوْفَى الأَخْلَصُ دُونْ بطْرُو[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْسِغَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ البَرُّ بجَانِبِهِ العَارِفُ بأَصَالَةِ مَنَاسِبِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ بْنِ نَصْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَمَاهَا اللَّهُ. وَفَضْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ جَزِيلٌ وَصُنْعُهُ جَمِيلٌ. وَلِلَّهِ الحَمْدُ كَثِيرًا، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، الشَّاكِرُ لِمَقَاصدِهِ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِهِ وَعَنْ البِرِّ بجَانِبِكُمْ وَالشُّكْرِ لِمَقَاصِدِكُمْ فِي الوَفَاء وَمَذَاهِبِكُمْ.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّ بَعْضَ تُجَّارَ بلادِنَا شَكَوْا إِلَيْنَا بأَنَّ جَفْنًا خَرَجَ مِنْ مَالِقَةَ مُتَوَجِّهًا إِلَى العَدْوَةِ[3] فَأَخذَهُ النَّصْرَانِيُّ الـمُسَمَّى بجيلَ بَاوْ مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ صَاحِبُ الشِّيطِي. وَكَانَ فِيهِ شَخْصَانِ مِنَ الـمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ بلادِنَا وَهُمَا مَحَمَّدُ

---

[1] - دون بترو الرّابع.

[2] - الأمير يوسف: السّلطان يوسف الأوّل صاحب غرناطة.

[3] - العدوة: مضيق جبل طارق وساحل المغرب.

الشَّنَّاري وَمُحَمَّدُ السَّوَّاحِي مِنَ السَّهْلَةِ[1]، وَكَانَتْ هَذِهِ الكَايِنَةُ[2] مَنْذُ نَحْوِ مِنْ خَمْسِينَ يَوْمًا تَقَدَّمَتْ تَارِيخَ هَذَا المَكْتُوبِ. فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ أَنْ تَأْمُرُوا بِالبَحْثِ عَنِ المُسْلِمَيْنَ وَتَسْرِيحِهِمَا إِلَيْنَا، وَفَاءً بِمَا عَاهَدْتُمُونَا عَلَيْهِ، يَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا نَشْكُرُ لَكُمْ أَبْلَغَ الشُّكْرِ. وَاللَّهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ المُكَرَّمِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ السّهلة : قرية أندلسيّة.

(2) ـ في الأصل: الكاينة : الحادثة.

ـ التّحليل

بعد أربعة أيّام من توجيه رسالته الأخيرة لبترو الرّابع وستّة عشر يوما تقريبا من إبرامه عقد الصّلح معه نراه يراسله لمطالبته بتسريح تاجريْن مسلميْن من مالقة وقع أخذهما وهما في طريقهما من العدوة من السّاحل المغربيّ إلى مالقة، وهما محمّد الشّناري ومحمّد السّوّاحي من السّهلة، فطلب منه الإذن بالبحث عنهما وتسريحهما وفاءً منه للعهد.

ـ التّعليق

نلاحظ جفاف اللّهجة وصرامتها بلْ انفعال السّلطان لتكرّر هذا القطع في عهد الصّلح فيقول له: "فَنُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ أَنْ تَأْمُرُوا بِالبَحْثِ عَنِ الـمُسْلِمَيْن وَتَسْرِيحِهِمَا إِلَيْنَا، وَفَاءً بِمَا عَاهَدْتُمُونَا عَلَيْهِ". ولا يتوسّع في الالتماس والشّكر والدّعاء كالمعتاد!!

60°) ـ الوثيقة رقم 59

ـ التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة بتاريخ 10 شعبان سنة 745هـ الموافق لـ17 ديسمبر سنة 1344م قائمة في الشّكايات والانتهاكات الحاصلة بعد عقد صلح سنة 745هـ الموافق لسنة 1344م.

- نصّ الرّسالة

وَصَلَ اللَّهُ السُّلْطَانَ دُونْ بطْـرَهْ[1] مِلِكَ أَرَغُـونَ سَعَادَةً فِـي رِضْوَانِهِ وَضَاعَفَ لَهُ بِذَلِكَ مَوَاهِبَ إِحْسَانِهِ.

هَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ الذِي صَحَّ عِنْدَنَا بالعُقُودِ الثَّابتَةِ أَنَّـهُ أُخِـذَ لأَهْلِ بلاَدِنَا فِي جَفْنِ بُونَ نَاطَ بَاشِكَ مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ حَسْبَمَا يُذْكَرُ :

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بنُ قَاسِمَ مِنْ أَهْلِ مَالِقَـةَ : أُخِـذَ لَـهُ مِـنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ قَفِيزَانِ مِنْ أَقْفِزَةِ أَنْفَا[2] ، كُلُّ قَفِيز مِنْهُمَا[3] فِيـهِ مِايَـةُ قَدْحٍ مِنْ قَمْحٍ وَاحِـدَةٍ، وَعِشْرُونَ قَدْحًا مِـنْ أَقْـدَاحِ الأَنْدَلُـس، يَجِبُ لِلْقَفِيزَيْنِ مِايَتَا قَدْحٍ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ قَدْحًـا. اِنْتَهَـى عَلَـى مُلْحَق مِنْ قَمْحٍ.

قَاسِمُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّاء مِنْ أَهْلِ مَالِقَـةَ : أُخِـذَ لَـهُ فِي ذَلِكَ الطَّعَامِ سِتُّمِايَةُ قَدْحٍ وَأَرْبَعَةُ عَشَرَ قَدْحًا مِنْ القَمْحِ. اِنْتَهَى.

---

(1) - دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) - أَنْفَا : مدينة مغربيّة قريبة من الرّباط.

(3) - في الأصل : منهم. القفيز وحدة كيل للحبوب : مقـدار 160 لـتر قمـح أو شـعير اليوم.

مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الكَوَّابِ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ: أُخِذَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ ثَلاثُمِايَةُ قَدْحٍ وَاحِدٍ وَسِتُّونَ قَدْحًا مِنَ القَمْحِ. اِنْتَهَى.

مُحَمَّدُ بْنُ الغَرْطَشِي: أُخِذَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ القَمْحِ ثَلاثُمِايَةُ قَدْحٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسُونَ قَدْحًا. اِنْتَهَى.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ حَمِيدٍ الأَمِينُ: أُخِذَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ القَمْحِ أَلْفُ قَدْحٍ وَاحِدٍ وَسِتُّمِايَةُ قَدْحٍ وَثَمَانُونَ قَدْحًا. اِنْتَهَى.

هَذِهِ الأَسْمَاءُ الخَمْسَةُ هِيَ التِي ثَبَتَ عِنْدَنَا أَنَّ أَهْلَهَا مِنْ بِلادِنَا وَأَنَّ قَدْرَ مَا أُخِذَ لَهُمْ مَا فُسِّرَ بِأَسْمَائِهِمْ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ عَنْ أَمْرِ الأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ يُوسُفَ اِبْنِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ، أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ. بِتَارِيخِ العَاشِرِ لِشَعْبَانَ المُكَرَّمِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِايَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

تتمثّل هذه الانتهاكات حسب هـذه القائمـة في أعمـال القرصنـة التّالية :

1 ـ الاستيلاء على قفيزين قمحًا من أقفـزة مدينـة أنفـا المغربيّـة لعليّ بن إبراهيم بن قاسم من أهل مالقة والقفيز مائة قدح من القمـح وعشرون قدحا من أقداح الأندلس.

2 ـ الاستيلاء على خمسة أقفزة وأربعة عشر قدحا من القمح من أقداح الأندلس.

3 ـ أَخذُ ثلاثمائة قدح من القمح وواحدٌ وستّون قدحا من أقـداح الأندلس لِمُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الكَوَّابِ مِنْ أَهْل مَالِقَةَ.

4 ـ الاستيلاء على ثَلاَثُمِائَـةِ قَـدْحٍ وَأَرْبَعَـةٌ وَخَمْسُـونَ قَدْحًـا مـن القَمْحِ أي حوالي ثلاثة أقفزة لِمُحَمَّد بْنُ الغَرْطَشِي.

5 ـ أُخِذَ أَلْفُ قَدْحٍ وَسِتُّمِايَةٍ قَدْحٍ وَثَمَانُونَ قَدْحًا مـن القَمْحِ أي حوالي عشر أقفزة لمُحَمَّد بْنِ يَحْيَى بْن حَمِيدٍ الأَمِين من أهل غرناطة.

ـ التّعليق

إنّ الجفن الذي قام بالقرصنــة هــو بَاشِـك لِبُـونَ نَـاطَ القرصـان المعروف مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ والذي كان أغار علـى أجفـان عديـدة كمـا تبيّن في وثائق تقدّمت. ونلاحظ أنّ كثيرا من القراصنة القطلانيّين هم أصيلو بلنسية التي كان استرجعها التّاج الأرغونيّ مواصـلا تهديـده لـمُرسية والـمرية ومخطّطا للاسـتيلاء عليهمـا لذلـك كـانت أجفـان الـمرية دوما ضحيّة القطع القطلانيّ.

ونلاحظ أخيرا أهمّيّة البضاعة المستولى عليها والمتمثّلـة في القمـح المرغوب فيه دوما وكانت الكنيسة حجّـرت علـى النّصـارى تصديـر قموح البلاد النّصرانيّة للأندلس وبلاد الإسلام عامّة[1].

---

(1) ـ أُنظر علاقات القطلانيّين بالحفصيّين وعلاقاتهم بالمرينيّين لعمر سـعيدان. نشـر مؤسّسة سـعيدان سنة 2002.

61°) ـ الوثيقة رقم 62

ـ التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة المرسلة في شعبان سنة 745هـ الموافق لديسمبر سنة 1344م قائمة في الأشخاص الذين تمّ أسرهم من أهل الأندلس في جفن برنقيل لدون من برشلونة[1].

(1) ـ برنقيل لدون : Berenguer Ladon.

ـ من برشلونة : de Barcelone

ـ نصّ الرّسالة

تَفْسِيرٌ بِأَسْمَاءِ الأَشْخَاصِ الذِينَ أُسِّرُوا وَأُخِذَتْ أَمْوَالَهُمْ مِـنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ فِي جَفْنِ بَرَنْقِيلَ لَدُونَ مِنْ بَرْجَلُونَةَ وَالنَّصْرَانِيِّيْـنِ الآخَرَيْنِ الـمَذْكُورَيْنِ مَعَهُ فِي الكِتَابِ:

مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنَ الوَهْرَانِي مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةَ: أَخَذَ مَالَـهُ الرَّائِـسُ بِالجَفْنِ وَأُسِّرَ وَافْتُكَّ[1] بِأَرْبَعِينَ دِينَارًا مِنَ الذَّهَبِ العَيْنِ، وَأَخَذَ أَسْبَابَهُ العِمَارَةُ[2] وَالقَرَاصِنَةُ. اِنْتَهَى.

مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الـمَعْرُوفُ بِخَرِيصَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةَ: أَخَذَ مَالَهُ صَاحِبُ الجَفْنِ وَأُسِّرَ وَافْتُكَّ بِخَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ دِينَارًا مِنَ الذَّهَبِ العَيْنِ. اِنْتَهَى.

الحَاجُّ السَّقَاءُ مِنْ أَهلِ مَالِقَةَ: أُخِذَ مَالُـهُ وَأُسِّرَ وَهُـوَ بَـاقٍ فِـي الأَسْرِ. اِنْتَهَى.

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الرُّومِي: أُخِذَ مَالُهُ وَأُسِّرَ وَافْتُكَّ بِثَلاَثِينَ دِينَـارًا مِنَ الذَّهَبِ العَيْنِ. اِنْتَهَى.

---

(1) ـ افتكّ: افتُديَ.

(2) ـ العمارة: البحّارة. العمّال بالمركب.

إِبْرَاهِيمُ الوَادِي[1] أَشْ: أُخِذَ مَالُهُ وَأُسِّرَ وَهْوَ فِي الأَسْرِ. اِنْتَهَى.

مُحَمَّدُ الـمَرِينِي: أُخِذَ مَالُهُ وَأُسِّرَ.

اِنْتَهَى التَّفْسِيرُ.

---

(1) - إبراهيم: من وادي أش. ولاية تابعة لملكة غرناطة.

ـ التّحليل

قائمة الأسرى المحتجزين مع أموالهم في جفن برنقيل لدون:

1 ـ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنَ الوَهْرَانِي مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةَ: أَخَذَ مَاله رايس الجَفْنِ وَأسّره وباعه بأَرْبَعِينَ دِينَارًا ذهبا عينا.

2 ـ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ المَعْرُوفُ بخَرِيصَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةَ: أخذ ماله صَاحِبُ الجَفْنِ وَأُسِّرَ وبيع بخَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ دِينَارًا ذهبا عينا.

3 ـ الحَاجُّ السَّقَاءُ مِنْ أَهِلِ مَالِقَةَ: وَقد أُسِّرَ وأُخِذَ مَالُهُ وَهُوَ لا يزال أسيرا.

4 ـ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الرُّومِي: أُسِّرَ وافتُكَ مَالُهُ وَبيع بثَلاَثِينَ دِينَارًا ذهبا عينا.

5 ـ إبْرَاهِيمُ الوَادِي أَشْ: من أهل القادسيّة Guadio : أُخِذَ مَالُهُ وَأُسِّرَ وَهْوَ لا يزال فِي الأَسْرِ.

6 ـ وأخيرا مُحَمَّدٌ المَرِينِي الذي أُخِذَ مَالُهُ وَأُسِّرَ.

ـ التّعليق

نلاحظ أنّ الأسرى الذين تمّ الاستيلاء على أموالهم وأخذهم هم من بلاد الأندلس: اثنان من المرية واثنان من مالقة وشخص واحد

من القادسيّة. ولقد تمّ بيع ثلاثة ووقع استرقاقهم وإبقاء اثنين في الأسر ولقد حدَث القطع مدّة الصّلح وفي جفن يملكه نصرانيّ برنقيل لدون كان ساهم بنفسه في القرصنة والاستيلاء على أموال زبائنه وتسليمهم للقراصنة العاملين في عمارته بجفنه وهو أصيل برشلونة عاصمة أرغون والمعروف جيّدا لدى التّاج الأرغونيّ فلنا أن نتساءل هل أنّ هذه العمليّة تمّت بمباركة بلاط أرغون ولا سيّما أنّ يوسف الأوّل كان كاتب في شأنها ولم تتمّ الإجابة على مراسلته والاستجابة لطلبه. فعمليّات القرصنة هذه هي وسيلة ناجعة يستعملها التّاج الأرغونيّ للضّغط على غرناطة وتحقيق أهدافه ومخطّطاته فيتمّ ابتزاز غرناطة عن طريقها ! !

القويّ يتهادن مع الضّعيف ويستغلّ الفرصة لابتزازه فكأنّ الأمر بالأمس على شاكلة ما يحدث اليوم! لم يتغيّر شيء بل تغيّرت الوسائل والأساليب وأصبحت تتمّ تحت غطاء الأمميّة والعالميّة ! !

°62) - الوثيقة رقم 63

- التّقديم

هذه رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون حول الأسرى وضحايا القطع بتاريخ منتصف شعبان سنة 745هـ الموافق لـ 22 ديسمبر سنة 1344.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَعَزُّ الـمُرَفَّعُ الأَوْفَى الـمُكَرَّمُ الـمَشْكُورُ الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرُو[1] مَلِكُ أَرغُون وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورقَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللّهِ وَرِضَاهُ، حَافِظُ عَهْدِهِ الشَّاكِرُ لِمَذْهَبِهِ فِي الوَفَاءِ وَقَصْدِهِ الـمُثْنِي عَلَى مَوَدَّتِهِ العَارِفُ بِأَصَالَةِ مَمْلَكَتِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ حَضْرَتِنَا غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُرَفَّعٌ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاءِ وَالصُّحْبَةِ مَشْكُورٌ وَمِقْدَارُكُمْ فِي كِبَارِ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

---

(1) - دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) - يوسف الأوّل ابن السّلطان إسماعيل.

وَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْـلِ بِلاَدِنَـا وَصَلُـوا فِـي جَفْنِ بَرَنْقِيلٍ لَدُونَ مِنْ بَرْجَلُونَةَ مِنَ العَدْوَةِ[1]. وَكَانَ فِي الجَفْـنِ مَالٌ كَبِيرٌ لِلتُّجَّارِ الـمُفَسَّرَةِ أَسْمَاؤُهُمْ طَيَّ هَذَا مِنْ أَهْـلِ غَرْنَاطَـةَ وَالْمَرِيَةَ وَمَالِقَةَ. فَحَدَثَ عَلَـى الجَفْـنِ بِبَعْـضِ السَّـوَاحِلِ التِـي تَقْرُبُ مِنَ الْمَرِيَةَ نَوْءٌ[2] غَرِقَ بِهِ الجَفْنُ. فَلَمَّا حَدَثَ ذَلِكَ وَاتَّفَقَ أَنْ كَانَ بِذَلِكَ السَّاحِلِ أَجْفَانٌ ثَلاَثَةٌ مِـنْ أَجْفَـانِ بِلاَدِكُـمْ وَهِـيَ لِافِرَنْسِيشْكَ مِنْ أَهْـلِ بَلَنْسِـيَةَ وَمَرْتِـين بَـازَاقُوهُ مِـنْ أَرْيُولَـةَ. فَتَعَرَّضُوا لأَخْذِ الـمُسْلِمِينَ الذِينَ كَانُوا فِـي الجَفْـنِ الغَرِيـقِ مِـنْ أَهْلِ العَدْوَةِ وَأَهْلِ بِلاَدِنَـا. فَـاجْتَمَعَ صَـاحِبُ الجَفْـنِ بِالتُّجَّـارِ الذِينَ مِنْ بِلاَدِنَا وَاسْتَخْلَصَ مِنْهُمْ جَمِيعَ مَـا كَـانَ عِنْدَهُـمْ مِـنَ الأَمْوَالِ وَالـمَتَاعِ. وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ احْتِيَاطٌ عَلَيْهِمْ لِئَلاَّ يَأْخُذَ ذَلِكَ أَصْحَابُ الأَجْفَانِ. فَصَدَّقُوهُ فِي ذَلِكَ وَمَكَّنُوهُ مِـنْ كُـلِّ مَـا كَانَ عِنْدَهُمْ مِـنَ الـمَالِ. ثُـمَّ إِنَّـهُ اجْتَمَـعَ بِأَصْحَـابِ الأَجْفَـانِ وَمَكَّنَهُـمْ مِنْهُـمْ. فَأَسَـرُوهُمْ وَوَقَفُـوا مِنْهُـمْ فِـي بَعْـضِ تِلْـكَ السَّوَاحِلِ. فَفُدِيَ مِنْهُمْ بَعْضُهُـمْ بِمَـالٍ تَتَعَرَّفُونَـهُ مِـنَ التَّفْسِـيرِ

---

[1] ـ العدوة: بلاد المغرب.

[2] ـ نوء: عاصفة.

الـمُدْرَجِ طَيَّى هَذَا، وَبَقِي بَعْضُهُمْ فِي الأَسْرِ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَمَا اسْتُرْجِعَ لَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ وَكَانَتْ أَمْوَالاً عَرِيضَةً.

وَهَذِهِ القَضِيَةُ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ مَا فِيهَا، فَالحَالُ فِيهَا أَشْنَعُ مِنْ أَنْ شُرِحَ لَكُمْ، وَجَمِيعُهُمْ هُمْ مِنْ أَهْـلِ بِلاَدِكُـمْ وَمَـا حَـدَثَ هَذَا إلاَّ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ القَرِيبَةِ بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ بِأَشْهُرٍ. فَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ يَصْعُبَ عَلَيْكُمْ هَذَا الحَالُ، فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الخُرُوجِ عَلَى عَهْدِكُمْ مَـا يَجِـبُ إِلَيْكُـمْ إِنْكَـارُهُ وَتَغْـيِّرُهُ وَتَغَـيُّرُهُ وَعَمَـلُ الوَاجِـبِ فِيـهِ. وَقَـدْ تَوَجَّـهَ مِـنْ أَصْحَـابِ الشِّـكَايَاتِ صُحْبَـةَ رَسُولِنَا إِلَيْكُمْ بَعْضُهُمْ ثِقَةً بِوَفَائِكُمْ. وَأَنْتُمْ تَعْمَلُـونَ فِـي إِنْصَافِ الجَمِيعِ مَا يَلِيقُ بِكُمْ وَمَا نُقَابِلُكُمْ عَلَيْـهِ بِالشُّكْرِ. وَاللَّـهُ تَعَـالَى يُسْعِدُكُمْ بِرِضْوَانِهِ وَيَصِلُ لَكُـمْ بِـهِ عَوَائِـدَ[1] إِحْسَـانِهِ. وَالسَّـلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِـبَ فِـي نِصْـفِ شَـعْبَانَ الـمُكَرَّمِ عَـامَ خَمْسَـةٍ وَأَرْبَعِـينَ وَسَبْعِمِايَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ في الأصل: عوايد: عوائد أي نتائج إحسانه وما يترتّب عنه.

ـ التّحليل

وجّه يوسف الأوّل هذه الرّسالة محتجّا ومطالبا بتسريح الأسرى وما أخذ منهم وبالعمل على كفّ هذا الضّرر الحاصل في هذه الفترة الوجيزة مباشرة بعد إمضاء عقد الصّلح فلقد كان جماعة من التّجّار الأندلسيّين من غرناطة ومالقة والمرية عائدين إلى الأندلس من العدوة على جفن لقطلانيّ من برشلونة برنقيل لدون عرف في مراسلات سابقة بقطعه واستيلائه على أموال ركّابه[1]. وصادف أن غرق هذا الجفن بسبب النّوء قرب سواحل المرية وكان ركّاب تجار من المسلمين لهم مال كثير فطلب منهم صاحب المركب برنقيل بأن يسلّموه مالهم خوفا عليهم من القراصنة ولا سيّما أنّ أصحاب أجفان ثلاثة قطلانيّة كانت بهذه السّواحل يملكها كلّ من إِفْرَنْسِيشْكَ مِنْ أَهْل بَلَنْسِيَةَ وَبَازَاقُوهْ مِنْ أَرْيُولَةَ أحاطت بالجفن الغريق فوافق التّجّار المسلمون على طلبه وسلّموه كلّ ما بحوزتهم من مال وفير فأخذ المال ثمّ سلّم التّجّار لأصحاب الأجفان الثّلاثة فاقتادوهم وباعوا بعضهم بأثمان طائلة وفدوا آخرين وبقي منهم البعض في الأسر. فطالب يوسف الأوّل بتسريحهم وردّ أموالهم وما دفعوه من فدية وبمعاقبة المعتدين وكفّ هذا الأذى وهذا العمل الشّنيع المنتهك

---

[1] ـ أنظر الوثيقة السّابقة عدد 63: قائمة الأسرى.

للصّلح المبرم ولم تمض مدّة طويلة على توقيعه ووجّه صاحب غرناطة رسولا محمّلا هذا الكتاب ومصحوبا بأصحاب الشّكايات ومكلّفا بالعمل على إرجاع الأموال وتحرير الأسرى والحصول على ضمانات لكي لا يتكرّر هذا القطع والانتهاك لعقد الصّلح.

- التّعليق

إنّ لهجة هذا الكتاب صارمة وعضب السّلطان واضح. فهو يصف العمليّة بالشّنيعة ويقول: "وَهَذِهِ القَضِيَةُ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ مَا فِيهَا. فَالحَالُ فِيهَا أَشْنَعُ مِنْ أَنْ شُرِحَ لَكُمْ": ويواصل فيقول مطالبا منه تحديد موقفه وعمل الواجب فيه: " فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الخُرُوجِ عَلَى عَهْدِكُمْ مَا يَجِبُ إِلَيْكُمْ إِنْكَارُهُ وَتَغْيُرُّهُ وَعَمَلُ الوَاجِبِ فِيهِ".

ويبدو أنّ الوثيقة السّابقة رقم 59 المتمثّلة في قائمة الشّكايات والانتهاكات كانت تصاحب هذه الرّسالة وهي على كلّ تهمّ نفس الجفن ونفس الشّخص صاحب المركب: برنقيل لدون Berenguen Ladon.

فنلاحظ رغم عقد الصّلح وحزم بترو الرّابع تكاثر الشّكايات وتواصل عمليات القطع والأسر وبالتّالي توتّر العلاقات فنتساءل هل كان بطرو الرّابغ ملك أرغون على علم بهذه العمليّات ومتسامحا مع مثل هذه القرصنة ؟؟

63°) ـ الوثيقة رقم 56

ـ التّقديم

هذا الكتاب من يوسف الأوّل صاحب غرناطة يعتمد بـه رسـوله القائد حسن بن كماشة سفيرا لدى بترو الرّابـع ملـك أرغـون وذلـك بتاريخ 18 شعبان سنة 745هـ الموافق لـ 23 ديسمبر سنة 1344م.

ـ نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَيَسْمَعُهُ أَنَّنَا الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ بْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجِ بْنِ نَصْرٍ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ، لَمَّا انْعَقَدَ الصُّلْحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السُّلْطَانِ الأَجَلِّ المُرَفَّعِ الأَوْفَى المَبْرُورِ الأَخْلَصِ سُلْطَانِ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورْقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُمْطِ بَرْجَلُونَةَ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَرِضَاهُ طَلَبْنَا مِنْ مَحَلِّ أَبِينَا السُّلْطَانِ الجَلِيلِ المُعَظَّمِ الأَشْهَرِ الأَوْحَدِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الحَسَنِ[1] سُلْطَانِ العَدْوَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ أَنْ يَنْعَمَ بِالإِذْنِ لَنَا فِي عَقْدِ صُلْحٍ مَعَهُ عَلَى بِلاَدِهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَوَائِدُ[2] صُلْحِهِ مَعَ تِلْكَ المَمْلَكَةِ وَأَعْطَانَا مَقْدُرَةً لِعَقْدِ ذَلِكَ فَاقْتَضَى نَظَرُنَا أَنْ وَجَّهْنَا إِلَى السُّلْطَانِ دُونْ بِطْرُهْ[3] بِرَسْمِ عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَهُ عَلَى بِلاَدِ السُّلْطَانِ أَبِي الحَسَنِ بِالعَدْوَةِ

---

(1) ـ أبُو الحسن: سلطان العدوة: أبو الحسن بن السّلطان أبي سعيد المرينيّ سلطان المغرب الأقصى وتلمسان بفاس.

(2) ـ في الأصل: عوايد: العوائد. والمقصود من ذلك بنود الصّلح المعتادة.

(3) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

وَالأَنْدَلُس القَـائِدَ[1] الأَجَـلَّ الأَعَـزَّ الأَرْفَـعَ الأَمْجَـدَ الحَسِـيبَ الأَصِيلَ الأَفْضَلَ خَاصَّتِنَا الحَظِيَّ لَدَيْنَـا الـمَبْرُورَ الأَخْلَـصَ أَبَـا الحَسَنِ بْنَ كُمَاشَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ وَرِفْعَتَهُ. وَأَمَرْنَـا لَـهُ بِهَـذَا الـمَكْتُوبِ ظَهِيرًا عَلَى أَنَّ مَـا يَعْقِدُهُ فِـي ذَلِكَ فَنَحْـنُ نُمْضِيـهِ وَنَلْتَزِمُ حُكْمَهُ وَنُلْزِمُهُ مَنْ أَذِنَ لَنَا فِيهِ بِمَا عِنْدَنَا فِـي ذَلِـكَ مِـنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ أَبِي الحَسَنِ، وَلِأَنْ[2] يَكُونَ هَذَا ثَابِتًـا وَلَا يَلْحَـقَ فِيهِ شَكٌّ. أَمَرْنَا بِكَتْبِ هَذَا الـمَكْتُوبِ وَجَعَلْنَا عَلَيْـهِ خَـطَّ يَدِنَـا وَطَابَعَنَا شَاهِدًا عَلَيْنَا بِإِمْضَاءِ حُكْمِهِ وَذَلِكَ فِـي السَّادِسِ عَشَرَ لِشَعْبَانَ مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ في الأصل: القايد: القائد. والمقصود هنا السّفير أبو الحسن عليّ بن كماشة أبـو الحسن المرينيّ: سلطان فاس وتلمسان. من أعظم سلاطين الدّولة المرينيّة. فتح إفريقيّة وتلمسان والأندلس وأوقف هجومات النّصارى.

(2) ـ في الأصل: ولأن: حتّى.

- التّحليل

أعلن يوسف الأوّل صاحب غرناطة في هذا الكتاب إبرامه عقد صلح مع بترو الرّابع ملك أرغون وطلبه رسميًا من الخليفة المرينيّ سلطان فاس أبي الحسن أن يعقد باسمه ونيابة عنه هذا الصّلح بينه وبين أرغون حسبما جرت به العادة وأنّه كلّف قائده ورسوله وحظيّه أبا الحسن بن كماشة بمهمّة عقد الصّلح وإمضائه باسمه ونيابة عن السّلطان أبي الحسن المرينيّ، محلّ أبيه، وتعهّد يوسف الأوّل في هذا الكتاب والرّسم الذي سلّمه إلى ابن كماشة بالالتزام مع السّلطان أبي الحسن بشروط الصّلح وبثبوته وصحّة بنوده.

- التّعليق

نلاحظ من خلال هذه الوثيقة عمق العلاقة القائمة بين المرينيّين وبني الأحمر بغرناطة ومدى اعتماد يوسف الأوّل على السّلطان أبي الحسن الخليفة القويّ الذي استطاع أن يبسط نفوذه على كامل الجزيرة المغاربيّة: إفريقيّة وتلمسان والمغرب الأقصى ويهزم النّصارى مرّات عديدة بالأندلس، بالجزيرة الخضراء وبطريف وبجبل طارق ويهدّد مصالح النّصارى سواء القشتاليّين أو القطلانيّين بأرغون لذلك نرى ملك أرغون القويّ والشّابّ بطرو الرّابع يسعى

للحصول على عقد صلح مع المرينيّين ويطلب من يوسف الأوّل التّوسّط لذلك ويغتنم ملك غرناطة علاقته المتينة بأبي الحسن المرينيّ واحتماءه لمطالبة سلطان فاس بأن يسمح له بأن يعقد باسمه صلحا مع أرغون ينضوي تحته المرينيّون وبنو الأحمر ويضمن بذلك السّلم للمنطقة فيقبل الخليفة أبو الحسن العرض وهو في موقف قوّة ويكلّف ابنه يوسف الأوّل[1] كما يحلو له أن يقول بإمضاء العقد. فالدّولة المرينيّة في أوج قوّتها وغرناطة تشعر لذلك بالأمان والاطمئنان وتتصرّف بكياسة وتتعامل مع أرغون معاملة النّدّ للنّدّ.

---

(1) ـ انظر علاقة القطلانيّين بالمرينيّين: فصل أبي الحسن المرينيّ ووثيقة الحلف بين غرناطة وأرغون والمرينيّين للمؤلّف. منشورات سعيدان نوفمبر سنة 2002.

64°) ـ الوثيقة رقم 66

ـ التّقديم

هذه نسخة من كتاب ليوسف الأوّل أرسله إلى بترو الرّابع ملك أرغون حول معاهدة الصّلح المبرمة مع السّلطان المرينيّ أبي الحسن وأعمال القرصنة المختلفة بتاريخ 4 ربيع الأوّل سنة 746هـ الموافق لـ 5 جويلية سنة 1345م.

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الـمُكَرَّمُ الـمُرَفَّعُ الـمُوَفَّى الـمَشْكُورُ الـمُوثَرُ الـمَبْرُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْـرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُـونَ وَسُـلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَمَيُورقَةَ وَقُمْطُ بَرْجَلُونَةَ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بطَاعَتِـهِ وَرِضْوَانِهِ وَعَرَّفَهُ بهمَا عَوَارِفَ إحْسَانِهِ، مُكَـرِّمُ مَمْلَكَتِـهِ وَشَـاكِرُ مَوَدَّتِهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الـمُثْنِي عَلَى مَذْهَبِـهِ فِـي الوَفَـاء وَقَصْدِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّـهِ يُوسـفُ ابْـنُ أَمِـير الـمُسْلِمِينَ أَبِـي الوَلِيـدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَـرَجِ بْـنِ نَصْـرِ سُلْطَانُ غَرْنَاطَـةَ وَمَالِقَـةَ وَالْمَريَـةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إلَيْهَا، وَأَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّا كَتَبْنَـاهُ إِلَيْكُـمْ مِـنْ حَمْـرَاءَ غَرْنَاطَـةَ حَرَسَـهَا اللَّهُ. وَلَيْـسَ بفَضْـلِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَـلُ واليُسْـرُ الأَجْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَمَمْلَكَتُكُمْ مُرَفَّعَةُ الجَانِبِ، مَشْـكُورٌ مَا لَهَا فِي مَدِّ حُسْنِ الـمَذَاهِبِ، مَحْفُوظٌ عَهْدُهَا بالوَاجبِ.

وَإلَى هَذَا فَمُوجِبُهُ إلَيْكُـمْ هُـوَ أَنَّ رَسُـولَنَا أَبَـا الحَسَـنِ بْـنَ كَمَاشَةَ، أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَصَلَنَا بِكِتَابكُمْ الـمُوثِرِ جَوَابِ كِتَابنَا إلَيْكُمْ

---

[1] - في الأصل: ولاكن.

فِي شَأْنِ عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَكُمْ عَلَى بِلاَدِ مَحَلِّ أَبِينَا[1] السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ أَبِي الحَسَنِ أَيَّدَهُ اللَّهُ. وَقَدْ وَقَفْنَا عَلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْتُمْ عَلَى العَقْدِ الذِي وَجَّهْتُمْ بِأَنَّكُمْ قَدْ عَقَدْتُمْ الصُّلْحَ عَلَى الجَانِبَيْنِ[2] عَلَى الشُّرُوطِ التِي تَضَمَّنَهَا الـمَكْتُوبُ. وَشَكَرْنَا قَصْدَكُمْ فِي ذَلِكَ. وَلَمَّا وَصَلَ بِكِتَابِكُمْ عَزَمْنَا عَلَى تَوْجُّهِهِ إِلَى العَدْوَةِ بِرَسْمِ خَلاَصِ الحَالِ وَأَخْذِ أَمْرِ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ أَبِي الحَسَنِ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِإِمْضَاءِ مَا عَقَدْتُمْ مَعَهُ وَانْبِرَامِ أَحْكَامِهِ، فَحَدَثَ عَلَى القَائِدِ[3] أَبِي الحَسَنِ مَرَضٌ مَنَعَهُ مِنَ التَّوَجُّهِ فِي ذَلِكَ. وَرَأَيْنَا أَنَّ غَيْرَهُ لاَ يَقُومُ مَقَامَهُ فِي ذَلِكَ، فَتَأَخَّرَ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَرَاحَ مِنْ مَرَضِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى السُّلْطَانِ. فَقَدْ وَصَلَ جَوَابُهُ السُّلْطَانِيُّ أَنَّهُ أَمْضَى ذَلِكَ. وَوَصَلَ مَكْتُوبٌ مِنْهُ فِي ذَلِكَ لِخَلاَصِ الصُّلْحِ. وَهُوَ يَصِلُكُمْ صُحْبَةَ كِتَابِنَا هَذَا. وَقَدْ انْعَقَدَ الصُّلْحُ مِنَ الجَانِبَيْنِ وَاسْتَقَامَتْ الأَحْوَالُ. فَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَنْ

(1) - السّلطان المرينيّ سلطان فاس والمغرب المتوفّي سنة 752هـ والذي كان متحالفا مع غرناطة واستولى على تلمسان وجبل الفتح والجزيرة وطريف في معركة عظيمة مشهودة.

(2) - في الأصل: على الجانبين (مكرّرة): غرناطة وبلاد العدوة والمغرب.

(3) - في الأصل: القايد: القائد: (هنا) الرّسول أبو الحسن بن كماشة.

تكْتُبُوا إلَى بِلادِكُمْ وَتعْزِمُوا عَلى وُلاتِكُمْ أَنْ لاَ يَجفُوا[1] فِي تعْمِيرِ جَفْنِ الإغَارَةِ عَلَى الـمُسْلِمِينَ بِوَجْهٍ، فَإنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الـمُسْلِمِينَ عِشْرَةٌ، وَتؤَكِّدُوا عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ أَبْلَغ التَوْكِيدِ، فَذَلِكَ هُوَ الذِي يَحْسِمُ عِلاَلَ[2] الفَسَادِ والضَّرر. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا زَالَتْ أَجْفَانُ بِلادِكُمْ تَتَرَدَّدُ عَلَى سَوَاحِلِ بِلادِنَا بِالضَّرَرِ وَخُصُوصًا بَعْدَ رُجُوعِ القَائِدِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ كَمَاشَةَ حَتَّى فُقِدَ مِنَ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا لَمْ يُفْقَدْ مِثْلُهُ فِي الغُرَّةِ. وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُحْصَى مَا أَمْكَنَ حَصْرُهُ مِنْ ذَلِكَ وَيُوَجِّهَهُ إلَيْكُمْ لِتَعْمَلُوا[3] فِي الإمْضَاءِ مِنْهُ مَا يَلِيقُ بِوَفَائِكُمْ وَمَا نَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ. وَقَدْ وَجَّهْنَا بِكِتَابِنَا هَذَا إلَيْكُمْ الفَارِسَ الـمُكَرَّمَ الـمَبْرُورَ أَبَا الحَسَنِ إبْرَاهِيمَ الشَّغْبِيَانِي، أَعَزَّهُ اللَّهُ بِالعَقْدِ، وَأَلْقَيْنَا إلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ إلَيْكُمْ فِي الشِّكَايَاتِ وَأُمُورِ الصُّلْحِ لِيَعُودَ إلَيْنَا بِجَوَابِكُمْ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ. وَأَهَمُّ الأُمُورِ تَوْجِيهُ الأَوَامِرِ بِالاشْتِدَادِ عَلَى وُلاَةِ البِلادِ فِي حَسْمِ الخَلَلِ وَأَنْ لاَ يَعْمُرَ مَوَاضِعَهُمْ جَفْنٌ لِلقَرْصَلَةِ[4] فِي أَرْض

---

(1) ـ في الأصل: لا يجفّوا: لا يكفّوا عن تجهيز الأجفان.

(2) ـ في الأصل: علال: علل: أسباب الفساد.

(3) ـ في الأصل: لتعلموا.

(4) ـ في الأصل: للقرصلة: للقرصنة.

الـمُسْلِمِينَ بوَجْهِ ذَلِكَ هُوَ الذِي يَقْطَعُ الخَلَلَ[1] وَيَحْسِمُ العِلَلَ بحَوْل اللّهِ. وَاللّهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ بتَقْوَاهُ وَيُعِزُّكُمْ بطَاعَةِ اللّهِ وَرِضَاهُ بِمَنّهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الرَّابعِ مِنْ شَهْرِ رَبيعِ الأَوَّل الـمُبَارَكِ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ. عَرَّفَ اللّهُ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ بفَضْلِهِ وَحَوْلِهِ.

صَحَّ هَذَا.

صَحَّتِ النُّسْخَةُ بَعْدَ الـمُقَابَلَةِ.

(1) ـ يقطع الخلل: يوقف أسباب الإضرار ويضع حدّا لها.

ـ التّحليل

كان السّفير أبو الحسن بن كماشة رجع من أرغون بكتاب من بترو الرّابع وبنسخة من عقد الصّلح الذي وقّعه ووافق عليه كي ينسحب على البلدين غرناطة والمغرب حسب الشّروط التي تضمّنها العقد وكان السّلطان يوسف الأوّل قرّر إرسال نسخة منه إلى الخليفة أبي الحسن للاطّلاع عليه وإمضائه مع السّفير أبي الحسن بن كماشة مهندس الصّلح ومفاوضه غير أنّ هذا الرّسول الأخير مرض وتأخّر سفره ثمّ شفي فتوجّه إلى فاس ورجع بالعقد ممضًى وحصُل على مباركة السّلطان أبي الحسن الموضّحة في كتاب خاصّ فأرسل يوسف الأوّل ملك غرناطة هذه الرّسالة إلى بترو الرّابع مؤكّدا حصول الصّلح بين المسلمين بالعدوة وغرناطة وبلاد أرغون.

ـ التّعليق

حمل القطع الجميع على إبرام هذه العقود للصّلح فالقرصنة كانت ميّزت هذه العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسّط في القرنين الرّابع والخامس عشر ميلادي وهي سبب ما شهدته المنطقة لاحقا من ويلات وحروب واختفاء دُول وظهور أخرى.

65°) ـ الوثيقة رقم 54

ـ التّقديم

هذه رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع ملك أرغون حول انتهاكات عقد الصّلح بتاريخ 19 ذي الحجّة سنة 746هـ الموافق لـ 14 أفريل سنة 1346م.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ المُرَفَّعُ المُكَرَّمُ المَبْرُورُ الأَوْفَى الأَشْهَرُ المَشْكُورُ الأَخْلَصُ دُونْ بطْرَه[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصغَةَ وَقَمْطْ بَرْجَلُونَةَ وَرْشَلْيُونَ وَصَاحِبُ سَرْدَانِيَةَ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، مُكَرِّمُ مَمْلَكَتِهِ البَرُّ بجَانِبِهِ الحَافِظُ لِعَهْدِهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّه يُوسُفُ[2] ابْنُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْن فَرَج بْن نَصْر سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَيْهَا وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ،

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ. وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَالْيُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مُكَرَّمٌ مَبْرُورٌ وَمَحَلُّكُمْ فِي المُلُوكِ الأَوْفِيَاءِ مَشْهُورٌ وَمَذْهَبُكُمْ فِي الصُّحْبَةِ وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ مَعْلُومٌ مَشْكُورٌ.

وَإِلَى هَذَا، فَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ جَوَابًا عَنْ كِتَابِنَا الذِي

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ يوسف: يوسف الأوّل سلطان غرناطة.

وَجَّهْنَاهُ إِلَيْكُمْ صُحْبَةَ إِرْسَالِنَا، وَاسْتَوْفَيْنَا مَا ذَكَرْتُمْ فِيهِ وَمَا قَرَّرْتُمْ عِنْدَنَا مِنْ أَنَّكُمْ أَمَرْتُمْ خُدَّامَكُمْ وَوُلاَةَ بِلاَدِكُمْ بِالإِنْصَافِ مِنْ كُلِّ مَا أُخِذَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ، وَذَلِكَ هُوَ الذِي يَلِيقُ بِسُلْطَانٍ مِثْلِكُمْ. فَمَا زَالَ أَسْلاَفُكُمْ المُلُوكُ يُعْرَفُ مِنْهُمْ الوَفَاءُ بِالعَهْدِ وَالوُقُوفُ فِي حِفْظِ أُمُورِ الصُّلْحِ عَلَى مَا عَقَدُوا عَلَيْهِ.

وَتَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الشِّكَايَاتِ التِي لَحِقَتْ أَرْضَنَا مِنْ نَاسِكُمْ قَدْ طَالَ الحَالُ فِيهَا، وَوَجَّهْنَا فِيهَا إِلَيْكُمْ إِرْسَالاً، وَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي طَلَبِهَا مُنْذُ نَحْوِ عَامٍ. وَمَا زَالَ أَهْلُ بِلاَدِنَا الذِي[ـنَ][1] لَحِقَهُمُ الضَّرَرُ يَتَشَكَّوْنَ إِلَيْنَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَلاَ يَسَعُنَا إِلاَّ أَنْ نَنْظُرَ لَهُمْ، فَقَصَدْنَا مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ أَنْ تَعْزِمُوا فِي هَذِ الحَالِ عَزِيمَةَ مِثْلِكُمْ مِنَ السَّلاَطِينِ وَتَحْكُمُوا عَلَى نَاسِكُمْ بِخَلاَصِ ذَلِكَ حُكْمًا جَزْمًا. وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ بِكِتَابِنَا هَذَا خَدِيمَنَا الفَارِسَ المُكَرَّمَ أَبَا الحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنَ فَرَجٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ فَعَسَى أَنْ تَجْعَلُوا مَعَهُ مَنْ يَظْهَرُ لَكُمْ مِنْ نَاسِكُمْ يَتَرَدَّدُ مَعَهُ عَلَى الجِهَاتِ التِي تَعَيَّنَتْ الشِّكَايَاتُ فِيهَا

---

(1) ـ تمت إضافة ما بين معقفين ليستقيم المعنى.

وَتُنْفِذُوا لَهُمْ أَمْرَكُمْ فِي ذَلِـكَ بِـالخَلاَص الـذِي يَقَـعُ الإِنْصَـافُ عَلَى أَكْمَل الوُجُوهِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ مَا يَلِيقُ بِكُمْ وَمَا نُقَـابِلُكُمْ عَلَيْـهِ بِالشُّكْرِ، وَإِلاَّ فَلاَ يَسَعُنَا إِلاَّ أَنْ نَنْظُرَ لِرَعِيَّتِنَا وَجْهًا يَكُـونُ فِيـهِ خَلاَصُ شِكَايَاتِهِمْ. وَإِذَا وَقَعَ الاسْتِرْهَانُ[1] فَلاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ مَـا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ مِنْ خَلَل فِي الصُّلْحِ وَأَنَّهُ لاَ تَسْتَقِيمُ لَهُ حَـالٌ. هَذَا مَا عِنْدَنَا عَرَّفْنَاكُمْ بِهِ وَنَحْنُ نَرْتَقِبُ مَـا يَكُـونُ مِـنْ عَمَلِكُـمْ فِـي ذَلِـكَ. وَاللَّــهُ يَصِـلُ لَكُـمْ بِطَاعَتِـهِ عَـوَارِفَ رِضْوَانِـهِ وَمَوَاهِبِـ[ـهِ]. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ لِشَهْرِ ذِي الحَجَّةَ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

[1] ـ الاسترهان: من ارتهن: ما أُخذ كرهن ولم يقع تسريح الأسرى.

ـ التّحليل

هذه رسالة حادّة اللّهجة وجّهها يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع يعلمه فيها بوصول ردّه على كتابه الخاصّ بالانتهاكات الحاصلة في الصّلح وباطّلاعه على ما ورد فيه من استعداد لإنصاف أهله وتسريح الأسرى وإرجاع الأموال وإيقاف القطع إلاّ أنّه لم يحدث شيء من كلّ ذلك وانقضت سنة كاملة ولم يرفع الضّرر ولم يقع إنصاف المسلمين لذلك طالب بترو في حزم وشيء من التّهديد بأن يعزم بحقّ وبسرعة على إنصاف المتضرّرين وإصدار حكم جازم في المفسدين وأعلمه أنّه وجّه إليه خديمه الفارس أبا الحجّاج يوسف بن فرج كي يبحث في الأمر ويحصل على استرجاع الأموال والأسرى وما ورد في الشّكايات حتّى لا يضطرّ إلى مراجعة موقفه من الصّلح والعمل على إنصاف أهله بنفسه وإيقاف ما يلحق بلاده من ضرر. فيقول مهدّدا: " وَإِلاَّ فَلاَ يَسَعُنَا إِلاَّ أَنْ نَنْظُرَ لِرَعِيَّتِنَا وَجْهًا يَكُونُ فِيهِ خَلاَصُ شِكَايَاتِهِمْ. وَإِذَا وَقَعَ الاسْتِرْهَانُ فَلاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ مَا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ مِنْ خَلَلٍ فِي الصُّلْحِ وَأَنَّهُ لاَ تَسْتَقِيمُ لَهُ حَالٌ". فهو يهدّد بإيقاف العمل بالصّلح وبمعاودة شنّ الغارات، فإنّ الصّلح لم تعد "تستقيم له حال".

ـ التّعليق

نلاحظ المماطلـــة الحاصلـة لإنصـاف المسـلمين وإرجـاع الأسـرى والأموال المحتجزة ونفاذ صبر ملك غرناطة وعزمه على وضع حـدّ لهذا الصّلح المنتهك إن تواصلتْ هذه المماطلة. ويتأكّد لنا من خـلال هـذه الوثيقـة الـدّور الهـامّ للقرصنـة في هـذه الحـرب القائمـة بـين المسلمين ونصارى إسبانيا، فهذه الحرب غيرُ معلنة ولكنّها حاصلـة بطرق ملتوية عن طريق القطع بحرا وبرّا.

66°) ـ الوثيقة رقم 67 مكرّر

ـ التّقديم

رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة بتاريخ جمادى الأولى سنة 750هـ الموافق لـ 3 أوت سنة 1349م حول رسوله إلى بترو الرّابع.

- نصّ الرّسالة

وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ بتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَكُمْ بطَاعَتِهِ وَرضَاهُ، يَصِلُكُمْ بكِتَابنَا الـمُدْرَج هَذَا طَيَّهُ خَدِيمُنَـا التَّـاجِرُ الـمُكَرَّمُ بـيرَهْ أَرْتُـو أَكْرَمَهُ اللَّــهُ بتَقْـوَاهُ، وَهُـوَ الـذِي عَيَّنَّـاهُ لأَخْـذِ جَـوَابِ كِتَابنَـا الـمَذْكُور. فَالـمُرَادُ مِنْكُـمْ أَنْ تَدْفَعُـوا لَـهُ جَـوَابَ كِتَابنَـا الـذِي يَصِلُكُمْ بهِ. فَنَحْنُ نَرْتَقِبُ وُصُولَهُ بهِ. وَعَرَّفْنَـاكُمْ بذَلِـكَ لِيَكُـونَ فِي عِلْمِكُمْ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُسْعِدُكُمْ بتَقْـوَاهُ وَيَحْمِلُكُـمْ عَلَـى مَـا فِيهِ رِضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ السَّابعِ عَشْـرَةَ لِشَـهْرِ جُمَـادَى الأَوَّلِ عَـامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

ـ التّحليل

وجّه يوسف الأوّل هذا الكتاب لبترو الرّابع يعلمه فيه بتعيين التّاجر بيرهْ أَرْتُو[1] رسولا لديه يسلّمه كتاب غرناطة ويتسلّم من ملك أرغون الرّدّ عليه وعلى مختلف المسائل المثارة فيه والخاصّة بالقطع والأسرى المأخوذين مع أموالهم وسلعهم كما كان بيّنه في الشّكايات السّابقة.

ـ التّعليق

تبدو هذه الرّسالة جافّة وتَنمّ عن غضب صاحب غرناطة وانفعاله لعدم تعجيل بترو الرّابع بإنصاف أهله وعقاب القطّاع المفسدين والولاة المتخاذلين والمتواطئين مع القراصنة.

---

(1) ـ بيره أرتو: Pero Artou قطلانيّ يتاجر بغرناطة ويعمل ببلاط يوسف الأوّل.

67°) ـ الوثيقة رقم 68

ـ التّقديم

هذه رسالة من إدريس بن عثمان بن أبي العلاء وزير غرناطة إلى الملكة ليبْونُورا[1] زوجة بترو الرّابع ملك أراغون وأخت فيليب الثّاني ملك صقلّية بتاريخ 2 ذي الحجّة سنة 751هـ الموافق لـ 31 جانفي سنة 1351م يعبّر فيها عن مشاعره نحو أرغون واستعداده لقضاء حوائجها وما ترغب فيه من أمور بغرناطة.

---

(1) ـ الملكة ليبونورا: أخت فيليب الثّاني ملك صقلّيّة. وكانت تدخّلت لفائدة شقيقها مع سلطان فاس وصاحب غرناطة كي يعقدا معه صلحا.

ـ انظر كتاب عمر سعيدان: "العلاقات القطلانية المرينيّة". منشورات سعيدان. سوسة. نوفمبر 2002.

- نصّ الرّسالة

الرَّيَّانَـةُ الـمُرَفَّعَةُ الوَفِيَّـةُ الـمَشْكُورَةُ الـمُعَظَّمَةُ الـمَبْرُورَةُ ذُونْيَه[1] زَوْجَةُ السُّلْطَانِ الأَجَلِّ المُعَظَّمِ الأَوْفَى الأَشْهَرِ الـمُرَفَّعِ الأَظْهَرِ دُونْ بطْرَه[2] مَلِـكِ أَرَغُـونَ وَسُلْطَانِ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَسَرَقُسْطَةَ وَمَيُورقَـةَ وَبَربْلِيَـانَ وَجُرُونَـةَ وَقُمْطِ دِي بَرْجَلُونَـةَ، وَصَلَ اللَّهُ أَسْبَابَ سَعَادَتِهَا بِتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهَا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَـاهُ، مُكَـرِّمُ قَدْرِهَـا وَحَـافِظُ عَهْدِهَـا الـمُحِبُّ فِـي جَانِبِهَـا الشَّـاكِرُ لِمَقَاصِدِهَا فِـي الوَفَـاءِ وَمَذَاهِبِهَـا إِدْرِيـسُ بْـنُ عُثْمَـانَ بْـنُ أَبِـي العُلاَءِ[3]. كَتَبَهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَـهَا اللَّـهُ. وَلَيْـسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْـدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاءِ مَشْـكُورٌ وَقَدْرُكُـمْ مَعْرُوفٌ مَشْـهُورٌ. وَإِلَـى هَـذَا أَسْعَدَكُمُ اللَّـهُ بِطَاعَتِـهِ وَرِضْوَانِـهِ وَعَرَّفَكُمْ بِهِمَا عَوَارِفَ إِحْسَانِهِ.

---

(1) - الملكة ليُونُورا: زوجة بـترو الرّابـع ملـك أرغـون وأخـت فيليـب الثّـاني ملـك صقلّية. Reine Léonora .

(2) - دون بترو الرّابع.

(3) - إدريس: وزير ملك غرناطة محمّد الخامس بن فرج بن نصر الـذي خلـف أبـاه يوسف الأوّل. وهو من أسرة أبي العلاء المعروفة. كـان الجـدّ الحـاجب والوزيـر الأوّل بغرناطة.

فَإِنَّــهُ وَصَــلَ رَسُــولُكُمُ[1] الــمُكَرَّمُ إلى دَارِ مَوْلاَنَــا السُّــلْطَان الـمُعَظَّمِ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَعَمَلَ فِي إكْرَامِهِ وَتَرْفِيع قَدْرِهِ الوَاجِبَ الـذِي يُرْضِيكُمْ، وَأُنْزِلَ فِي دَارِ الضِّيَافَةِ التِي تَلِيقُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ يُوَجِّهُهُ سُلْطَانٌ كَبِيرٌ مِثْلُكُمْ، وَمَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُثُولَ العِزِّ وَالعِنَايَةِ وَقُوبِلَ بِقَضَاء الحَوَائِجِ كُلِّهَا عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَال وَأَفْضَلِهَا. وَأَمَّا مُعَظِّــمُ سُلْطَانِكُمْ فَعَلَى مَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ الوُقُوفِ لِتَوْفِيَةِ أَغْرَاضِكُــمْ عَمَــلاً بالوَاجِبِ الذِي يُوفِي مَــا قَدَّمْتُــمْ عِنْـدَهُ مِـنَ الأَيَـادِي الجَمِيلَـةِ وَالـمَوَاهِبِ الجَزِيلَةِ. وَأُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُعَرِّفُونِـي بِمَـا لَكُـمْ بِهَـذِهِ البِلاَدِ مِنَ الحَوَائِجِ لِأَعْمَلَ فِيهَا الوَاجِبَ مِمَّا لَكُمْ قِبَلِي، وَكَذَلِكَ عِنْدَ مَــوْلاَيَ السُّــلْطَان أَقْضِيهَـا عَلَـى مَـا يُرْضِيكُـمْ. هَـذَا عَلَـيَّ وَاجِبٌ فِي حَقِّكُمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ.

كُتِـبَ فِـي الثَّـانِي لِـذِي الحَجَّــةَ عَــامَ أَحَــدٍ وَخَمْسِــينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَبِمَنِّهِ وَطَوْلِهِ.

---

(1) ـ الرّسول: وزير ملك غرناطة محمّد الخامس بن فرج بن نصر.

ـ انظر كتاب عمر سعيدان: "العلاقات القطلانية المرينيّة". منشـورات سـعيدان. سوسـة. نوفمبر 2002.

ـ التّحليل

وجّه هذا الوزير إدريس بن عثمان صديق التّاج الأرغونيّ هذه الرّسالة لزوجة الملك ليبيُونُورا زوجة بترو الرّابع ملك أرغون وأخت فيليب الثّاني ملك صقلّية يعلمها فيها بوصول رسولها إلى غرناطة وبحسن معاملة البلاط له وإكرام السّلطان له بإنزاله في دار الضّيافة واستقباله وسماعه وقضاء حوائجه كلّها لمكانتها الخاصّة ولما يحظى به ملك أرغون من قدر عال وعناية واهتمام وتخلّص في آخر الكتاب إلى الإعراب عن غرضه من كبير استعداد لخدمتها وقضاء كلّ حوائج التّاج الأرغونيّ بغرناطة والتّعبير في تذلّل عن مشاعره نحو الملكة وزوجها بترو الرّابع وذلك بإبراز كلّ استعداده لقضاء حوائجها بغرناطة قائلا: " وَأُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُعَرِّفُونِي بِمَا لَكُمْ بِهَذِهِ البِلَادِ مِنَ الحَوَائِجِ لِأَعْمَلَ فِيهَا الوَاجِبَ مِمَّا لَكُمْ قِبَلِي. وَكَذَلِكَ عِنْدَ مَوْلَايَ السُّلْطَانِ أَقْضِيهَا عَلَى مَا يُرْضِيكُمْ. هَذَا عَلَيَّ وَاجِبٌ فِي حَقِّكُمْ". فيضع نفسه تحت تصرّفهما كأيّ عون ببلاط التّاج الأرغونيّ.

ـ التّعليق

نلاحظ أنّه رغم توتّر العلائق بين أرغون وغرناطة وغضب السّلطان يوسف الأوّل لمماطلة أرغون وتأخّر بترو الرّابع في إنصاف

أهل غرناطة وعدم سعيه لإيقاف أعمال القطع والقرصنة، يُقدّم هـذا الوزيـر في التّذلّـل شـواهد الإخـلاص ويعـرب عـن حسـن اسـتعداده لإرضاء التّاج الأرغونيّ وخدمته ويؤكّد تفانيه في خدمة ملكـة أرغـون وزوجها بترو.

فمثل هذا السّلوك يدفع المرءَ كيْ يَعتبر هذه العلاقـات مشبوهة ومضرّة بسلامة البلاد وكرامتها وحاملة على استضعافها ! !

°68) - الوثيقة رقم 69

- التّقديم

هذه رسالة من الأمير محمّد الخامس بن السّلطان يوسف الأوّل أبي الحجّاج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر إلى الأفنت دون بترو عمّ الملك المعظّم بترو الرّابع والنّائب عنه بتاريخ فاتح رمضان سنة 756هـ الموافق لـ 9 سبتمبر سنة 1354م حول الصّلح.

ـ نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ بْن أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الحَجَّاج يُوسُفَ بْن أَمِيرِ الـمُسْلِمينَ أَبِي الوَلِيدِ إسْمَاعِيلَ بْـنِ نَصْرٍ أَيَّـدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَسْعَدَ عَصْرَهُ، إلَى الأَفَانْتِ[1] الـمُرَفَّعِ الأَجَلِّ الأَوْفَـى الـمَشْكُورِ الـمَبْرُورِ دُونْ بطْرَهْ عَمِّ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ مَلِكِ أَرَغُـونَ وَالنَّائِبِ عَنْهُ، وَصَلَ اللَّـهُ عِزَّتَـهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ بِطَاعَـةِ اللَّـهِ وَرِضَاهُ.

كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلَيْسَ بِفَضْـلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَـلُ وَاليُسْـرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْـدُ لِلَّـهِ كَثِيرًا. وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاءِ مَشْكُورٌ وَقَدْرُكُـمْ فِـي كِبَارِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ وَاسْتَوْفَيْنَا مَا ذَكَرْتُمْ فِيهِ مِنْ أَنَّ السُّـلْطَانَ الأَجَلَّ مَلِكَ أَرَغُونَ[2] لَمَّا انْفَصَلَ عَنْ تِلْكَ الجِهَـةِ قَدَّمَكُـمْ نَائِبًا عَنْهُ وَأَعْطَاكُمْ مَقْدُرَةً[3] بِأَنْ تَحْفَظُوا الصُّلْـحَ فِـي بِـلاَدِهِ وَأَرْضِـهِ

---

(1) ـ دُون بترو الإفانت: عمّ ملك أراغون بترو الرابع ملك أرغون بترو الرّابع.

(2) ـ ملك أرغون.

(3) ـ المقدرة هنا: المسؤوليّة.

وَتَشْتَدُّوا عَلَى نَاسِهِ فِي حِفْظِ بلاَدِنَـا وَنَاسِنَا وَأَرْضِنَـا كَمَـا هُـوَ الوَاجِبُ. وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الأَفَانْتُ الـمُكَرَّمُ أَنَّ الصُّحْبَةَ بَيْـنَ هَـذِهِ الدَّارِ وَبَيْنَ دَارِ أَرَغُونَ مَا زَالَتْ مَحْفُوظَةً عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَـى أَنْ عَقَدَ وَالِدُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ السُّلْطَانِ الصُّلْحَ عَلَى يَدَيْ قَـائِدِهِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ كَمَاشَةَ[1]. وَبَقِيَ الصُّلْحُ مَحْفُوظًا مَعْقُودَ الشُّرُوطِ وَالرُّبُوطِ مِنْ غَيْرِ إِخْلاَلٍ لِشَيْءٍ مِنْ فُصُولِهِ حَتَّى حَدَثَ فِيهِ الفَسَادُ مِنْ جِهَةِ يَابِسَةٍ وَمَيُورَقَةَ[2] وَتِلْكَ الجَزَائِرِ كُلِّهَـا، فَصَـارَ أَهْلُهَا يُغِيرُونَ عَلَى بلاَدِنَـا وَيَعْمَلُـونَ فِـي الفَسَـادِ الفَـاحِشِ مَـا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الغِرَّةِ الشَّـدِيدَةِ وَيَحْمِلُـونَ الأَسَـارَى مِـنَ الـمُسْلِمِينَ بِالـمَتَاجِرِ وَالأَمْوَالِ إِلَى بلاَدِهِمْ، فَعُرِّفَ السُّـلْطَانُ بِذَلِـكَ وَأَنْتُـمْ فَأَجَبْتُمْ بِأَنَّ تِلْكَ الجَزَائِرَ الـمَذْكُورَةَ لَمْ يَحْمِلُـوا مِـنَ الـمُسْلِمِينَ إِلاَّ مَنْ اخْتَلَفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ مِثْلَ أَهْلِ العَدْوَةِ وَغَيْرِهِمْ. فَكُتِبَ لَكُـمْ بِأَنَّ أَهْلَ العَدْوَةِ وَغَيْرَهَمْ إِنَّمَـا هُـمْ فِي الصُّلْحِ يَصِلُـونَ تَحْـتَ العُهُودِ مِنَّا وَيَلْزَمُنَا مِنْهُمْ مِثْلُ مَا يَلْزَمُ مِنْ أَهْلِ بلاَدِنَـا إِلَـى أَنْ نَطَوَّفَ النَّصَارَى إِلَـى بَيْـعِ الـمُسْلِمِينَ بِبَلَنْسِيَةَ وَغَيْرِهَـا عَلَـى عُيُونِ الإِشْهَادِ. وَاسْتَمَرَّتِ الحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ. فَإِنْ كَانَ

(1) ـ أبو الحسن بن كماشة: رسول ملك غرناطة إلى ملك أرغون.

(2) ـ مدينة بالأندلس.

السُّلْطَانُ أَعْطَاكُمْ مَقْدُرَةً عَلَى أَنْ تَمْنَعُوا جَمِيعَ مَـنْ بِبِـلاَدِهِ مِـنَ النَّصَارَى مِنْ هَذِهِ الأَعْمَال القَبِيحَةِ وَتَصْرِفُوا جَمِيعَهُمْ عَنْ هَـذِهِ الأَغْرَاض الفَاسِدَةِ وَبِيَدِكُمْ مِنَ الأَمْر مَا تَحْسِمُونَ بِهِ عِلَلَ الفَسَادِ فَعَرِّفُونَا بِذَلِكَ، وَنَحْـنُ نَعْمَلُ فِـي الأُمُـور مَـا يُنَاسِبُ جَمِيلَ الصُّحْبَةِ وَتَجْدِيدَ الـمَوَدَّةِ كَمَا يَجِبُ لِمِثْلِكُمْ مِنْ كِبَارِ النَّاس.

هَذَا مَا عِنْدَنَا عَرَّفْنَاكُمْ بِهِ، وَأَمَّـا قَضِيَّـةُ الإِفْرَايرِيـنَ[1] فَمَـنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ الوُصُولَ إِلَى بِلاَدِنَـا فِـي افْتِكَـاكِ[2] الأَسَـارَى مِـنَ الصَّدَقَةِ فَلْيَصِلْ مَحْمُولاً عَلَى الكَرَامَةِ وَالأَمَان التَّـامِّ فِـي نَفْسِـهِ وَمَالِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِـهِ. وَاللَّـهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُسْعِدُكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِـيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الأَوَّل يَـوْمِ مِـنْ رَمَضَـانَ الـمُعَظَّمِ مِـنْ عَـامِ سِـتَّةٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ قضيّة الافرايرين: أي قضيّة جماعة

(2) ـ في النّصّ الأصلي افتكاك الأسارى: افتكاك الأسرى.

ـ التّحليل

وجّه هذه الرّسالة الملك الجديد لغرناطة محمّد الخامس الـوارث لوالده يوسف الأوّل إلى عمّ الملك ونائبه الأفنت بترو ردّا على رسالته الخاصّة باحترام الصّلح وصلاحيّاته ومقدرته للالتزام ببنـوده. فبـين هـذا الملـك الشّـابّ اتّصالـه بالكتـاب وتعرّفـه علـى طلبـات النّـائب الأفنـت بـترو واستعداده للاستجابة لرغباتـه علـى شـرط أن يفـي بالالتزامات ويعمل على إنصاف أهل غرناطة والتقيّد تمامـا بـالصّلح الذي كان عقده مع أرغون والده المرحـوم يوسـف الأوّل علـى يـدي القائد أبي الحسـن بـن كماشـة والـذي ينسحب كذلـك علـى بـلاد العدوة والمرينيّين جميعا وذكّره بأنّ ردّه غير مُقنع لأنّ ما زعمــه مـن أنّ الشّكايات العالقة بهم تخـصّ أهـل المغـرب مرفوضـة إذ الصّلح مبرم كذلك مع الدّولة المرينيّة، وعليه ـ وهو القـادر علـى ذلـك كما ذكر ـ أن يبادر بإيقاف هذا الضّرر وإرجاع المسلمين الذين تمّ أسرهم وبيعهم ببلنسية على مرآى من الشّهود ومنع النّصارى من بلاده مـن القيام بهذه الأعمال القبيحة ـ بما يناسـب مكانـةَ ملـك أرغـون ومـا عرف عنه من وفاء وحفظ للعهد.

وفي خصـوص القضيّـة الـتي أثارهـا الأفنـت بـترو فذكـر محمّـد الخامس بأنّه لا يعترض علـى وصـول " الافْرَايريـن"[1] "Frailes" إلى غرناطة لافتداء الأسرى النّصارى وهو يضمن أمنهم وكرامتهـم وعلـى كلّ فإنّ مواصلة الالتزام بـالصّلح مرتبطـة بتصـرّف التّـاج الأرغونـيّ ومدى احترامه له ولشروطه.

ـ التّعليق

نلاحظ حـزم هـذا الملـك الشّـابّ الجديـد محمّـد الخـامس وردّه الصّارم على رسالة نائب ملك أرغـون وإعلانـه عـدم التزامـه بصلـح ينتهك يوميّا ولا يحترمه الخصم والرّسالة توضّح العلاقـات المتوتّـرة القائمة بين البلدين بسبب القطع. وتبدو قرصنـة المسـلمين ردّا علـى ما يقوم به القراصنة النّصارى الغير الملتزمين بهذا الصّلح المبرم بـين الملكين.

---

(1) ـ الافرايرين: أي قضيّة جماعة.

69°) - الوثيقة رقم 70

- التّقديم

هذه رسالة من الملك الجديد محمّد الخامس إلى بطرو الرّابع ملك أرغون بتاريخ 14 جمادى الثّانية سنة 759هـ الموافق لـ 3 جويلية سنة 1358 م حول قضيّة الأفنت دُونْ فرَانْدَه[1].

---

[1] - الأفنت دون فراندة L'infante D. Fernando شقيق الملك بترو الرّابع.

ـ نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمير عبْدِ اللّهِ مَحَمَّدٍ بْن أَمِير الـمُسْلِمِينَ أَبي الحَجَّاج بْن أَمِـير الـمُسْلمينَ أَبـي الوَلِيـدِ إسْمَاعِيلَ بْـن نَصْر سُلْطَان غَرْنَاطَـةَ وَمَالِقَـةَ وَالْمَرِيَـةَ وَوَادِي أَشْ وَمَـا إلَـــى ذلِـكَ وَأَمِـــير الـمُسْلمينَ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْـرَهُ وَأَعَـزَّ نَصْرَهُ، إلَـى السُّلْطَان الأَجَـلِّ الـمُكَرَّم الـمُرَفَّع الأَوْفَـى الـمَشْكُور الــمَبْرُور الأَخْلَـص دُونْ بطْرَه[1] ملِكِ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْسِغَةَ وَقَنْطِ[2] بَرْجَلُونَـةَ وَرُشَّلْيُون وَسَـرْدَانِيَةَ، وَصَـلَ اللّـــهُ عِزَّتَـهُ بطاعَتِـه وَرضْوَانِهِ وَعَرَّفَهُ بِهِمَا عَوَارِفَ إحْسَانِهِ. كَتَبْنَاهُ إلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءَ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللّهُ. وَلَيْـسَ بفضْـل اللّـهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْـدُ لِلَّـهِ كَثِـيرًا. وَجَـانِبُكُمْ مُرَفَّـعٌ مَـبْرُورٌ وَمَذْهَبُكُـمْ فِـي الوَفَـاءِ مَشْــكُورٌ وَمَنْصَبُكُـمْ فِــي مُلُــوكِ النَّصْرَانِيَّةِ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ.

وَإلَـى هَـذَا فَقَـدْ وَصَـلَ كِتَـابُكُمْ أَيُّهَـا السُّلْطَانُ فِـي قَضِيَّـةِ

---

(1) ـ دون بترو الرّابع بن ألفونسو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ في الأصل: قند: قنط: Comte.

الأَفَانْتِ دُونْ هِرَانْدَهْ[1] أَخِيكُمْ تَعْرِفُونَ بِرُجُوعِـهِ إِلَـى خِدْمَتِكُـمْ وَأَنَّكُمْ قَدَّمْتُمُوهُ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ وَطَلَبْتُمْ مِنَّـا أَنْ يَكُـونَ تَحْـتَ صُلْحِنَا مَعَكُمْ هُوَ وَنَاسُهُ وَأَرْضُهُ. وقَدْ اسْـتَوْفَيْنَا مَـا ذَكَرْتُـمْ فِـي ذَلِكَ كُلِّـهِ. وَالـذِي عِنْدَنَـا فِـي هَـذِهِ القَضِيَّـةِ هُـوَ أَنَّ السُّـلْطَانَ الـمُعَظَّمَ سُلْطَانَ قَشْتَالَةَ[2]، أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ وَإِيَّـاهُ بِطَاعَتِـهِ، كَتَـبَ إِلَيْنَا يَذْكُرُ أَنَّ الأَفَانْتَ[3] الـمَذْكُورَ كَانَ عِنْدَ عَقْدِنَا الصُّلْـحَ مَعَـهُ خَدِيمَـهُ ومِـنْ جُمْلَـةِ نَاسِـهِ، وَأَنَّـهُ خَـرَجَ عَلَيْـهِ وَانْصَـرَفَ مِـنْ خِدْمَتِهِ، وَتَذْكُرُونَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الشَّرْطِ فِيمَـنْ يَخْـرُجُ عَـنْ خِدْمَتِهِ مِنْ نَاسِهِ. فَعَرَّفْنَاكُمْ بِمَا عِنْدَنَا فِـي ذَلِـكَ. وَنَحْـنُ أَيُّهَـا السُّلْطَانُ عَلَى بِرِّكُمْ وَالعَمَلِ عَلَى الوَفَاءِ بِعَهْدِكُمْ، فَاعْلَمُوا ذَلِكَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ عِزَّتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَـاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ لِشَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِـنْ عَـامِ تِسْعَةٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، عَرَفَ اللَّهُ خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ سلطان قشتالة: دون هرانده.

(2) ـ سلطان قشتالة.

(3) ـ الأفانت: دون هرانده : سلطان قشتالة.

ـ التّحليل

تطرح هذه الوثيقة قضيّة شائكة تخصّ الأفنت دون فرنده شقيق الملك بترو الرّابع. فلقد كان هـذا الأمـير حـين تمّ إبـرام الصّلح مـع أرغون والمرينيّين وقشتالة في خدمة ملك قشتالة وداخلا في صلحه ثمّ خرج عنه وتنكّر له فصار في نظر الصّلـح وأحَـدِ شـروطه عـدوّا لملـك غرناطة لخروجه عن طاعة ملك قشـتالة فردينـاندو الرّابـع. وأصبح مفروضا على سلطان غرناطة اعتباره ضمن الأعداء غير أنّ الملك بترو الرّابع صفح عنه وعيّنه في خدمتـه وطـالب بـأن تُعتـبر أرضـه أرض صلح وأن يدخل أهله مثل أهل أرغون كلّهم في حمايـة هـذا الصّلـح المبرم مع غرناطة لذلك وجد صاحب غرناطة نفسه في مشكلة فبـادر بإجابة بترو الرّابع وطـرح القضيّـة عليـه وأعلمـه بالمشـكل وصعوبـة تطبيق الصّلح على الأرض المذكورة.

ـ التّعليق

يطرح الأمر مشكلة قانونيّة فالأفانت دون هرانده في نظر القانون عدوّ لغرناطة لأنّه عدوّ قشتالة ومن ناحيـة أخـرى هـو شـقيق الملـك بترو الرّابع ونائبـه في إحـدى المقاطعـات فيعتـبر في حمايـة الصّلـح ويطالب بأن يكون أهله وأرضه في رعايته.

فهذه المعضلة قانونيّــة حقّا جديـرة بـالطّرح حتّـى يقـول فيهـا القضاء الدّوليّ كلمته. وعلى كلٍّ يبدو موقف السّلطان محمّد الخــامس قانونيّا وغير منتهك لشروط العقد.

70°) ـ الوثيقة رقم 73

ـ التّقديم

هذه رسالة من محمّد الخامس صاحب غرناطة إلى بطـرو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ السّادس من رمضـان سـنة 761هـ الموافـق لـ 11 جويلية سنة 1360م حول وصول سفيره.

ـ نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِير عبْدِ اللَّهِ الغَالِبِ باللَّهِ مُحَمَّدِ بْن إسْمَاعِيل[1] بْـن مُحَمَّدٍ بْن نَصْر السُّـلْطَان بغَرْنَاطَـةَ وَمَالِقَـةَ وَالْمَرِيَـةَ ووَادِي أَشْ وَبَسْطَةَ وَمَا إلَى ذَلِكَ وَأَمِير الـمُسْلِمينَ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعَزَّ نَصْرَهُ إلَى السُّلْطَان الأَجَلِّ الـمُعَظَّم الـمُكَرَّم الأَوْفَى الـمَشْكُور الـمَبْرُور دُونْ بطْرَهْ[2] ملِكِ أَرَغُونَ وَبلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَرُشَّـلْيُونَ وَقُرْسِغَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُنْطِ بَرْجَلُونَةَ، وَصَـلَ اللَّـهُ كَرَامَتَـهُ بتَقْـوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ. كَتَبْنَاهُ لَكُمْ مِـنْ حَمْـرَاءَ غَرْنَاطَـةَ حَرَسَهَا اللَّـهُ تعَـالَى، وَلَيْـس بفَضْـل اللَّـهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ. وَنَحْنُ أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ نُسَرُّ بصُحْبَتِكُمْ وَنَغْتَبطُ عَوْدَتَكُمْ.

وَإلَى هَذَا فَمُوجِبُهُ إلَيْكُمْ هُوَ أَنَّ رَسُـولَكُمْ الـمُكَرَّمَ الـمَبْرُورَ مُتْيِيهَ مَرْسِيرَ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ بتَقْوَاهُ، وَصَلَ إلَى بَابنَا وَحَضَرَ بَيْـنَ يَدَيْنَا حَضُورَ الـمَبَرَّةِ وَالكَرَامَةِ، وَأَلْقَى إلَيْنَا أُمُورًا فِيهَا حُرْمَتُكُمْ وَكَرَامَةُ جَانِبنَا. وَقَدْ أَلْقَيْنَا إلَيْهِ فِي ذَلِكَ مَا يُلْقِيهِ إلَيْكُمْ. وَنَحْنُ

---

(1) ـ عبد اللّه محمّد بن إسماعيل: سلطان بغرناطة.

(2) ـ دون بترو ملك أرغون.

أَيُّهَا السُّلْطَانُ الـمُعَظَّمُ عَلَى مَا يَجِبُ مِنَ الـمَعْرِفَةِ بِمِقْدَارِكُمْ فِي كِبَارِ السَّلاَطِينِ وَالعِلْمِ بِمَا لَكُمْ فِيهِمْ مِنَ الوَفَاءِ وَمَشْكُورِ الأَنْحَاءِ. وَاللَّهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي السَّادِسِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ الـمُعَظَّمِ مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ.

صَحَّ هَذَا.

ـ التّحليل

قام السّلطان محمّد الخامس ملك غرناطة بإعلام بطرو الرّابع بوصول رسوله "مُتْبِييةَ مَرْسِيرَ" وطرح المسائل التي حمّله إياها التّعبير عن اغتباطه بما أبداه من عواطف ونقله من مشاعر تقدير وإجلال له ومعاني متّصلة بحرمة بطرو وكرامته وأكّد له معرفته لمكانته ولصادق صحبته.

ـ التّعليق

تعبّر هذه الوثيقة عن العلاقة المتحسّنة بين الملكين وهي تساهم في رفع الحرج الحاصل وإزالة الغيوم المتلبّدة في جوّ العلاقات الأرغونيّة الأندلسيّة، لكنّها سحابة صيف سريعا ما تنقشع !!

71°) ـ الوثيقة رقم 72

ـ التّقديم

رسالة من إدريس بن عثمان الوزير بغرناطة إلى بترو الرّابع بتاريخ 2 ذي الحجّة سنة 761هـ الموافق لـ 14 أكتوبر سنة 1360 حول رسوله إلى صاحب غرناطة محمّد الخامس.

ـ نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الـمُرَفَّعُ الأَجَلُّ الـمُعَظَّمُ الوَفِـيُّ الـمَشْكُورُ الـمُوَقَّرُ الـمَبْرُورُ الأَكْمَلُ الأَشْهَرُ الأَرْفَعُ الأَظْهَرُ دُونْ بطْرَهْ[1] مَلِكُ أَرَغُونَ وَسُلْطَانُ بَلَنْسِيَةَ وَسَـرْدَانِيَةَ وَسَرَقُسْـطَةَ وَمَيُورقَـةَ وَبَرْبلْيَـانَ وَجُرُونَةَ وَقُمْطُ دِي بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ أَسْبَابَ سَعَادَتِهِ بِتَقْوَاهُ وَيَسَّرَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، مُكرِّمُ مَمْلَكَتِهِ وَحَافِظُ عَهْدِهِ الـمُحِبُّ فِي جَانِبِهِ الشَّاكِرُ لِمَقَـاصِدِهِ فِـي الوَفَـاء وَمَذَاهِبِـهِ إِدْرِيـسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ أَبِي العُلاَءِ[2] كَتَبَهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَـهَا اللَّـهُ تَعَـالَى، وَلَيْـسَ بفَضْـل اللَّـهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ الخَـيْرُ الأَكْمَـلُ وَاليُسْرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَجَانِبُكُمْ مَبْرُورٌ وَقَصْدُكُمْ فِي الوَفَاء مَشْكُورٌ وَقَدْرُكُمْ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

وَإِلَى هَذَا أَسْعَدَكُمْ اللَّهُ بِطَاعَتِـهِ وَرِضْوَانِـهِ، وَعَرَّفَكُـمْ بِهِمَـا عَوَارِفَ إِحْسَانِهِ، فَإِنَّهُ وَصَلَ رَسُـولُكُمْ الـمُكَرَّمُ إلى دَارِ مَـوْلاَيَ السُّلْطَانِ الـمُعَظَّمِ، أَيَّدَهُ اللَّهُ، وَعُمِـلَ فِي إِكْرَامِـهِ وَتَرْفِيـعِ قَـدْرِهِ الوَاجِبُ الذِي يُرْضِيكُمْ، وَأُنْزِلَ فِي دِيَـارِ الضِّيَافَـةِ التِـي تَلِيـقُ

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع.

(2) ـ وزير ملك غرناطة محمّد الخامس بن فرج بن نصر من أسـرة أبـي العـلاء وهـي صديقة التّاج الأرغونيّ.

بِمِثْلِهِ مِمَّنْ قَدْ وَجَّهَهُ سُلْطَانٌ كَبِيرٌ مِثْلُكُمْ. وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُثُولَ العِزِّ وَالعِنَايَةِ وَقُوبِلَ بِقَضَاءِ الحَوَائِجِ كُلِّهَا عَلَى أَتَمِّ الأَحْوَالِ وَأَفْضَلِهَا. وَأَمَّا مُعَظِّمُ سُلْطَانِكُمُ(1) فَعَلَى مَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ الوُقُوفِ لِتَوْفِيَةِ أَغْرَاضِكُمْ وَالثَّنَاءِ الجَمِيلِ بِحَضْرَةِ مَوْلاَيَ السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ، عَمَلاً بِالوَاجِبِ الذِي يُوفِي مَا قَدَّمْتُمْ عِنْدَهُ مِنَ الأَيَادِي الجَمِيلَةِ وَالمَوَاهِبِ الجَزِيلَةِ.

وَأُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُعَرِّفُونِي بِمَا لَكُمْ بِهَذِهِ البِلاَدِ مِنَ الحَوَائِجِ أَعْمَلُ فِيهَا الوَاجِبَ يُبْقِيكُمْ. وَالسَّلاَمُ.

كُتِبَ فِي الثَّانِي لِذِي الحَجَّةِ عَامَ أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

---

(1) ـ السّلطان هو الوزير إدريس بن عثمان.

ـ التّحليل

وجّه إدريس بن عثمان هذا الكتابَ إلى بترو الرّابع ليعرّفه بوصول رسوله إلى مولاه السّلطان محمّد الخامس وكان قد أحسن وفادته واستقباله واستجاب لطلباته وقضى كلّ حوائجه واغتنم الفرصة ليؤكّد وفاءه لبترو وإخلاصه للتّاج الأرغونيّ واستعداده دوما لتوفية أغراضه وقضاء ما يحتاجه من حوائج بغرناطة والثّناء عليه بحضرة السّلطان وذكر أياديه الجميلة.

ـ التّعليق

كان وصول هذا الرّسول مناسبة استغلّها هذا الوزير ليقدّم شواهد إخلاصه لبترو الرّابع ويدعّم مكانته الخاصّة ببرشلونة عند التّاج الأرغونيّ فبدا هذا الوزير دوما حريصا على استغلال الظّروف الّتي تتاح له وابتزاز التّاج لمآربه الشّخصيّة ! !

°72) ـ الوثيقة رقم 74

ـ التّقديم

هذه رسالة من محمّد الخامس صاحب غرناطـة إلى بـترو الرّابـع ملك أرغون بتاريخ 3 ذي القعدة سنة 762هـ الموافق لـ4 سبتمبر سـنة 1361م حول العلاقة مع سلطان فاس المرينيّ.

ـ نصّ الرّسالة

مِنَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ الغَالِبِ بِاللَّهِ الـمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّـدِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّـدِ بْـنِ فَـرَجِ بْـنِ نَصْـرٍ سُلْطَانِ غَرْنَاطَـةَ وَمَالِقَةَ وَالْمَرِيَّةَ وَوَادِي أَشْ وَمَا إِلَى ذَلِكَ وَأَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ إِلَـى السُّلْطَانِ الأَجَـلِّ الـمُرَفَّعِ الـمُكَرَّمِ الـمُعَظَّمِ الأَضْخَـمِ الوَفِـيِّ الشَّهِيرِ الحَافِلِ الـمَبْرُورِ الـمَشْكُورِ الأَوَدِّ الأَخْلَصِ دُونْ بِطْـرَه[1] مِلِكِ أَرَغُونَ وَسُلْطَانِ بَلَنْسِيَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَرُشِّلْيُونَ وَقُمْـطِ دِي بَرْجَلُونَةَ، وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ بِتَقْـوَاهُ وَيَسَّـرَهُ بِطَاعَتِـهِ لِمَـا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّـهُ وَلاَ زَائِدَ بِفَضْلِ اللَّهِ إِلاَّ الخَيْرُ الأَكْمَلُ وَالصُّنْعُ الأَجْمَلُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ. وَمَمْلَكَتُكُمْ مُرَفَّعَةُ الجَانِبِ مَحْفُوظٌ عَهْدُهَا بِالوَاجِبِ مَعْلُـومٌ مَا لَهَا فِي الوَفَاءِ بِالعَهْدِ مِنْ حُسْنِ الـمَذَاهِبِ.

وَإِلَى هَذَا فَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا السُّـلْطَانُ الـمُعَظَّمُ هُـوَ أَنَّكُـمْ تَعْلَمُـونَ مَـا عِنْدَنَـا مِـنَ الاِغْتِبَـاطِ بِصُحْبَتِكُـمْ وَالخُلُـوصِ فِـي مَوَدَّتِكُمْ. وَبِحَسَبِ ذَلِكَ نُعَرِّفُكُمْ مَا اتَّفَقَ فِي هَذِهِ الأَيَّـامِ. وَذَلِـكَ أَنَّ الـمُرَامَ الذِي رُمْنَاهُ فِي عَقْدِ الصُّلْـحِ بَيْنَكُـمْ وَبَيْـنَ [صَاحِبِ

---

[1] ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

الـمَغْرِبِ][1] وَالـمُشَارَكَةِ التِي شَارَكْنَاهُ فِي قَضِيَّةِ الأَسْرَى الذِينَ مِنْ أَرْضِهِ لَمْ يَكُنْ الجزَاءُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ إِلاَّ أَنَّهُ أَعَانَ مَـنْ كَـانَ فِي إِيَالَتِهِ[2] مِنَ الأَنْدَلُس عَلَى الجوَازِ إِلَيْنَا فِي غَرَض الفَسَـادِ، وَجَهَّزَ لَهُ سِتَّةَ أَجْفَان غَزْوِيَّةٍ، وَرَكَنَ مَعَ ذَلِكَ لِصَاحِبِ قَشْتَالَةَ فِي هَذَا الـمَقْصَدِ حَتَّى أَعَانَهُ بِخَمْسَةِ أَجْفَان غَزْوِيَّةٍ. وَهْيَ كُلُّهَا تَدُورُ عَلَى السَّوَاحِلِ وَتُقَاتِلُ أَهْـلَ الجهَـاتِ التِـي تَجِـدُ بِهَـا، لَكِنَّهَا وَالحَمْدُ لِلَّهِ خَاسِرَةٌ حَيْثُمَـا تَوَجَّهَـتْ. وَقَـدْ هَـرَبَ إِلَيْنَـا بَعْضُ نَاسِهَا وَأُتِيَ إِلَيْنَا بِآخَرِينَ مِنْهُـمْ أَسَـارَى. فَمَنَنَّـا عَلَيْهِـمْ وَأَطْلَقْنَـاهُمْ. وَقَـدْ ظَهَـرَ مِنْهُـمْ الضَّجَـرُ وَفَنِـيَ زَادُهُـمْ وَأَدْرَكَهُـمْ القَنَطُ، فَإِنَّنَا أَمَرْنَا خُدَّامَنَا بِالجهَاتِ البَحْرِيَّةِ بِأَنْ يَمْنَعُوا مِنْهُـمْ عَمَلَ الـمَاء وَيَطْرُدُوهُمْ حَيْثُ مَا حَلُّوا بِالرُّمَاةِ وَالفُرْسَان وَيُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ عَمَرَةِ الأَجْفَـان التِـي لِصَاحِبِ الـمَغْرِبِ عَرَّفُونَا أَنَّهُ مَا طَلَعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ مُسْتَكْرَهًا وَلاَ انْقَادَ لِذَلِكَ إِلاَّ عَنْ غَيْرِ طَوْعٍ وَاخْتِيَارٍ. وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَـا

(1) ـ تمّت الزّيادة التي بين معقّفين ليستقيم التّركيب والمعنى.

ـ صاحب المغرب هو السّلطان أبو عنان ابن السّلطان أبي الحسن. حدثت جفـوة بين السّلطان المرينيّ وصاحب غرناطة وجرت بينهما وعبرتْ جيـوش صاحبهـا لنجدة ملك قشتالة فاستصرخ محمّد الخامس ملكَ أرغون وطلب معونته.

(2) ـ إيالته : بلاده.

عِنْدَنَا عِبْرَةٌ بِهَذِهِ الكَائِنَةِ لِثِقَتِنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِمَا نَعْلَمُهُ وَنَتَحَقَّقُهُ مِنْ خُلُوص رَعِيَّتِنَا فِي خِدْمَتِنَا. وَتَيَقُّنُنَا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهُ يَنْتَصِرُ مِنَ الظَّالِمِ وَيَأْخُذُ الحقَّ مِنْهُ. وَلَمَّا زَادَتْ عِنْدَنَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ لَمْ نُقَدِّمَ عَمَلاً عَلَى الكَتْبِ[1] إِلَيْكُمْ نَرْغَبُ مِنْكُمْ إِعَانَتَنَا لِعَشْرَةِ أَجْفَان غَزْوِيَّةٍ، أَوْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا لِتُدَافِعَ أَجْفَانَ صَاحِبِ المَغْرِبِ وَتُدَافِعَ أَجْفَانُنَا أَجْفَانَ صَاحِبِ قَشْتَالَةَ. وَنَحْنُ مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ المُعَظَّمُ عَلَى ثِقَةٍ فِي تَوْفِيَةِ قَصْدِنَا وَالعَمَل عَلَى مَا يَلِيقُ بِمِثْلِكُمْ مِنْ كِبَارِ المُلُوكِ وَالسَّلاَطِين فِي إِسْعَافِ مَطْلَبِنَا. وَلِمِثْل هَذَا الحَادِثِ يَعِدُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ. وَلَوْ تَعَيَّنَ لَكُمْ قِبَلَنَا غَرَضٌ فِي مِثْل هَذِهِ الإِعَانَةِ عَلَى مَنْ عَارَضَكُمْ لِعَمَلْنَا الوَاجِبَ فِي تَوْفِيَةِ كَرَامَتِكُمْ. وَفِي هَذِهِ القَضِيَّةِ يَظْهَرُ لَنَا أَثَرُ اغْتِبَاطِكُمْ بِصُحْبَتِنَا وَمُحَافَظَتِكُمْ عَلَى مَوَدَّتِنَا. وَنَحْنُ مُرْتَقِبُونَ مِنْكُمْ تَوْفِيَةَ هَذَا الغَرَض مُعَجِّلاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهُ يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيُيَسِّرُكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ. وَالسَّلاَمُ يُرَاجِعُ سَلاَمَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

كُتِبَ فِي الثَّالِثِ لِشَهْرِ ذِي القَعْدَةَ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ. صَحَّ هَذَا.

---

(1) ـ هذا هو الغرض الحقيقيّ من الرّسالة: التماس مساعدة ملك أرغون وطلبُ عشرة أجفان.

ـ التّحليل

توتّرت العلاقات بين غرناطة وفاس بعد هلاك كلّ من الخليفة أبي الحسن المرينيّ سنة 1352م وسلطان غرناطة إسماعيل الأوّل وإقدام سلطان فاس أبي عنان ابن أبي الحسن على الإغارة على الأندلس بسبب جبل طارق ومالقة التي سلّمها صاحبها إلى المرينيّين فجيّش محمّد الخامس الجيوش ودخل في حرب مع المرينيّين لاسترجاع مالقة وبعد أن كان الحليف الأكبر لهم والابن المبجّل لديهم لا سيّما لدى الخليفة أبي الحسن أصبح العدوّ المتآمر ونراه يطلب المعونة من بترو الرّابع ويرجوه مدّه بعشرة أجفان غزويّة يردّ بها أجفان المغرب ويغريه فيعلمه أنّه يسعى بهذه الأجفان لردّ هجمات ملك قشتالة ودعم موقف أرغون المنافس دائما لقشتالة وحماية مصالحه ويرجو لذلك من بترو الرّابع إسعاف مطلبه وتأكيد صداقته وحفاظه على صداقته حتّى يمكن لغرناطة إسعاف أرغون بنفس الطّريقة في قضيّة مماثلة ! !

ـ التّعليق

نرى العلائق بين غرناطة والمرينيّين تفسد وجانب الدّولتين يضعف ويبادر محمّد الخامس بطلب إعانة العدوّ المتربّص به وإقامة حلف معه تكون له لاحقا أخطر العواقب. ونلاحظ أنّ محمّد الخامس بن إسماعيل لا يزال شابّا حديث السّنّ وقليل التّجربة

وتحت تأثير وزرائه الموالين للتاج الأرغوني. وكان مثل هذا السلوك أحد أسباب إضعاف مملكة غرناطة وإذكاء جشع النصارى المحيطين بها.

°73) ـ الوثيقة رقم 71

ـ التّقديم

هذه رسالة من إدريس بن عثمان بن أبي العُلاء إلى بـترو الرّابـع بتاريخ 10 ذي القعدة سنة 762هـ الموافـق لــ 11 سـبتمبر سنة 1361 حول علاقته بملك أرغون.

ـ نصّ الرّسالة

السَّلْطَنَةُ العَظِيمَةُ الكَبيرَةُ الشَّـهيرَةُ الرَّفِيعَـةُ الـمَوْرُوثَةُ مِـنْ سَـلاَطِينَ كِبَـارِ عُظَمَـاءَ وَمُلُـوكٍ عَلَـى طُـول الدَّهْـر كُرَمَــاءَ دُون بطْـرَهْ[1] وَصَـلَ اللَّـهُ تَعَـالَى كَرَامَتَـهُ بتَقْـوَاهُ وَيَسَّـرَهُ لِمَـا يُحِبُّـهُ وَيرْضَـاهُ. كَتَبَـهُ إلَيْكُـمْ مُعَظِّـمُ سُـلْطَانِكُمْ العَـارِفُ بكِـبَر حَقِّكُـمْ إدْريسُ بْنُ عُثْمَـانَ بْـنُ أَبـي العُـلاَءِ[2] وَفَّقَـهُ اللَّـهُ تَعَـالَى، مِـنْ غَرْنَاطَـةَ، حَرَسَـهَا اللَّـهُ وَأَمَّنَهَـا إلاَّ الخَــيْرُ الأَكْمَــلُ وَاليُسْــرُ الأَشْمَلُ. وَالحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ.

وَإلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَكُمْ بتَقْوَاهُ فَمُوجبُهُ نَحْوَ سُـلْطَانِكُمْ التَّشَوُّفُ فِيمَا يَعْرِضُ لَكُمْ عِنْدَ مَوْلاَنَـا أَيَّـدَهُ اللَّـهُ مِـنَ الحَوَائِجِ لِأَبْذُلَ فِي ذَلِكَ الـمَجْهُودَ وَلِنُوفِيَ بَعْضَ الذِي يَجبُ عَلَـيَّ مِـنْ حَقِّكُمْ وَلِمَا صَنَعْتُمْ مَعِي مِنَ الخَيْرِ. وَهَــذَا لاَ يُنْكَـرُ الخَـيْرُ فِـي مَحَلِّكُمْ الرَّفِيعِ، فَمُرَادِي مِنْ عُلُوِّ سُلْطَانِكُمْ مَا يَعْرُضُ لَكُـمْ هُنَـا مِنْ حَاجَةٍ عَرِّفُونِي بِهَا وَنَصِلُكُمْ كَمَا تُحِبُّ إنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّــهُ

---

(1) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(2) ـ وزير ملك غرناطة محمّد الخامس بن فرج بن نصر.

سُبْحَانَهُ يَصِلُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَالسَّلَامُ يُرَاجِـعُ سَلَامَكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ العَاشِرِ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةَ مِنْ عَامِ اثْنَيْـنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- التّحليل

وجّه هذا الوزير إدريس بن عثمان بن أبي العلاء بغرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون رسالة ليؤكّد له إخلاصه الدّائم له ويعبّر له عن استعداده لقضاء حوائجه لدى مولاه السّلطان وكلّما يحصل له من أمور بغرناطة ردًّا لجميله ولما صنعه معه من خير وله عليه من فضل.

- التّعليق

نلاحظ تسابق وزراء غرناطة لا سيّما أبناء أبي العلاء لتقديم شواهد إخلاصهم لبترو الرّابع وحسن استعدادهم لخدمته فكأنّهم ممثّلون رسميّون للملك أرغون لدى صاحب غرناطة وليسوا وزراء أندلسيّين يدافعون عن بلدهم ويحافظون على هيبته ومكانته فالوضع حرج ومثير ومريب ! نتساءل عن سبب سكوت محمّد الخامس عليه ؟ وهل كان على علم به ؟!

°74) - الوثيقة رقم 75

- التّقديم

هذه معاهدة صلح بين محمّـد الخـامس صـاحب غرناطـة وبـترو الرّابع ملك أرغون انضمّ إليهـا سـلطانُ فـاس، أبـو فـارس بـن أبـي الحسن المرينيّ بتاريخ 8 رجب سنة 768هـ الموافق لـ10 مـارس سـنة 1367م.

ـ نصّ الرّسالة

لِيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الـمَكْتُوبِ وَيَسْمَعُهُ أَنَّا الأَمِيرُ عَبْـدُ اللَّهِ مَحَمَّدٌ بْنُ مَوْلاَنَا أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الحَجَّـاجِ بْـنِ مَوْلاَنَـا أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ أَبِي الوَلِيدِ بْـنِ نَصْـرٍ صَـاحِبِ غَرْنَاطَـةَ وَمَالِقَـةَ وَالْمَرِيَـةَ وَوَادِي أَشْ وَرَنْـدَةَ وَبَسْـطَةَ، وَمَـا إِلَـى ذَلِـكَ، وَأَمِـيرُ الـمُسْلِمِينَ، لَمَّا تَرَدَّدَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـمْ أَيُّهَـا السُّـلْطَانُ الـمُعَظَّمُ الـمُكَرَّمُ الكَبِـيرُ الشَّـهِيرُ الأَوْفَـى دُونْ بطْـرَهْ[1] مَلِـكُ أَرَغُـونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَكُرْسِغَةَ وَقُنْـطُ بَرْجَلُونَـةَ وَرُشَّـلْيُونَ وَسَـرْدَانِيَةَ، أَعَزَّكُـمْ اللَّـهُ بِطَاعَتِـهِ فِـي قَضِيَّـةِ الـمُصَاحَبَةِ وَالـمُصَادَقَةِ، عَقَدْنَا مَعَكُمْ الصُّلْحَ أَيُّهَـا السُّـلْطَانُ الـمُعَظَّمُ دُونْ بطْرَهْ[2] عَلَى نَفسِنَا وَرِئَاسَتِنَا وَرِئَاسَـةِ مَحَـلِّ أَخِينَـا[3] السُّـلْطَان

---

(1) ـ الأمير عبد الله محمّد هو السّلطان محمّد الخامس.

(2) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

(3) ـ محلّ أخينـا: السّلطـان أبـو فـارس ابـن أبـي الحسـن الـمـرينيّ في مُقام أخينا.

الـمُعَظَّمِ أَبِي [فَارِسَ][1] عَبْدِ العَزِيـزِ صَاحِبِ الـمَغْرِبِ، أَيَّـدَهُ اللَّهُ، وَجَمِيعِ مَا لَنَا وَلَهُ مِنَ الأَرْضِ وَالـمُدُنِ وَالبِلاَدِ وَالحُصُـونِ وَالـمَوَاضِعِ وَالخُدَّامِ وَالنَّاسِ فِـي الأَنْدَلُـسِ وَالعَـدْوَةِ بَـرًّا وَبحْـرًا حَقًّا وَصِدْقًا مِنْ غَيْرِ خَدِيعَةٍ لِمُدَّةٍ مِنْ ثَلاثَةِ أَعْوَامٍ أَوَّلُهَا العَشْـرُ مِنْ شَهْرِ مَارِسَ مِنْ عَـامِ أَلْـفٍ وَثَلاَثِمِائَـةٍ وَسَبْعَةٍ وَسِتِّينَ مِـنْ تَارِيخِ الصَّفَرِ الـمُوَافِقِ لِلْعَشْرِ الأُوَلِ مِنْ شَهْرِ رَجَبَ عَامَ ثَمَانِيَـةٍ وَسِـتِّينَ وَسَـبْعِمِائَةٍ مِـنْ تَـارِيخِ الـمُسْلِمِين، عَلَـى الشُّـرُوطِ الـمَعْرُوفَـ[ـةِ][2] بَيْنَ دَارِ غَرْنَاطَةَ وَدَارِ أَرَغُونَ فِي كُلِّ مَعْنًى مِنَ الـمَعَانِي الَّتِي جَرَتْ بِهَا العَوَائِـدُ فِـي الأَجْفَـانِ وَالـمُسَافِرِينَ، وَمِنْ عَطَبِ جَفْنِهِ وَفِـي عَمَـلِ الـمَاءِ وَفِـي تَسْرِيحِ الـمُسْلِمِينَ الـمُدْجِنِينَ[3] السَّاكِنِينَ بِأَرْضِ السُّلْطَانِ صَـاحِبِ أَرَغُـونَ وَغَـيْرِ ذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ لاَ يَصْدُرَ مِنْ أَهْلِ البِلاَدِ وَالحُصُونِ وَالـمَوَاضِعِ

---

(1) ـ تمّت الزيادة ليستقيم المعنى.

(2) ـ تمّت زيادة ما بين معقّفين ليستقيم التّركيب.

(3) ـ المدجنين: المقيمين.

التِي لَنَا السُّلْطَانَ، صَاحِبَ غَرْنَاطَةَ وَمَحَلِّ أَخِينَا السُّلْطَان صَاحِبِ الغَرْبِ فِي بَرِّ الأَنْدَلُس وَالعَدْوَةِ وَلاَ مِنْ خُدَّامِنَا وَنَاسِنَا عَيْبٌ وَلاَ فَسَادٌ سِرًّا وَلاَ جَهْرًا فِي بَرٍّ وَلاَ فِي بَحْرٍ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الخِدَاعِ وَلاَ مَا يُفْسِدُ الصُّلْحَ المُهَادَنَ بِطُول المُدَّةِ المَذْكُورَةِ فِي جَمِيعِ البِلاَدِ وَالحُصُونِ وَالمَوَاضِعِ التِي لَكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ دُونْ بِطْرَهْ[1] وَلاَ لِجِهَةِ أَحَدٍ مِنْ نَاسِكُمْ وَلاَ مِنْ خُدَّامِكُمْ لاَ سِرًّا وَلاَ جَهْرًا لاَ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ بَلْ يَكُونُ سُكَّانُ البِلاَدِ وَالرِّيَاسَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانُوا مُسَرَّحِينَ يَمْشُونَ وَيَجِيئُونَ وَيُقِيمُونَ وَيَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ بِتِجَارَتِهِمْ بِطُول الأَمَدِ المَذْكُورِ تَحْتَ الأَمَانِ التَّامِّ الشَّامِلِ العَامِّ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ، وَعَلَى أَنْ يُغَرِّمُوا مَا جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ فِي زَمَنِ الصُّلْحِ فِي جَمِيعِ الرِّيَاسَاتِ الأَنْدَلُسَ وَبَرِّ العَدْوَةِ الذِي لِلسُّلْطَان صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ وَلِلسُّلْطَان مَحَلِّ أَخِينَا صَاحِبِ الغَرْبِ، وَعَلَى أَنْ لاَ يُحْتَمَلَ شَيْءٌ مِنَ العَيْبِ وَلاَ يُفْسَدَ هَذَا الصُّلْحُ وَلاَ يُبْدَلَ لاَ قَلِيلاً وَلاَ كَثِيرًا، بَلْ

---

(1) - دون بترو الرّابع ملك أرغون.

يَكُونُ مَحْفُوظًا عَلَى أَكْمَلِ الوُجُوهِ مِنْ غَيْرِ خِدَاعٍ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ.

وَلاَ نُعِينُ[1] نَحْنُ السُّلْطَانَ صَاحِبَ غَرْنَاطَةَ وَلاَ السُّلْطَانَ صَاحِبَ الغَرْبِ عَلَيْكُمْ مَنْ يُعَادِيكُمْ مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانَ، وَعَلَى أَنْ لاَ يَحْمِلُوا مِنْ أَرْضِنَا لأَرْضِكُمْ شَيْئًا[2] مِنَ الأُمُورِ المَمْنُوعَةِ فِي زَمَنِ الصُّلْحِ وَنَلْتَزِمُ لَكُمْ هَذَا عَنِ السُّلْطَانِ مَحَلِّ أَخِينَا أَبِي فَارِسَ صَاحِبِ الغَرْبِ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِجَمِيعِهِ عَلَى بِلاَدِهِ وَنَاسِهِ حَيْثُ كَانَ بِمَا عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَفْوِيض جَعَلَ لَنَا فِيهِ العَقْدَ عَلَيْهِ مَعَ كُلِّ مَنْ يُصَالِحُهُ إِذَا أَرَدْنَا وَنَحْنُ السُّلْطَانَ دُونَ بِطْرُه[3] مَلِكُ أَرَغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَكُرْسِغَةَ وَقُنْطُ بَرْجَلُونَةَ وَرُشِّلْيُونَ وَسَرْدَانِيَةَ، لِحُبِّنَا فِي صُلْحِكُمْ وَمَوَدَّتِكُمْ

---

(1) ـ في الأصل: ولا نعينوا.

(2) ـ في الأصل: شيء.

(3) ـ دون بترو الرّابع ملك أرغون.

عَقَدْنَا الصُّلْحَ مَعَكُمْ وَمَعَ صَاحِبِ الغَرْبِ[1] عَنْ رِيَاسَتِنَا وَأَرْضِنَا وَمُدُنِنَا وَحُصُونِنَا وَمَوَاضِعِنَا وَخُدَّامِنَا وَنَاسِنَا بَرًّا وَبَحْرًا بِمِثْلِ مَا عَقَدْتُمُوهُ مَعَنَا حَقًّا وَصِدْقًا مِنْ غَيْرِ خِدَاعٍ عَلَى أَنْ لاَ يَصْدُرَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ رِيَاسَتِنَا وَبِلاَدِنَا وَجُزُرِنَا وَحُصُونِنَا وَمَوَاضِعِنَا وَخُدَّامِنَا وَنَاسِنَا عَيْبٌ وَلاَ فَسَادٌ لِجِهَتِكُمْ وَلاَ لِجِهَةِ السُّلْطَانِ صَاحِبِ الغَرْبِ[2] لاَ سِرًّا وَلاَ جَهْرًا لاَ فِي بَرٍّ وَلاَ فِي بَحْرٍ وَلاَ شَيْءَ مِمَّا يُفْسِدُ الصُّلْحَ وَالودَّ لاَ لِجِهَتِكُمْ وَلاَ لِجِهَةِ أَحَدٍ مِنْ نَاسِكُمْ وَخُدَّامِكُمْ وَيَكُونُ النَّاسُ مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانُوا فِي جَمِيعِ رِيَاسَتِكُمْ وَبِلاَدِكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ وَالسُّلْطَانُ صَاحِبُ الغَرْبِ يَمْشُونَ وَيَجِيئُونَ بِتِجَارَتِهِمْ وَيُقِيمُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ بِطُولِ مُدَّةِ هَذَا الصُّلْحِ تَحْتَ الأَمَانِ التَّامِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ وَعَلَى أَنْ يُغَرَّمُوا مَا جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ فِي زَمَنِ الصُّلْحِ فِي رِيَاسَتِنَا وَمَمْلَكَتِنَا وَلاَ يُخْرِجُوا شَيْئًا

---

(1) ـ سلطان فاس: أبو فارس عبد العزيز.

(2) ـ سلطان فاس: أبو فارس عبد العزيز.

مِنَ الأُمُورِ المَمْنُوعَةِ فِي زَمنِ الصُّلْحِ وَعَلَى أَنْ لاَ نُعِينُوا[1] عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ دِينِنَا وَلاَ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ مِمَّنْ يُعَادِيكُمْ وَلاَ نَقْبَلُ عَيْبًا وَلاَ فَسَادًا لاَ سِرًّا وَلاَ جَهْرًا بَلْ نَحْفَظُ الصُّلْحَ عَلَى أَكْمَلِ الوُجُوهِ مِنْ غَيْرِ خِدَاعٍ وَنَحْلِفُ بِمَا يَحْلِفُ بِهِ النَّصَارَى فِي الحُقُوقِ وَالعُهُودِ مِنَ الأَيْمَانِ وَباللَّهُ وَالأَنَاجِيلِ.

وَنُعَاهِدُ مِنْ غَيْرِ خِدَاعٍ أَنْ نَحْفَظَ لَكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ وَالسُّلْطَانُ صَاحِبُ الغَرْبِ وَنُوفِي لَكُمْ وَلَهُ لِلأَمَدِ المَذْكُورِ مِنْ غَيْرِ خِدَاعٍ.

وَنَحْنُ السُّلْطَانَ صَاحِبَ غَرْنَاطَةَ قَبِلْنَا مِنْكُمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ دُونْ بِطْرَهْ[2] وَنُعَاهِدُكُمْ وَنَحْلِفُ لَكُمْ بِاللَّهِ رَبِّنَا الوَاحِدِ الصَّمَدِ وَمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالقُرْآنِ الذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ

---

(1) - نُعِينَ: خطأ في المخطوطة.

(2) - دون بترو الرّابع.

أَنْ نَحْفَظَ لَكُمْ وَنُوفِيَ بِجَمِيعِ مَا ذُكِـرَ بِطُـول زَمَـن الصُّلْـحِ عَنَّـا وَعَن السُّلْطَان صَاحِبِ الغَرْبِ حَيْثُمَا كَـانَ، وَلِـأَنْ يَكُـونَ ثَابتًـا صَحِيحًا، كَتَبْنَا هَذَا وَجَعَلْنَا عَلَيْهِ خَطَّ يَدِنَا وَطَابَعَنَا وَكَتَبْنَا مِنْهُ نُسْخَةً أُخْرَى لِتَكُونَ[1] الوَاحِدَةُ عِنْدَنَا وَالأُخْرَى عِنْدَكُمْ.

وَكُتِبَ فِي تَارِيخِ العَاشِرِ مِـنْ شَـهْرِ مَـارِسَ مِـنْ عَـامِ أَلْـفٍ وَثَلاَثِمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَسِتِّينَ لِتَارِيخِ الصَّفَرِ، وَمُوَافِقُـهُ العَشْـرُ الأُوَلُ لِرَجَبَ الفَرْدِ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

صَحَّ هَذَا.

---

(1) - في الأصل: ليكون.

ـ التّحليل

أعلن محمّد الخامس صاحب غرناطة في هذا الكتاب عن إبرامه معاهدة صلح مع ملك أرغون بترو الرّابع باسمه ونيابة عن زميله وأخيه سلطان فاس، خليفة المغرب أبي فارس عبد العزيز بن السّلطان الكبير والخليفة العظيم صديق غرناطة وحاميها، أبي الحسن بن أبي سعيد تشمل مملكة غرناطة وبلاد العُدوة وكلّ المغرب والبلاد الرّاجعة إليه برّا وبحرا لمدّة ثلاثة أعوام بداية العاشر من مارس من عام 1367م الموافق للعاشر من رجب عام 768هـ على الشّروط المعروفة والمعلومة بين غرناطة والمغرب:

الشّروط:

1 ـ ينطبق الصّلح على البرّ والبحر في أرغون وبلاد الإسلام : الأندلس والمغرب.

2 ـ يتمّ تسريح المسلمين المحتجزين والسّاكنين بأرض أرغون.

3 ـ لا يصدر عن أهل أرغون من البلاد والحصون والمواضع المختلفة شيءٌ يضرّ بالمسلمين بالأندلس والمغرب وبالنّازلين بهذه البلاد في أنفسهم وبضائعهم وأموالهم سرّا أو جهرا برّا أو بحرا أو أمرٌ ما يُفسد الصّلح والمهادنة المعلَنة.

4 ـ لا يقوم أحد من أهل الأندلس والمغرب بعمل يضرّ ببلاد بترو الرّابع ويفسد الصّلح وينال من أهله ومصالحه ـ سرّا أو علنا ـ ومن سكّان بلاده من أيّ دين كانوا ويكون لهم الحقّ في الإقامة والبيع والشّراء والبقاء ببضاعتهم طيلة أمد الصّلح في أمان تامّ وشامل.

5 ـ يدفع التّجّارُ الغرامات المعتادة بالأندلس والمغرب وأرغون بدون زيادة أو توظيف أداءات جديدة أو غرامات إضافيّة.

6 ـ عدم إعانة أحد الطّرفين لعدوّ الطّرف الآخر أو التّعاون معه من أيّ دين كان.

7 ـ عدم السّماح لأهل البلدين بحمل أشياء ممنوعة للبلد الآخر كالسّلاح مثلا.

8 ـ إعلان بترو الرّابع لحبّه الصّلحَ ومودّةَ كُلٍّ من صاحب غرناطة والمغرب عَقْدَه الصّلحَ الصّادق برّا وبحرا مع الأندلس والمغرب بمثل ما عقده معه صاحبا هذين البلدين فلا يصدر عن أهله بكامل بلاده وجزره شيء يضرّ بأرض المسلمين وأهلها ويكون لأهل المغرب وغرناطة الحقُّ في الاتّجار والتّنقّل ببلاد أرغون بكامل

الحرّيّة والأمان الشّامل دون حمل البضائع الممنوعة أو الاتّجار فيها.

ويلتزم صاحب أرغون بعدم إعانة أحد من المسلمين أو النّصارى على ملك غرناطة وسلطان فاس ويُعلنُ محافظته على العهد بدون خِداع والتزامَه بالوفاء له.

ويُقسم في الختام محمّد الخامس بالإيمان وبالقرآن والرّسول المصطفى باسمه واسم سلطان المغرب أبي فارس بأنّه يحفظ العهد ويُوفيَ بكلّ شروط العقد.

ـ التّعليق

تبدو هذه المعاهدة شاملة وافية حَرِصتْ على توفير السّلم والأمن للمقيمين والمسافرين وعلى ضمان ازدهار التّبادل التّجاريّ وحرّيّة تنقّل التّجّار وجلب البضائع وبيعها في أمان بكلا البلادين: النّصرانيّة القطلانيّة والإسلاميّة الأندلسيّة والمغربيّة.

ونلاحظ اشتمال المعاهدة هذه المرّة على البنود الخاصّة بالتّجارة واهتمامها بوضع التّجّار وسدّها الطّريق في وجه المفسدين من القطّاع والمارقين. ونرى هذه المعاهدة كفيلة بحقّ أن تضمن الأمن والسّلم إن خلصت النّيّة وصدقتْ العزائم كما أكّدت عليه المعاهدة.

وما يجدر ذكره في الختام هو أنّ محمّد الخامس عقد هذه المعاهدة وهو في موقف قوّة لأنّ سلطان فاس المعظّم أبا فارس يُسَانِدُه ويناصِرُه وكان غزا إسبانيا المسيحيّة مرّات عديدة وجيّش الجيوش والعتاد مقتديا بوالده أبي الحسن وأخيه أبي عنان اللّذين كانا مثلما كان ذكر من أقوى ملوك الدّولة المرينيّة وأعظمهم وأشدّهم خطرا على أعداء بلاد الأندلس وشبه الجزيرة المغاربيّة ! !

فبدا هذا التّحالف القائم على هذه المعاهدة كسبًا لبني الأحمر وللمرينيّين في هذه الفترة الهامّة من تاريخ الدّولتين ! !

75°) ـ الوثيقة رقم 76

ـ التّقديم

تمثّل هذه الوثيقة رسالة تفويض من السّلطان أبي فارس عبد العزيز صاحب المغرب لمحمّد الخامس أبي عبد الله بن أبي الحجّاج بتاريخ يوم عيد الفطر سنة 768هـ الموافق للواحد والثّلاثين من شهر ماي سنة 1367م.

ـ نصّ الرّسالة

الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي أَسْبَغَ النَّعْمَاءَ وَأَسْبَلَهَا وَسَوَّغَ الآلاَءَ وَأَجْزَلَهَا وَشَرَّعَ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فَحصُلَتْ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَشْمَلُهَا، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ التِي خَوَّلَهَا وَمِنَنِهِ التِي لاَ يُفَصِّلُ الإِحْصَاءُ مُجْمَلَهَا وَلاَ تَبْلُغُ الإِحَاطَةُ آخِرَهَا وَأَوَّلَهَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَصْحَبُ التَّوْفِيقُ مُكْمَلَهَا وَيَعْضُدُ التَّحْقِيقُ مَنْصُوصَهَا وَأَوَّلَهَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذِي خَتَمَ بِهِ النُّبُوَّةَ وَأَكْمَلَهَا ووَهَبَهُ مِنْ مَحَاسِنِ الصِّفَاتِ وَالأَخْلاَقِ أَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَمَرَهُ بالجُنُوحِ لِلسِّلْمِ إِذَا جَنَحَ العَدُوُّ لَهَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي العَزَائِمِ التِي أَمْضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُعْمَلَهَا وَالعُلُومِ التِي أَبَانَتْ مِنْ غَوَامِضِ الحَقَائِقِ مُشْكِلَهَا، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِينِ.

وَبَعْدُ، فَهَذَا كِتَابُ تَفْوِيض أَبْرَمَتْ عَقْدَهُ المُوَالاَةُ الدِّينِيَّةُ وَأَحْكَمَتْ رَسْمَهُ المُصَافَاةُ الخَالِصَةُ النِّيَّةِ وَالمُعَاوَنَةُ عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى بِأَوْفَى مُصَادَقَةٍ وَأَصْفَى طَوِيَّةٍ، فَوَّضَ فِيهِ مَوْلاَنَا

السُّلْطَانُ[1] الخَلِيفَةُ الإِمَامُ الـمَلِكُ الهُمَامُ الأَعْظَمُ الأَفْخَمُ الأَضْخَمُ الأَرْفَعُ الأَمْنَعُ الأَرْوَعُ الأَوْرَعُ الأَتْقَى الأَرْقَى الأَرْضَى الأَمْضَى الأَحْمَى الأَسْمَى الأَمْجَدُ الأَوْحَدُ الأَسْعَدُ الأَصْعَدُ الأَطْهَرُ الأَظْهَرُ الأَخْطَرُ الأَشْهَرُ الأَكْبَرُ الأَبْهَرُ فَخْرُ الأَنَامِ غُمَامُ الأَنْعَامِ الفَاضِلُ الحَافِلُ الكَامِلُ أَمِيرُ الـمُسْلِمِينَ الـمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالَمِينَ أَبُو فَارِسَ[2] ابْنُ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ الخَلِيفَةِ الإِمَامِ الـمَلِكِ العَادِلِ البَطَلِ البَاسِلِ أَسَدِ الأَمَادِ فَخْرِ الـمُلُوكِ الأَمْجَادِ الأَعْظَمِ الأَفْخَمِ الأَضْخَمِ الأَحْلَمِ الأَكْبَرِ الأَخْطَرِ الأَشْهَرِ الأَبْهَرِ الأَطْهَرِ الأَظْهَرِ الأَمْجَدِ الأَوْجَدِ الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَتْقَى الأَرْقَى الأَرْفَعِ الأَسْمَى الأَمْنَعِ الأَحْمَى الأَرْوَعِ الأَوْرَعِ الأَخْشَى لِلَّهِ الأَخْشَعِ الأَرْضَى الأَمْضَى الفَاضِلِ الحَافِلِ الكَامِلِ الـمَبْرُورِ الـمُقَدَّسِ الـمَرْحُومِ أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ الـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالَمِينَ أَبِي الحَسَنِ ابْنِ مَوْلاَنَا السُّلْطَانِ الخَلِيفَةِ الإِمَامِ الـمَلِكِ الهُمَامِ ذِي الآثَارِ وَالـمَآثِرِ، فَخْرِ الـمُلُوكِ العُظَمَاءِ الأَكَابِرِ الأَعْظَمِ الأَضْخَمِ الأَفْخَمِ الأَكْرَمِ الأَحْلَمِ الأَطْهَرِ الأَظْهَرِ الأَكْبَرِ الأَخْطَرِ الأَشْهَرِ الأَبْهَرِ الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَمْجَدِ الأَوْحَدِ الأَسْنَى الأَسْمَى

---

(1) ـ سلطان فاس: أبو فارس عبد العزيز.

(2) ـ سلطان فاس: أبو فارس عبد العزيز.

الأَمْنَعِ الأَحْمَى الأَرْضَى الأَمْضَى الفَاضِل الحَافِل الكَامِل الـمَبْرُور الـمُقَدّس الـمَرْحُوم أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ الـمُجَاهِدِ فِي سَبِيل رَبِّ العَالَمِينَ أَبِي سَعِيدٍ ابْن مَوْلاَنَا السُّلْطَان الخَلِيفَةِ الإِمَامِ الـمَلِكِ الأَعْظَمِ الأَضْخَمِ الأَفْخَمِ الأَحْلَمِ الأَكْرَمِ الأَظْهَرِ الأَطْهَرِ الأَكْبَر الأَخْطَر الأَشْهَر الأَبْهَر الأَرْوَعِ الأَوْرَعِ الأَحْمَى الأَسْمَى الـمُجَاهِدِ الـمُثَاغِر[1] الأَمْضَى الـمُرَابِطِ الأَمْجَدِ الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَوْحَدِ الأَزْكَى ذِي الغَزَوَاتِ الـمَشْهُورَةِ وَالـمَسَاعِي الحَمِيدَةِ الـمَبْرُور أَمِيرِ الـمُسْلِمِينَ الذِي اعْتَزَّ الإِسْلاَمُ تَحْتَ لِوَائِهِ وَرَتَعَ الأَنَامُ فِي ظِلِّ هَدْيِهِ الصَّالِحِ وَاهْتِدَائِهِ الفَاضِل الحَافِل الكَامِل الـمَبْرُور الـمُقَدَّس الـمَرْحُوم أَبِي يُوسُفَ بْن عَبْدِ الحَقِّ، أَعْلَى اللَّهُ تَعَالَى مَقَامَهُ وَنَصَرَ لِلْمُظَفَّرَةِ أَعْلاَمَهُ وَأَسْعَدَ أَسَالِيبَهُ الـمُبَارَكَةَ وَأَيَّامَهُ إِلَى السُّلْطَان[2] الأَجَلِّ الأَعَزِّ الأَسْنَى الأَرْفَعِ الأَرْقَى الأَمْجَدِ الأَسْرَى الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَزْكَى الأَخْطَرِ الأَشْهَرِ الأَرْضَى الـمُجَاهِدِ الأَمْضَى الأَظْهَر الأَطْهَر الأَسْرَى الأَفْضَل الأَحْفَل الأَكْمَل الـمَبْرُور أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْن السُّلْطَان الأَجَلِّ الأَعَزِّ الأَسْمَى الأَرْفَعِ الأَمْجَدِ الأَرْقَى الأَظْهَر

---

(1) ـ في الأصل المثاغر: المثابر الذي يحمي الثّغور.

(2) ـ السّلطان محمّد الخامس صاحب غرناطة.

الأَطْهَرِ الأَرْضَى الأَسْعَدِ الأَرْقَى الـمُجَاهِدِ الـمُثَاغِرِ الـمُرَابطِ الأَمْضَى النَّزيهِ الخَطِيرِ الكَبيرِ الشَّهيرِ الأَسْرَى الأَتْقَى الأَصِيلِ الأَرْقَى الأَفْضَلِ الأَحْفَلِ الأَكْمَلِ الـمَبْرُورِ الـمُقَدَّسِ الـمَرْحُومِ أَبِي الحَجَّاجِ ابْنِ السُّلْطَانِ الكَبيرِ الجَلِيلِ الخَطِيرِ الشَّهيرِ الجَاهِدِ السِّرِّيِّ الأَسْمَى الـمُجَاهِدِ الأَحْمَى الأَمْضَى الأَرْفَعِ الأَصِيلِ الأَزْكَى الأَطْهَرِ الأَظْهَرِ الأَسْنَى الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَوْحَدِ الأَتْقَى الأَفْضَلِ الأَحْفَلِ الأَكْمَلِ الـمَبْرُورِ الـمُقَدَّسِ الـمَرْحُومِ أَبي الوَلِيدِ بْنِ أَبي سَعِيدٍ، وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَهُ وَحَرَسَ مَجْدَهُ وَضَاعَفَ نِعَمَهُ الكَرِيمَةَ عِنْدَهُ، عَقْدَ الصُّلْحِ مَعَ سُلْطَانِ أَرَغُونَ[1]. وَمَنْ طَلَبَ مِثْلَ مَطْلَبِهِ مِنَ الصُّلْحِ مِنْ سَائِرِ مُلُوكِ النَّصَارَى مِمَّنْ قَرُبَ مِنْهُمْ أَوْ بَعُدَ وَتَجْدِيدَ صُلْحِ مَلِكِ قَشْتَالَةَ إِنْ احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ، فَلِلسُّلْطَانِ الأَجَلِّ أَبي عَبْدِ اللَّهِ[2] الـمَذْكُورِ أَنْ يَعْقِدَ الصُّلْحَ مَعَ جَمِيعِ مَنْ ذُكِرَ مِنَ السَّلاَطِينِ عَلَى جَمِيعِ بِلاَدِنَا بَالعَدْوَتَيْنِ الغَرْبِيَّةِ وَالأَنْدَلُسِيَّةِ، حَاطَ اللَّهُ جَمِيعَهَا وَحَرَسَهَا، كَمَا يَعْقِدُهُ عَلَى بِلاَدِهِ، فَقَدْ فُوِّضَ إِلَيْهِ تَفْوِيضًا عَامًّا فِي ذَلِكَ الغَرَضِ مُوصِلٍ إِلَى كَمَالِ الوَاجِبِ فِيهِ عَلَى أَتَمِّ الوُجُوهِ

(1) ـ بترو الرّابع ابن ألفونسو الرّابع.

(2) ـ السّلطان أبو عبد الله محمّد الخامس.

وَأَكْمَلِهَا وَأَعَمِّهَا وَأَشْـمَلِهَا وَعَلَـى العَـادَةِ الـمُسْتَمِرَّةِ الـمَعْرُوفَةِ وَالشُّرُوطِ الـمُسْتَقِـرَّةِ الـمَأْلُوفَةِ.

وَأَشْهَدُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِحَالِ كَمَالِ الإِشْهَادِ وَفِي الثَّـالِثِ عَشَـرَ لِرَجَبَ الـمُبَارَكِ مِنْ عَـامِ ثَمَانِيَـةٍ وَسِـتِّينَ وَسَـبْعِمِائَةٍ : مُحَمَّـدُ حَسَنِ بْنُ يُوسُفَ بْنُ يَحْيَى الحُسَيْنِي شَهِدَ. وَأَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّـدِ بْنُ أَبِي عَمْرُو التَّمِيمِي شَهِدَ. أَعْلَمَ بِصِحَّتِهِ مَحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مَحَمَّدِ الغَانِي. انْتَهَتْ.

وَمَـنْ قَـابَلَ هَـذِهِ النُّسْخَةَ بِأَصْلِهَـا فَأَلِفَهَـا سَـوَا[1] وَأَعْلَـمَ صِحَّتَهُ الأَصْلَ وَثُبُوتَهُ بِإِشْهَادِ قَاضِي الجَمَاعَةِ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَـةَ أَبْقَى اللَّهُ بَرَكَتَهُ بِذَلِكَ، قَيَّدَ بِهِ شَهَادَتَهُ فِـي يَـوْمِ عِيـدِ الفِطْـرِ الـمُبَارَكِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَـرَفَ اللَّـهُ تَعَـالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَـهُ وَعَلَـى إِصْلَاحِ ثُبُوتِـهِ [قَـدْ] شَـهِدَ بِذَلِـكَ شَـهِدَ [بِصِحَّتِـهِ][2] مُحَمَّـدُ بْـنُ .... وَمُحَمَّـدُ بْـنُ مُحَمَّـدٍ بْـنُ مُحَمَّـدٍ [وَ]أَعْلَمَ بِثُبُوتِهِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي الحَسَنِ.

---

(1) - في الأصل: سوا: متماثلة.

(2) - تمّت إضافة ما بين معقّفين - حسب العقود السّابقة ليستقيم المعنى.

التّحليل

وجّه هذا التّفويض الثّابت المشهود به الخليفة المرينيّ صاحب فاس أبو فارس عبد العزير ابن أمير المسلمين أبي الحسن ابن الخليفة أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب إلى السّلطان صاحب غرناطة أبي عبد الله أبي الوليد محمّد الخامس ابن السّلطان أبي الحجّاج يوسف الأوّل ابن السّلطان أبي الوليد إسماعيل بن أبي سعيد بن فرج بن نصر لينوب عنه في إمضاء الصّلح مع ملك أرغون وتجديده مع ملك قشتالة إن رغب في ذلك ومع كلّ ملك نصرانيّ يرغب في الانضمام لهذا الصّلح.

ولقد فوّض أبو فارس إلى محمّد الخامس بهذا الكتاب تفويضا ثابتا عامّا من أجل الصّلح حسبما أمر به تعالى[1] حين أمر بالجنوح للسّلم إذا جنح لها العدوّ وأشهد على نفسه قاضي الجماعة بغرناطة بصحّة أصل هذا الكتاب وثبوته يوم عيد الفطر سنة 768هـ وأشهد على صحّة التّفويض وسلامته. في الثّالث عشر لرجب المبارك عام 768هـ محمّد حسن بن يوسف بن يحيى الحُسينيّ وأحمد بن

---

(1) ـ ضمّن هذا المعنى في مقدّمة رسالته.

ـ من برشلونة : de Barcelone

محمّد بن أبي عمرو التّميميّ وأعلم بصحّة التّفويض محمّد بن يحيى بن محمّد الغاني وقابل النّسخة بأصلها وشهد بصحّتها وبثبوتها قاضي الجماعة بحضرة غرناطة وشهد بذلك محمّد بن محمّد وأعلم بثبوته العدل عليّ بن عبد الله بن أبي الحسن.

التّعليق

نلاحظ التّحرّي التّام والدّقيق في عقد هذا التّفويض والحرص على إحاطته بكلّ الضّمانات التي لا يمكن القدح فيها أو الحدّ من فاعليّتها.

ويجدر أن نشير إلى جوّ الثّقة الذي كان بين صاحب غرناطة وسلطان فاس الجديد بعد اكفهرار الجوّ وتلبّده أيّام سلفه الذي تعمّق العداء بينه وبين محمّد الخامس إلى حدّ المواجهة بالقصور والبلاطات وعلى الجبهات توحّد الموقف في مقابل ذلك اتّجاه قشتالة وأرغون. فخشيهما العدوّ وأصبحت لهما سطوة ومكانة !

وحين تفرّق جمعهما وتفاقمت خلافاتهما وَرَجَحت الكفّة لصالح النّصارى قشتاليّين وأرغونيّين انهارت الدّولة المرينيّة وسقطت غرناطة وأفل نجم المسلمين بالأندلس بعد عصور ودهور من الحضارة والرّقيّ والازدهار في كلّ العلوم والفنون ولله في خلقه شؤون ! !

الخاتمة والاستنتاجات

ـ ١الخاتمـــة

ساعدتْ هذه الوثائق على تتبّع الأحداث ورصدها بهذه المنطقــة الحسّاســة المســيحيّة الإســلاميّة بـالحوض الغربـيّ للبحـر الأبيــض المتوسّط بشبه الجزيرتين المتعاقبتين والمتقابلتين الإيبيريّــة والمغاربيّـة في القرن الرّابع عشر ميلادي. ولقد كانتا متنافستيْن ومتصــارعتيْن في تكافؤ للقُوى غالبا واختلال للموازين أحيانا وخاضتا كثـيرَ الحـروب وعاشـتا عديـــدَ التّقلّبــات وســيطرتْ عليهمــا فواجــعُ الإغــارات والهجومات المسيحيّة القطلانيّــة علـى القـلاع الأندلسيّة والحصون الغرناطيّــة وردود الفعـل العنيفـة والسّـــطو المــؤذي علــى المراســي القطلانيّة والمنتجعات المسيحيّة.

ووقفنــا بفضلهــا علـــى محـــاولات الــرّدع والتّصـــدّي الغرناطيّـــة الأندلسيّة وأدركنا فظاعة الخسائر البشريّة لدى الطّرفيْـن القطلانــيّ والغرناطيّ. ولـمسنا تشابك المصالح الإنسانيّة والتّجاريّة التي جسّمتها هذه الوثائق وكشفتها هذه المرا>ســلة الهادئـة حينـا والمتوتّـرة حينـا آخر. وتتبّعْنــا محــاولات ملـوك أرغـون وغرناطـة علـى حـدّ السّواء للتّخفيف من الأزمة الإنسانيّة والمأساة البشريّة اللتين كان يعيشــهما

رعايا البلديْن نتيجة هذا التّصادم والمخطّطات السّياسيّة المرسومة في الخفاء والعلن للنّيل من الطّرف الآخر وابتزازه لا سيّما من جانب أرغون.

وكانت إغارات القراصنة وعمليّات القطع الوجه المفضوح لهذه السّياسة ولهذه الحرب المتواصلة وغير المعلنة والمتسبّب في الفواجع البشريّة والمآسي الإنسانيّة المستمرّة بسبب الخطف والأسر والاستعباد والاسترقاق.

وكانت لذلك محاولات تسريح الأسرى ـ كما تظهر في هذه الوثائق ـ والافتداء ومبادلة المختطفين والمعروضين في أسواق العبيد والنّخّاسين، إذ جلّ الرّسائل المتبادلة ـ إن لم يكنْ جميعها ـ متعلّق بموضوع القَطْع والأسر وتسريح المختطفين، نصارى ومسلمين، واسترجاع أموالهم وممتلكاتهم. وبعضُها متّصل بالأمن بالبحر ومراكب التّجّار وبضائعهم وما كانوا يدفعون من أداءات وإتاوات على أثمان السّلع ومداخيل الدّيوانة ومقابيضها. ولقد كان همّ ملوك أرغون في مراسلتهم لسلاطين غرناطة ضمان أمن رعاياهم وإيقاف إغارات القطّاع والقراصنة دون السّعي للحصول على مداخيل إضافيّة من التّجارة المتبادلة والسّلع المستوردة.

ولقد كانت هذه غايتهم الأولى في كلّ عَقد حاولوا إبرامه مع

الحفصيّين أو بني عبد الواد بتلمسان. فكان مشكل الإتاوات والمداخيل المقتطعة من معاليم البضائع القطلانيّة الواصلة إلى المراسي الحفصيّة موضوع جلّ المراسلات، وهَمّ جاقمو الثّاني ملك أرغون وحفيده بترو الرّابع وخطّته المفضّلة للتّغلغل في إفريقيّة والتّدخّل في شؤون ديوانتها.

وأمّا مع غرناطة فكان الغرض العمل على إيقاف الغارات والحصول على تسريح الأسرى النّصارى ومنع القطع وحجز الأجفان بالمراسي الحفصيّة أو المغربيّة.

لقد كان أرغون ــ الدّولة القويّة على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط الغربيّة ــ يحاول ــ بلغة العصر ومصطلحات سياسة العولمة ـ التّصدّي للإرهاب ويعمل للقضاء عليه وكفّ أذاه عن البلاد القطلانيّة، وإن كان هذا الأذى الحاصل وهذا الإرهاب المسلّط مُتولّديْن عن سياسته العدوانيّة وإرهاب قراصنته الرّسميّين المسيحيّين الممتثلين لتعليمات الكنيسة أو البلاط الأرغونيّ. فالقرصنة الإسلاميّة كانت إذن وليدة القطع والإرهاب الفرديّ أو الرّسميّ المسيحيّ.

فكأنّنا بالأحداث التّاريخيّة تُعيد نفسها تحت مُسمّيات مختلفة وفي كنف ظروف ومعطيات متشابهة. فالتّصادم يتمّ في بلدان تنتسب

إلى حضـارتين متنافستيْن وديـانتيْن متكـاملتيْن أساسـهما التّوحيـد والسّلام، غير أنّ التّعصّب دفع أرباب الجاه والمصـالح إلى الانغـلاق والتّصادم سواء عن طريـق الـدّسّ وإحـداث الفتن أو طريـق القطـع. وضعفتْ بذلك دولة بني الأحمر ووَهن الحكم فيهـا وتراجـع. وكـان سقوط غرناطة وطمس معالم نهضةٍ وأفول نجم سطع أكثر مـن ثمانيـة قرون !!

ما الذي يمكن استنتاجه من هذه الوثائق ومن مسيرتنا مـع هـذه الأحـداث القطلانيّـة الأندلسـيّة وإلـمامنا بـالتّطوّرات والمخطّطـات ومسكنا بمختلف النّجاحات والانتكاسات لـملوك بني الأحمر ؟؟

لقـد كـان سـلاطين غرناطـة الأُوَل يتمـيّزون ولا شـكّ بـالحزم ويطمحـون إلى بنـاء دولـة قويّـة علـى أنقـاض المـالك الأندلسـيّة المتصارعة والمتداعبـة ويسـلكون سياسـة توسّعيّة بالمنطقـة، تتجـاوز أحيانا قدراتهم وإمكانـاتهم، منـذ عهـد مؤسّس الدّولـة محمّـد بـن يوسف بن نصر بن الأحمر الخزرجـيّ الـذي ثـار علـى ابـن هـود[1] صاحب إشبيليّة واستقلّ بغرناطة وبايع أبا زكّريا الحفصي الموحّدي

(1) - ابن هود: كان يحكم إشبيليّة والبيرة وغرناطة.

كخليفة للمسلمين مثلما فعل السّلطان يعقوب[2] المرينيّ بفاس قبل أن يعلن استقلال الدّولة المرينيّة نهائيّا ويقضي على الدّولة الموحّديّة.

وتوفّق ابن الأحمر بفضل هذه السّياسة وبمساعدة الحفصيّين والمرينيّين إلى إقامة مملكة مزدهرة متكاملة حافظة لمصالح المسلمين بالأندلس وراعية للحصون الإسلاميّة والقلاع الأندلسيّة المهدّدة بعد سقوط قرطبة[3] واستيلاء القشتاليّين عليها سنة 636هـ وانتفاء حكم مركزيّ قويّ بالأندلس ــ وإن صوريّا ــ فأثار هذا الوضع الجديد بالمنطقة حفيظة نصارى إسبانيا ومخاوف ملوكهم وأفزعهم ظهور هذه المملكة المتحفّزة والواعدة، وبادروا بالتّحالف لمجابهة الخطر المجاوز والمبدّد لأحلامهم والمانع من تحقّق أطماعهم.

وَتَمَّ لقاء تاريخيّ بين سانشو الرّابع[4] ملك قشتالة وجاقمو الثّاني ملك أرغون واتّفق المَلِكان سنة 1291م على تقسيم المنطقة إلى

---

(2) ـ يعقوب: كان السّلطان يعقوب الباني الفعلي للدّولة المرينيّة.

(3) ـ استولى القشتاليّون على قرطبة يوم الأحد الثّالث والعشرين من شوّال سنة 636هـ الموافق لـ 1258م.

(4) ـ أنظر دفرك. العلاقات القطلانيّة والمغرب. وهانري تيراس: تاريخ المغرب. والاستقصاء للنّاصري. ج 4.

مناطق نفوذ بينهما وإبرام معـاهدة مُنْتقَـادُو في هـذا الشّأن. فاعتـبرا الأندلس شمالا وشرقا وغربا تابعة لقشتالة، بينمـا جنـوب الأندلـس وشمال إفريقيا: تونس والمغـرب وتلمسـان والمـدن الأندلسـيّة المطلّـة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط كبلنسية تابعة لأرغون.

وكان التّسرّع القشتاليّ في محاولة السّيطرة على الأندلس وتهديـد إشـبيليّة ومُرسـية وغيرهـا مـن الأمصـار الأندلسـيّة واحـتراز أرغـون وغضبـه وقـراره عرقلـة هـذا التّوسّـع واختيـاره المنافسـة الصّريحـة لقشتالة ومحاولة التّغلغل في الأندلس والشّؤون المغاربيّة سِلْمًا وبـدون تصادم، وعن طريق عقود صلح ومعاهدات سلم وتهادن.

وبـادر جـاقمو الثّـاني ـ أعظـم ملـوك أرغـون في ذاك العصـر ـ بتحقيق التّوسّع الأرغونيّ القطلانيّ سلما، بواسطة التّجارة وسياسـة المساعدة وحسن الجوار، واستطاع بفضل هذه الدّيبلوماسيّة الهادئـة عقد معاهدات صلحيّة وتدشين عهـد تعـاون وتحـالف بـين غرناطـة وأرغون، وأفلح ابنُه ألفونسو الرّابع وحفيدُه بترو الرّابع في استغلاله ومزيد التّوسّع عن طريقه.

وكانت هذه المراسلة التي نقوم بـالتّعريف بهـا في هـذا الكتـاب تجسيدا لهذه السّياسة وهذه العلاقات الإسبانيّة القطلانيّة الأندلسيّة الإسلاميّة.

وبعدُ، ما الذي نستطيع استنتاجه من تدرّج هذه العلاقات وما صاحَبَها من أحداث وتبعها من تطوّرات.

ـ الاستنتاجات

إنّ ما يمكن أن نلاحظه بعد استيعاب كلّ هذه الأحداث والنّفاذ إلى روح هذه الوثائق الخمسة والسّبعين يتمثّل في الملاحظات التّالية:

1. كان التّهديد الإسبانيّ المسيحيّ للمسلمين بالأندلس حقيقيّا وساعيًا للإطاحة بغرناطة حربا أو سلمًا.

2. كان التّنافس القشتاليّ ـ الأرغونيّ سمح لغرناطة بالتّوسّع والازدهار، ولسياسة الحرب الإسبانيّة المسيحيّة بالتّراجع والتّوقّف أحيانا.

3. كانت سياسةُ التّحالف الأرغونيّ الغرناطيّ المؤقّت عاملَ قوّة وغرور في آن واحد لغرناطة دفعتها للبحث عن التّوسّع ومجابهة حليفتها وضامنة أمنها واستقرارها، وهي الدّولة المرينيّة، والالتفاف عليها وتجاهل العدوّ الحقيقيّ الجاثم عليها المتمثّل في الإسبان القشتاليّين والقطلانيّين على السّواء، وشجّعها عل قبول الدّسّ للمرينيّين الحامينَ للأندلس مثلما كان المرابطون والموحّدون والحفصيّون بإفريقيّة.

4. كان تواجُد حكم مركزيّ قويّ سواء بالأندلس أو بلاد العَدوة بالمغرب ضامن أمن غرناطة ومواصلتها مسيرتها وشرطا أساسيّا للمحافظة على مناعتها ووجودها وقدرتها على مُواجهة الإسبان المسيحيّين.

5. كانت عمليّات الدّسّ والمناورة لملوك أرغون تتمّ عن طريق قوّاد المليشيات المسيحيّة العاملة بمملكة غرناطة والوزراء المسلمين ببلاطها المراوغين والمتعاونين مع التّاج الأرغونيّ السّالكين سبيل الخيانة لسلطانهم وبلادهم والجري وراء مصالح آنيّة واللّهفة على تحقيق مطامع شخصيّة.

6. كان نظر بعض ملوك غرناطة قصيرا غير متبصّر بالعواقب ومتعامِلاً مع الواقع المصلحيّ الضّيّق غير ضامن لبقاء الدّولة وتواجد الحُضور العربيّ الإسلاميّ بإسبانيا. فقَبِل هؤلاء الحكّام التّعاون مع ملوك إسبانيا القشتاليّين أحيانا والأرغونيّين حينًا آخر والتّحالفَ معهم ضدّ بعضهم بعضا وضدّ المرينيّين المساعدين لهم على تثبيت الوُجُود ومجابهة الأخطار والحروب.

7. كانت قوّة الأساطيل القطلانيّة تمثّل تهديدا صريحا لمختلف الدّول الإسلاميّة بالمنطقة والسّلاح الضّامن للتّوسّع الإسبانيّ. وكانت حاجة غرناطة والمرينيّين أنفسهم لأجفان أرغون

وخشب قطلانيا موطن ضعفٍ كبير في الأسطول الإسلاميّ والسّياسة الأندلسيّة المرينيّة. وكانت محاولة السّلاطين بالأندلس أو فاس الحصول على الأجفان القطلانيّة سواء بكرائها أو اشترائها أو مبادلتها مقابل خدمات أو تنازلات نقطة ضعف في مخطّطاتهم وتوجّهاتهم، ممّا ساعد العدوّ وأرغون خاصّة على التّغلغل والتّدخّل في الشّؤون الإسلاميّة الأندلسيّة أو المرينيّة.

8. كانتْ الفتن الدّاخليّة التي أثارها "المتعاهدون" بإيعاز من رجال الكنيسة والسّلطة الإسبانيّة، والتّقاتُل من أجل الحكم بين الأمراء والسّلاطين المسلمين بالقصور، سببا هامًّا في إضعاف الدّولة الإسلاميّة بالأندلس وفاس، وفي السّماح لأرغون وقشتالة بالتّدخّل في شؤون الدّولة الإسلاميّة وإضعافها وإعداد الفرصة السّانحة للإجهاز عليها.

9. يبدو من خلال هذه العلاقات والتّطوّرات الحاصلة في السّابق واللاّحق أنّ خُلُوَّ الدّولة الإسلاميّة من تقاليد واضحة مقبولة وتشاريع قانونيّة فقهيّة تسمح بانتقال السّلطة في البلاد الإسلاميّة ـ الأندلس والدّول المغاربيّة ـ بطريقة رسميّة سلميّة عند هلاك الخليفة أو السّلطان أو تنحّيه دون لجوء إلى المناورة والفتنة ودسائس الوُزراء والحجّاب والبلاط عمُوما... كان السّبب في إضعاف الحكومة

الإسلاميّة وجلّ المصائب والويـلات الّـتي حلّـت بـالبلاد الإسـلاميّة وهزّتْ الدّولة العربيّة الإسلاميّة عموما، فكان الاقتتال والتّعويل على العدوّ الأجنبيّ والاحتكام إليه، وبالتّالي القضـاء علـى سـلطة البـلاد وانهيار الدّولة الإسلاميّة تماما. والملاحـظ أنّ هـذه الخاصّيّـة مـيّزت نهج الحكم في منطقتنا هذه في القديم والحديث !!

10. وأخيرا اعتمد ملوك أرغون القطعَ وإغـارة القراصنـة وسـيلةً للنّيل من غرناطة خاصّة والدّول الإسلاميّة المغاربيّة عامّةً، وساعدهم تفوّق أساطيلهم على إيذاء المســلمين وإضعـاف الحـاكمين والسّيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسّط.

وختاما نستطيع أن نؤكّد أنّ القطع في ذلك العصـر كـان موجعـا وآثاره مؤلـمة ومؤثّرة. وكانت مثـل هـذه المعـاهدات المبرمـة أحسـن وسـيلة للاتّقـاء مـن شـرّه. وكـان الملـوك والحكّـام لا يعمـدون لهـذه المهادنة ولا يبحثون عن هذا السّلم إلاّ عند اشـتداد الأذى وشـعورهم بتكافؤ القُوى وحصول توازن بينهـا في البـلاد المسـيحيّة والإسـلاميّة المجاورة. وعند اختلال التّوازن تكون الفاجعة.

ولقد كان هذا التّوازن لصالح مملكة غرناطة كلّمـا كـانت الـدّول المغاربيّـة ولا سـيّما الدّولـة المرينيّـة بفـاس قويّـة الجـانب عظيمـة بجيوشها وأساطيلها، بينما عند اختلال هذا التّوازن تكون الفاجعة.

وهو ما حدث لاحقا لـمّا ضعفت الدّولة المرينيّة في أواخر القرن الخامس عشر الميلاديّ بتكاثر الفتن الدّاخليّة بسبب تكالب الأمراء والوزراء على السّلطة وانتشار الدّسائس والمؤامرات بالقصور والبلاطات. وتوحّدت ـ في مقابل ذلك ـ قشتالة وأرغون ورجحتْ الكفّة لصالح النّصارى ـ قشتاليّين وقطلانيّين ـ فانهارت بذلك الدّولة المرينيّة وسقطت غرناطة وأَفَلَ نجم الإسلام والمسلمين بالأندلس بعد عصور ودهور من الحضارة والرّقيّ والازدهار في الفكر وأنواع العلوم والفنون. ولله في خلقه شؤون ! !

فهل كان في الإمكان تواصل الحكم الإسلاميّ بالأندلس ؟!

وهل كان يمكن أن تكون العلاقات الإسبانيّة الإسلاميّة الأندلسيّة علاقات تعاون حقّ ودفع لتقدّم الإنسانيّة وإقرار تآخٍ بشريّ ونشر تسامح قام عليه الإسلام وإرساء علاقات تحابب نادى به المسيح وبشّرت به كلّ الدّيانات السّماويّة ليكون التّفاهم بين البشر والحوار بين الحضارات عامل رقيّ للإنسان وإسعاد للبشر ! !

إنّنا نأمل أن يكون في الجزء الثّاني من هذا العمل ـ "علاقات الأندلس مع إسبانيا المسيحيّة وسقوط غرناطة" ـ الجواب على هذا التّساؤل والمساهمة في تصوّر المقترحات الرّامية إلى تجاوز الوضع المتردّي الذي تعيشه البلاد الإسلاميّة في عصر العولمة والقطب الأحادي المهيمن !

الفهارس:

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

المصادر والمراجع

(ملحق) جدول الوثائق

محتوى الكتاب

فهرس الأعلام

فهرس البلدان

المصادر والمراجع

- أرشيف التّاج الأراغوني

- A.C.A: Archives de la couronne d'Aragon

- أرشيف التّاج الأراغوني: خرائط عربيّة: نصوص منشورة ترجمها إلى الإسبانيّة ألركون

- A.C.A...: Cartes Arabes : Textes publiés et traduits en espagnol par ALARCON.

- كتاب التّاج لجيميناز سولار. ط. برشلونة. ج3.

– Ginninez Soler: La Corona

- تاريخ إسبانيا. لسولديفيلا ج 2

- أريباس بلو: كتاب الاحتلال. برشلونة 1962

–Arribas Plau : La conquista

- المراسلة الملكيّة الدّيبلوماسيّة

- A.C.A (C.R.D): Correspondance royale diplomatique

- الأرشيف التّاريخي لميورقة

- A.H.M: Archives historiques de Majorque (Palma, Majorque)

- السّلاوي أبو العبّاس النّاصريّ: الاستقصا[ء] لأخبار دول المغرب الأقصى

- ENNAçIRI: El Istiksaa

ـ لوي دو ماس لاتري : معاهدات تخصّ علاقات المسيحيّين مع عرب إفريقيّة الشّماليّة في العصر الوسيط. باريس 1866

- Mas - Latrie (L-de) Traités de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge. Paris 1866 supplément et tables. Paris. 1872.

ـ بيار فيدال : يهود الرّسيليون ـ باريس 1888

- Pierre Vidal: Juifs de Roussillon - Paris 1888

ـ بروDال : البحر الأبيض المتوسّط

- Braudel: La Méditerranée

ـ ليفي بروفانسال : تاريخ إسبانيا الإسلاميّة. (3 أجزاء). ج 1. باريس 1950-1953.

-- Levi Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane. Paris. 3T. 1950 1953.. t. 1.

ـ دوفورك : (شارل ايمانويل) : المسيحيّون والمسلمون في القرون الأخيرة للعصر الوسيط. باريس.

- Dufourq Charles Emmanuel : Chretiens et Musulmans durant les derniers siècles du moyen âge. Paris

ـ دوفورك : (شارل ايمانويل) : إسبانيا القطلانيّة والمغرب في القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر. باريس 1966.

- Dufourq Charles Emmanuel : L'Espagne Catalane et le Maghrib au

XIIIème et XIIème siécle. Presse Universitaires de France. 1966..

- إلْمَانِي: ميلِيسياس : المِليشيات : - Alemany Milicias

- ابن خلدون. كتاب العِبر. منشورات دار الكتاب الإسلاميّ اللّبنانيّ. بيروت 1959. (الجزء السّادس).

- عبد الرّحمان بن خلدون: المقدّمة والتّاريخ. ترجمة إلى الفرنسيّة دو سلان. باريس 1862.

- لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمّد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي. مصر 1974. جزآن. (الجزء الثّاني)

- ابن عذاري المرّاكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب. الجزء الثّاني.

- عمر سعيدان: مراسلة الحفصيّين والقطلانيّين في عهد جاقمو الثّاني ملك أراغون. دراسة ووثائق. منشورات سعيدان سوسة 1988.

- عمر سعيدان: علاقات إسبانيا القطلانيّة بالحفصيّين في الثّلثين الأوّل والثّاني من القرن الرّابع عشر م. منشورات سعيدان. سوسة. نوفمبر 2002.

- عمر سعيدان. علاقات إسبانيا القطلانيّة بتلمسان في الثّلثين الأوّل والثّاني من القرن الرّابع عشر م. منشورات سعيدان. سوسة. نوفمبر 2002.

- عمر سعيدان. علاقات إسبانيا القطلانيّة ببني مرين في الثّلثين الأوّل والثّاني من القرن الرّابع عشر م. منشورات سعيدان. سوسة. جانفي 2003.

مراجع أخرى للتوسّع:

- حسن حسني عبد الوهاب. ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة. طبعة المنار. تونس 1965.

- أبو عبد الله محمّد بن أبي الزّهري. كتاب الجغرافية. المكتبة الصّقليّة.

- عبد العزيز بن سالم وأحمد مختار العيّادي. تاريخ البحريّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس. دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر. لبنان 1969.

- لسان الدّين بن الخطيب. كتاب أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. أو تاريخ إسبانيا الإسلاميّة. تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال. ط. 2. دار المكشوف. بيروت لبنان. 1956.

- محمّد يسين الحموي. تاريخ الأسطول العربيّ. طبعة بيروت.

- Alarcon Santon (M) et GARCIA De Linanes (R). les documentos diplomaticas de la corona de Aragon. Madrid-Grenede. 1940.

- AT-TIJANI. Voyage en Tunisie. trad. Française par Rousseau. dans Journal Asiatique 4ème Série. t. 20. Paris. 1852.

- Bransel (F). La Méditerranée au temps de Philippe II. Paris. 1949.

- Brunschwig (R). La Berberie Orientale sous les Hafsides. 2 vol. Paris. 1940-1947.

- Documents inédits sur les relations entre la couronne d'Aragon et la Berberie Orientale au XIVème siècle. AIEO. Alger. 1936.

- Capmany Y MONTPALAUCA .de Mémorias. sobre la marina. comercie y artes de Barcelona. 4 vol. Madrid. 1779-1792.

- CUBELLS (M). Documentos diplomaticas aragoneses. Revue

hispanique. 37. 1916.

- DUFOURCQ (ch. E). La couronne d'Aragon et les Hafsides au XIII siécle. AST, t. 25. 1952.

- Documents inédits sur la politique ifriqiyenne de la couronne d'Aragon. AST. t. 26. 1953

- Nouveaux documents sur la politique africaine de la couronne d'Aragon. AST. t. 26. 1953.

- FAGNIEZ (G). Documents relatifs à l'histoire du commerce et de l'industrie en France. t. 1. Paris. 1898.

- FINKE (H). Acta Aragonensia. 3 vol. Berlin-Leipzig. 1908-1922.

- GAUTIER (E.F). Le passé de l'Afrique du Nord Paris. 1937.

- GIMENEZ Soler (A). Documentos de Tunez del Archive de la corona de Aragon. AIEC. 1909-1910.

- El corso en el Méditerranée. Archive de investigociones historicas. t. 1. Madrid. 1911.

- Episodios de las relationes entre la corona de Aragon Y Tunez. AIEC. 1907.

- GIUNTA (F). Aragonesi e Catalani nel Mediterranée. t. I et II. Palerme. 1953-1959.

- La missione diplomatica di BERENGNER de Vilaragut (Relazioni tra l'Aragona et Tunisi negli anni. 1294-1295). dans studi in onore di A. F. aufani. t. II. Milan. 1962.

- Sulla politica tunisina di Giacomo II: La missione diplomatica di

Guillem Oulomar. dans Miscellanea di studi in encore di E. di carle, t. I. Trapani. 1959.

- JULIEN (Ch. A). Histoire de l'Afrique du Nord. Paris 1931. 2ème éd. t. II. Pàris. 1952..

- Marçais (Georges). La Berberie Musulmane et l'Orient au moyen âge. Paris. 1946.

- Les villes de la côte algérienne et la piraterie au moyen âge. AIEO. t. 13. Alger.

-MASIA DE ROS (A). La corona de Aragon Y les Estades del nerte de Africa. Barcelone. 1951.

- SAYOUS (A.E). Le commerce des Européens à Tunis. Paris. 1929.

(ملحق): جدول عامٌّ للوثائق الموجودة في هذا الكتاب

(مراسلة غرناطة مع إرغون)

الرّقم والوثيقة	التّاريخ	ملوك غرناطة	ملوك أرغون
1. معاهدة صلح بين جاقمو الثّاني ومحمّد الثّاني	ربيع الثّاني 701هـ الموافق لديسمبر 1302م	أبو عبد الله نصر	جاقمو الثّاني
2. رسالة من الوزير عثمان بن إدريس بن أبي العلاء إلى جاقمو الثّاني	18 جمادى الأولى 714هـ/ ماي 1314م	أبو عبد الله نصر	جاقمو الثّاني
3. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني حول معاهدة الصّلح	23 صفر 714هـ/ 29 ماي 1314م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
4. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	18 ذو القاعدة 714هـ/ 5 مارس 1315م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
5. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	28 ذو القاعدة 714هـ/ 14مارس 1315م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
6. رسالة من القائد يوسف بن محمّد بن كماشة إلى جاقمو الثّاني	18 جمادى الأولى 716هـ/ 8 سبتمبر 1316م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
7. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى نائب الملك دون بطرو لوبيز	12 شوّال 716هـ/28 ديسمبر 1316م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني

8. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	17 ربيع الثّانى 721هـ/ 16 ماي 1321م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
9. معاهدة صلح بين إسماعيل الأوّل وجاقمو الثّاني	17 ربيع الثّانى 721هـ/ 16 ماي 1321م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
10. كتاب من الوزير عثمان بن إدريس بن أبى العلاء إلى جاقمو الثّاني	18 ربيع الثّانى 721هـ/ 17 ماي 1321م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
11. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّانى (فيها شكايات)	3 محرّم 723هـ/ 12 يناير 1323م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
12. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	17 جمادى الثّانية 723هـ/ 23 جوان 1323م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
13. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	29 رجب 723هـ/ 25 أفريل 1323م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
14. كتاب من الوزير عثمان بن إدريس بن أبى العلاء إلى جاقمو الثّاني	11 شوّال 723هـ/ 13 أكتوبر 1323م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
15. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى بطرو قرالط (نائب جاقمو الثّاني)	4 ربيع الأوّل 724هـ/ 11 مارس إلى 10 أفريل 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
16. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	1 جمادى الثّانية 724هـ/ ماي ـ جوان 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني

17. رسالة من الوزير عثمان بن إدريس بن أبى العلاء إلى جاقمو الثّاني	19 شعبان 724هـ/ 12 أوت 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
18. مشروع وثيقة من الوزير عثمان بن إدريس بن أبى العلاء إلى جاقمو الثّاني	19 شعبان 724هـ/ 12 أوت 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
19. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	17 شعبان 724هـ/ 9 أوت 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
20. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى أندرو (نائب الملك جاقمو الثّاني)	13 جمادى الثّانية 724هـ/ 7 جوان 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
21. كتاب من الوزير عثمان بن إدريس إلى جاقمو الثّاني	1 ذو الحجّة 724هـ /17 ديسمبر 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
22. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	29 ذو الحجّة 724هـ /7 ديسمبر 1324م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
23. رسالة من إسماعيل الأوّل إلى جاقمو الثّاني	24 ربيع الثّانى 725هـ/ 10 أفريل 1325م	إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
24. رسالة من محمّد الرّابع بن أبى الوليد إسماعيل إلى جاقمو الثّاني	11 جمادى الثّانية 726هـ / 17 ماي 1326م	محمّد الرّابع بن إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني

25. معاهدة صلح بين محمّد الرّابع وجاقمو الثّاني (سنة 726هـ)	15 جمادى الثّانية 726هـ / 25 ماي 1326م	محمّد الرّابع بن إسماعيل الأوّل	جاقمو الثّاني
26. رسالة من محمّد الرّابع إلى ألفونسو الرّابع	30 جمادى الأولى 728هـ / 12 أفريل 1328م	محمّد الرّابع بن إسماعيل الأوّل	ألفونسو الرّابع بن جاقمو الثّاني
27. معاهدة صلح بين يوسف الأوّل وألفونسو الرّابع (سنة 735هـ)	30 ذو القعدة 735هـ / 30 جويلية 1303م	يوسف الأوّل بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر	ألفونسو الرّابع بن جاقمو الثّاني
28. رسالة من رضوان بن عبد الله وزير ملك غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون	18 محرّم 734هـ / 29 سبتمبر 1333م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
29. رسالة من رضوان بن عبد الله وزير ملك غرناطة إلى ألفونسو الرّابع ملك أرغون	18 محرّم 734هـ / 29 سبتمبر 1333م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
30. كتاب من الوزير عامر بن عثمان بن أبي العلاء إلى ألفونسو الرّابع	20 رمضان 734هـ/ 25 ماي 1334م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
31. رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	30 جمادى الثّانية 735هـ/ 24 فيفري 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع

32. كتاب من الوزير رضوان بن عبد الله إلى ألفونسو الرّابع	15 ذو الحجّة 735هـ/ 27 جوان 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
33. رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	27 ذو القاعدة 735هـ/ 19 جويلية 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
34. كتاب من الوزير رضوان بن عبد الله إلى ألفونسو الرّابع	27 ذو القاعدة 735هـ/ 19 جويلية 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
35. رسالة من يوسف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	4 ذو الحجّة 735هـ/ 26 جويلية 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
36. كتاب من عليّ بن كماشة الوزير بغرناطة إلى الأفنت دون بطرو	5 ذو الحجّة 735هـ/ 29 جويلية 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	الأفنت دون بطرو ابن ألفونسو الرّابع
37. كتاب من سلطان بن عثمان بن أبي العلاء إلى ألفونسو الرّابع	733هـ / 1335م (لم يذكر تاريخ الوثيقة).	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
38. كتاب من الوزير إبراهيم بن عثمان من غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	11 ذو الحجّة 735هـ/ 2 أوت 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
39. كتاب من الوزير عليّ بن كماشة الوزير الأوّل بغرناطة إلى ألفونسو الرّابع	15 ذو الحجّة 735هـ/ 5 أوت 1335م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع

40. كتــاب مــن الوزيــر إبراهيم بـن عثمـان مــن غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	16 ذو الحجّة 735هـ/ 7 أوت 1335م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
41. رسالة مـن يوسـف الأوّل صاحب غرناطة إلى ألفونسو الرّابع	3 محرّم سنة 736هـ الموافق لـ23 أوت سـنة 1335م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	ألفونسو الرّابع
42. رسـالة مـن يوسـف الأوّل إلى بترو الرّابع ملك أرغون	29 جمــادى الثّانيـــة 736هـ/ 12 فيفري 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بـترو الرابـع ابـن ألفونسـو الرّابع
43. كتـاب مـن الوزيـر عامر بن عثمـان بغرناطة إلى بترو الرّابع ملك أرغون	1 رجـب 736هـ/ 14 فيفري 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بـترو الرابـع ابـن ألفونسـو الرّابع
44. كتاب من رضوان بن عبـد الله الوزيـر بغرناطـة إلى بترو الرّابع	4 ذو الحجّة 736هـ/ 14 جويلية 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
45. رسـالة مــن يوسـف الأوّل إلى بترو الرّابع	24 محـرّم 737هـ/ 23 أوت 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
46. كتــاب مــن الوزيـر بغرناطة عامر بـن عثمان بن إدريس إلى بترو الرّابع	22 محـرّم 737هـ/ 31 أوت 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
47. كتــاب مــن الوزيـر الأوّل عليّ بن يوسف بـن كماشة إلى بترو الرّابع (به تعزية)	14 محـرّم 737هـ/ 8 سبتمبر 1336م	أبــو الحجّـــاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع

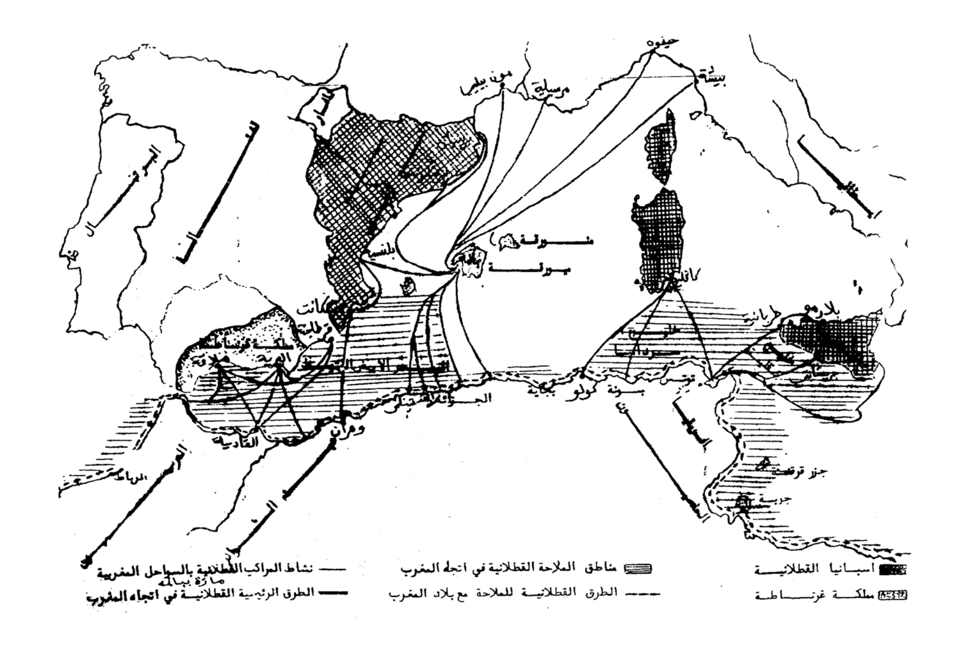
48. كتاب من سلطان بن عثمان الوزير بغرناطة إلى بترو الرّابع	فاتح رجب 736هـ/ 14 فيفري 1337م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
49. كتاب من الوزير عامر بن عثمان بن إدريس إلى بترو الرّابع	غرّة شعبان 737هـ / غرّة مارس 1337م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
50. كتاب من الوزير عامر بن عثمان بن إدريس إلى بترو الرّابع	17 شوّال 737هـ/19 ماي 1337م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
51. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	13 محرّم 738هـ/ 13 أوت 1337م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
52. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	15 رجب 739هـ / 27 جانفي 1339م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
53. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	10 شعبان 745هـ/ 17 سبتمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
54. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	23 جمادى الأولى 745هـ/ 22 سبتمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
55. كتاب من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع (به قائمة شكايات)	23 جمادى الثانية 745هـ/ 21 أكتوبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
56. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	7 جمادى الثّانية 745هـ/ 16 أكتوبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
57. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	25 جمادى الثّانية 745هـ/ 24 أكتوبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع

58. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع (حول تسريح الأسرى المسلمين)	28 رجب 745هـ/ 5 ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
59. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	فاتح شعبان 745هـ/ 8 ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
60. قائمة شكايات من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	10 شعبان 745هـ/ 17 ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
61. قائمة الأسرى الذين أخذوا في جفن القرصان بيرنقيل لدون من برشلونة	شعبان 745هـ/ ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
62. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	منتصف شعبان 745هـ/ 22 ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
63. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع (فيها تفويض لابن كماشة لعقد الصّلح مع أرغون والمغرب)	18 شعبان 745هـ/ 23 ديسمبر 1344م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
64. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع يعلن فيها عقد الصّلح مع أرغون باسمه واسم سلطان المغرب	4 ربيع الأوّل 746هـ/ 5 جويلية 1345م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
65. رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع فيها قائمة الانتهاكات)	19 ذو الحجّة 746هـ/ 14 أفريل 1346م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع

66. مشروع رسالة من يوسف الأوّل إلى بترو الرّابع	17 جمادى الأولى 750هـ/ 3 أوت 1349م	أبو الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
67. كتاب من إدريس بن عثمان بن أبي العلاء إلى الملكة دونة ليينور	7 ذو الحجّة 751هـ/ 31 يناير 1351م	محمّد الخامس بن أبي الحجّاج يوسف الأوّل	بترو الرّابع
68. رسالة من محمّد الخامس ملك غرناطة إلى الأفنت بطرو عمّ ملك أرغون	1 رمضان 756هـ/ 9 سبتمبر 1354م	محمّد الخامس	بترو الرّابع
69. رسالة من محمّد الخامس إلى بترو الرّابع حول معاهدة صلح	14 جمادى الثّانية 759هـ/ 3 جويلية 1358م	محمّد الخامس	بترو الرّابع
70. رسالة من محمّد الخامس إلى بترو الرّابع	6 رمضان 761هـ/ 11 جويلة 1360م	محمّد الخامس	بترو الرّابع
71. كتاب الوزير بغرناطة إدريس بن عثمان إلى بترو الرّابع ملك أرغون	2 ذو الحجّة 761هـ/ 14 أكتوبر 1360م	محمّد الخامس	بترو الرّابع
72. رسالة من محمّد الخامس إلى بترو الرّابع	3 ذو القعدة 762هـ/ 4 سبتمبر 1361م	محمّد الخامس	بترو الرّابع
73. كتاب من الوزير بغرناطة إدريس بن عثمان بن أبي العلاء إلى بترو الرّابع	10 ذو القعدة 762هـ/ 11 سبتمبر 1361م	محمّد الخامس	بترو الرّابع

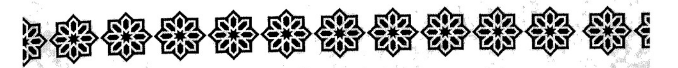
74. معاهدة صلح بين محمّد الخامس وبترو الرّابع (وتشمل كذلك أبا فارس عبد العزيز سلطان فاس بالمغرب)	5 رجب 768هـ/ 10 مارس 1367م	محمّد الخامس ملك غرناطة ومع سلطان فاس الخليفة أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن	بترو الرّابع
75. رسالة بها تفويض من أبي فارس عبد العزيز سلطان فاس إلى عبد الله ابن أبي الحجّاج يوسف محمّد الخامس (لإبرام معاهدة صلح مع أرغون وقشتالة)	غرّة شوّال يوم عيد الفطر 768هـ / 31 ماي 1367م	محمّد الخامس ملك غرناطة وأبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن سلطان فاس	بترو الرّابع

المحتوى



جنوة
بيشة
مون بيلير
مرسيلية
منورقة
ميورقة
بلنسية
لقنت
قرطاجنة
مملكة غرناطة
المرية
مالقة
القادسية
وهران
الجزائر
بجاية
القل
بونة
تونس
بلارمو
طرابانة
جزر قرقنة
جربة
الرباط
البرتغال
قشتالة
إيطاليا
البحر الأبيض المتوسط
إسبانيا القطلانية
مملكة غرناطة
مناطق الملاحة القطلانية في اتجاه المغرب
الطرق القطلانية للملاحة مع بلاد المغرب
نشاط المراكب القطلانية بالسواحل المغربية مارة ببالمه
الطرق الرئيسية القطلانية في اتجاه المغرب

المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار
الهاتف : 271 718 71 / الفاكس : 263 718 71





عمر سعيدان

* أستاذ خريج المعهد الصادقي و دار المعلمين العليا سنة 1960
* باشر التدريس و التفقد و الاشراف على تأطير الأساتذة و تكوينهم بدار المعلمين العليا

* سجل أطروحة دكتوراه دولة حول علاقات الحفصيين باسبانيا القطلانية في القرن الرابع عشر باشراف الأستاذ شار ايمانويل دوفرك بجامعة باريس السابعة بنتتار

له :

* مراسلة الحفصيين و القطلانيين في عهد جاكمو الثاني ملك أراغون
* علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول و الثاني من القرن الرابع عشر
* علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان
* علاقات اسبانيا القطلانية بالمرينيين
* علاقات القطلانيين بملوك بني الأحمر و سقوط غرناطة
* علاقات القطلانيين بمصر و الملك قالوون

له :

* فرحات حشاد بطل الكفاح الوطني و الاجتماعي
* الحركة النقابية الوطنية

- حقق كتبا أدبية تراثية عديدة و له عديد المقالات الأدبية و النـ
- نظم عديد الندوات الأدبية و الفكرية الدولية
- ساهم في كثير من الندوات الفكرية الدولية

له : مجموعات من قصص الأطفال

له : تحت الطبع : توطئة و مقدمات

و بصدد الاعداد :

* مذكرات مناضل في النصف الثاني من القرن العشرين



الثمن : 12 دت

ISBN : 9973-25-093-1

